



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

بحث قرآني - روائي - علمي - فقهي - فني الشياتين

مِنْ هَذَا وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مَسْئَلَةُ الْهَيْبَةِ

محاضرات آية الله الشيخ محمد سند

بتلم

الشيخ محمد رجب عبدالوهاب

دار الهدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه
١٠	اشاره
١٠	اشاره
١٤	المقدمه
٢٤	الفصل الأول: أدله القول بحرمة بناء القبور و عمارتها
٢٤	البحث القرآنى و العلقى:
٢٤	الدليل الأول: الذى استند إليه السلفيون فى جحد شعيره زياره
٢٨	البحث الروائى:
٢٨	الدليل الثانى و الثالث و الرابع لاشتماله على ثلاثه ألسن:
٢٨	اللسان الأول/هدم القبور:
٢٩	اللسان الثانى و الثالث: لعن زائرى القبور و المتخذينها مساجد:
٢٩	اشاره
٣٠	أزمه منهج الاستظهار عند السلفيه:
٣٢	كراهه ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنه لا الحرمه:
٣٤	اختصاص هدم القبور بالمشركين:
٣٧	سبب نسخ النهى عن زياره القبور:
٣٨	اتفاق جمهور السنه على رجحان زياره القبور:
٣٩	الحكمه فى الأمر بهدم قبور المشركين:
٤٠	و قد يشكل فى دلالة آيه القيام على القبر:
٤٠	وضوح دلالة الآيتين على سنه زياره القبور:
٤١	الحكمه فى النهى ثم الأمر بزياره القبور:
٤٢	جمله أخرى من روايات المستدل بها على الحرمه:
٤٢	الحكمه فى نهى النساء عن زياره القبور مقيده:

- ٤٣ زيارة فاطمه بنت النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم لـقبر حمزه:
- ٤٤ نسخ كل من النهى عن زيارة القبور و النهى عن عمارتها:
- ٤٥ الدليل الرابع:الروايات الواردة التناهيه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد
- ٤٥ اشاره
- ٤٦ و فى مسند أحمد بن حنبل:
- ٤٨ اتخاذ قبره وثنا أى نصب التماثيل كأصنام على القبر:
- ٤٩ الحكمه فى النهى عن جعل القبور محلا لسجود الصلاه:
- ٥٠ اتخاذ القبور مساجد أى السجود و الصلاه عليها:
- ٥١ بناء قبر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم فى الصدر الأول:
- ٥١ اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بأنه ابن الله أو بالقول بتعدد
- ٥٣ اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد أى بالقول بتأليههم:
- ٥٦ حرم جمهور علماء السنه على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد
- ٥٧ فضيله المسجد النبوى بأهل البيت عليهم السلام:
- ٥٩ الحياه فى الآخرة و البرزخ أشد قوه من الدنيا:
- ٦١ اليأس من الموتى و أصحاب القبور من صفه الكفار و المنافقين
- ٦٢ الصدّ عن زيارة القبور صدّ عن الآخرة و دعوه للعكوف على
- ٦٦ الفصل الثانى: وجوب عماره قبر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم و أهل بيته عليهم السلام و تشعيورها كمشعر و حرم إلهى
- ٦٦ الدليل الأول:البيانات القرآنيه
- ٦٦ اشاره
- ٦٨ جهات البحث
- ٦٨ اشاره
- ٧٥ إن هذا افتراء بحت و كذب محض على الشيعة الإماميه
- ٧٦ من تمام الحج و لايه النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم:
- ٧٨ نبذ و لايه النبي الأكرم هو العود إلى الوثنيه الجاهليه:
- ٩٢ أن زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم و قبور عترته هى من تمام العبادات:
- ٩٣ الغايه من إسكان هاجر و إسماعيل عند بيته الحرام:

- النتيجة: بأن الآيه مشتمله على ثلاثه فقرات ١٠٠
- سبع المثاني فاتحه الكتاب هي أم القرآن: ١٠٩
- مقام إبراهيم عليه السلام: ١١٤
- بيان آخر للآيه الكريمة: ١١٨
- التبرك بمواضع الأنبياء: ١٢٠
- النموذج الثالث: السامري و العجل ١٢١
- و قد وردت هذه القصة فى روايات الفريقين: ١٢٢
- بيان آخر بأن أهل البيت و الأنبياء و الأوصياء هم معدن الطهاره ١٢٤
- اشاره ١٢٤
- ١- آيه التطهير ١٢٤
- ٢- مريم بنت عمران عليها السلام ١٢٤
- ٣- يوسف عليه السلام ١٢٥
- البقعه المباركه: ١٢٧
- أهل البيت عليهم السلام أنوار إلهيه: ١٣٠
- الأئمه التسعه من ولد الحسين عليه السلام فى آيه النور: ١٣٥
- بيان آخر للآيه المباركه: ١٣٦
- خلقه أهل البيت عليهم السلام النوريه: ١٣٩
- التوجه بالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته شرط فى قبول العباده: ١٤١
- اقتران اسم النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته بأعظم العبادات: ١٤٣
- اقتران الصلاه على النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى بقيه العبادات: ١٤٥
- «برهان آخر» ١٥١
- التوسل عباده توحيديه: ١٦٠
- ١- التوسل آيه للزلفى و القربى إلى البارى تعالى: ١٦٠
- ٢- شرطيه التوسل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فى طلب المغفره: ١٦٢
- شرطيه التوسل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم: ١٦٨
- التوسل بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم ميثاق الأنبياء: ١٧٢

- الأنبيا على دين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ----- ١٧٣
- أهل البيت عليه السلام شركاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دائره الميثاق: ----- ١٧٧
- اقتران أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطهاره: ----- ١٨٢
- النبي وأهل بيته هم كلمات الله الثابتات «صلوات الله عليهم» ----- ١٨٣
- كذلك بنفس البيان مفاد ما ورد في قوله تعالى: ----- ١٨٨
- التسليم زياره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ----- ١٩٠
- حبط الأعمال وقبولها: ----- ١٩١
- التكذيب بآيات الله تعالى موجب لحبط الأعمال: ----- ١٩٣
- التوجه إلى خليفه الله لنيل المقامات وقبول الطاعات في جميع ----- ١٩٧
- تأبيد رساله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وساطته في الوحي الإلهي لجميع ----- ٢٠٠
- أهل الكهف آيات للعالمين ----- ٢٠٢
- إحياء الله الموتى بعد مماتهم: ----- ٢٠٤
- البعث والمعاد الجسماني: ----- ٢٠٥
- وجاء في كتاب الاحتجاج عن الصادق عليه السلام في حديث: ----- ٢٠٧
- تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه من الشرك: ----- ٢١٠
- الفتاوى الشيطانيه في هدم القبه النبويه: ----- ٢١٧
- الفصل الثالث: في أدله القول بوجود عماره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ----- ٢٢٤
- اشاره ----- ٢٢٤
- سيره المسلمين في قبور الانبياء: ----- ٢٢٥
- شعيريه قبور الأنبياء في المسجد الحرام ----- ٢٢٧
- حفظ قبور الأنبياء عن الاندراست بعمارتهها: ----- ٢٢٧
- الروضه عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم مشعر عند المسلمين: ----- ٢٢٨
- فضيله المشاهد المشرفه عند جمهور علماء السنه: ----- ٢٢٩
- تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفه على سائر البقاع: ----- ٢٣٠
- الروضه بين بيوته صلى الله عليه وآله وسلم شامله لقبور ذريته الأطهار: ----- ٢٣٠
- كذلك ما رود في قدسيه أرض كربلاء في الوسائل أبواب ----- ٢٣٧

- ٢٣٨ ----- سن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ إقامه المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السلام: -----
- ٢٤٠ ----- سن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ الدعاء و العباده عند قبور أهل بيته عليهم السلام: -----
- ٢٤١ ----- جمله من سنن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ فى زياره قبر والدته عليهم السلام: -----
- ٢٤٤ ----- توقيته صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ الحج بزياره قبره: -----
- ٢٤٦ ----- الحج و زياره قبر النبي و أهل بيته من دون التفريط بكل -----
- ٢٤٨ ----- ثبت المصادر -----
- ٢٨٧ ----- الفهرس -----
- ٢٩٤ ----- تعريف مركز -----

سرشناسه: عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ -

عنوان قراردادی: مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهیه. فارسی

عنوان و نام پدیدآور: زیارتگاه های اهل بیت عليهم السلام جایگاه تعظیم شعائر الهی [کتاب] / تالیف محمد رجب عبدالوهاب ؛ محاضرات محمد سند ؛ مترجم مجتبی باقری.

مشخصات نشر: تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۴.

مشخصات ظاهری: ۲۷۹ ص.

شابک: ۷۸۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۵۴۸-۷

وضعیت فهرست نویسی: فایا

یادداشت: کتابنامه : ص. [۲۷۵] - ۲۷۹ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع: گورها و گورستان ها -- زیارت -- احادیث

موضوع: گورها و گورستان ها -- زیارت -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده: عبدالوهاب، محمدرجب، گردآورنده

شناسه افزوده: باقری، مجتبی، ۱۳۵۳ - ، مترجم

رده بندی کنگره: BP۲۲۶/۷۴/س ۸۶م ۵۰۴۱ ۱۳۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۷۶

شماره کتابشناسی ملی: ۳۶۵۶۴۵۰

ص: ۱

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه

تاليف محمد رجب عبدالوهاب

محاضرات محمد سند

مترجم مجتبی باقری

ص: ۳

الحمد لله رب العالمين و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين و لعنه الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللهم صل على محمد و آل محمد الكهف الحصين، و غياث المضطر المستكين، و ملجأ الهارين، و عصمه المعتصمين. اللهم صل على محمد و آل محمد صلاه كثيره، تكون لهم رضا، و لحق محمد و آل محمد أداء و قضاء، بحول منك و قوه يا رب العالمين.

إن بحث الشعائر بصوره عامه من أهم البحوث العقائديه التي هي مرتبطه بمعرفه الله عزّ و جل و التي تتجلى في آياته و أسمائه العظمى حيث قال النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم لعلى عليه السلام: «ثلاث أقسم أنهن حق، إنك و الأوصياء من بعدك عرفاء و لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، و عرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم و عرفتموه، و عرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم و أنكرتموه»^(١) و بهذا لا سبيل لمعرفه الله و عظمته إلا بمعرفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته و بالخضوع و التوجه إليهم و زيارتهم و التوسل بهم.

كما أن هذه البحوث بمادتها العلميه و تحليلها توصل للمنهج الصحيح في معرفتهم عليهم السلام و التي تعكس هذه المنزله العظيمة لهم عند

ص: ٥

١- (١) الخصال للصدوق/باب قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم ثلاث أقسم أنهن حق ص ١٥٠.

اللّه عزّ وجلّ، وهذه المعرفة لأهل البيت عليهم السّلام تبعث في الأئمة الأمان و الرحمة الإلهية، خصوصا عند ذكرهم و إحياء مآثرهم و تشييدها بالقول و الفعل حيث تبقى شفاعتها للإنسان في الآخرة قبل هذه الدنيا الفانية.

فإن الحسين عليه السّلام لم يأت للكوفيين بدافع مراسلتهم و الاستجابة لدعوتهم بل إن المسؤوليه العظمى و الواجب الإلهي كان يتحتم على الإمام الوقوف لأجل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدفاع عن ثروات المسلمين المنهوبه و الحقوق المضيعه التي كانت تصرف في إقامه حفلاتهم الماجنه و الفاجره في الوقت الذي يقبع الناس في الفقر المدقع، و قد أشار الحسين عليه السّلام إلى هذا الأمر حيث قال: «إن هذه الدنيا قد تغيرت و تنكرت و أدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابه كصابه الإناء و خسيس العيش كالمرعى الويل، ألا ترون الحق لا يعمل به و أن الباطل لا ينهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا فإنى لا أرى الموت إلا سعادة و لا الحياه مع الظالمين إلا برما، إنّ الناس عبيد الدنيا و الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء، قلّ الديانون» (1). مما يتبين بأن الدافع الأساسى لنهضته المباركه هو الإصلاح و القضاء على الفساد الذى سببه انحراف هؤلاء عن جاده الحق، و إحياء البدع، و ضياع السنه النبويه، و انتشار الفساد و الانحراف الدينى، و ذلك بهدف هدم عقائد المسلمين و إبعادهم عن أهل البيت و رساله و من ثم إحياء السنن الجاهليه الأولى.

ص: ٦

١- (١) تحف العقول: ٢٤٥؛ مقتل أبى مخنف: ٨٦؛ تاريخ الطبرى: ٢٢٩، و قد نقل الخطبه باختلاف طفيف ابن عساكر فى تاريخ دمشق: ٢١٤، و السيد ابن طاوس فى اللهوف: ٣٣، و المجلسى فى البحار الأنوار: ١٩٢/٤٤، و وفقا لما نقله ابن عساكر و المجلسى فإن الإمام عليه السّلام خطبها فى كربلاء بعد ان اصطدم بجيش عمر بن سعد.

فكان لنهضته عليه السّلام الدور الكبير في تحرر المسلمين من ذل العبودية و استعادة العزه و الحريه على نطاق واسع ضد الظلم و الاضطهاد،و التي ساهمت في القضاء على الإعلام الزائف للسلطه الحاكمه التي زرعت الحقد و البغض في نفوس الجماهير اتجاه أهل البيت و رساله دون أن يمحي ذكرهم و جبههم في وجدان الأحرار و الأتباع منهم على الرغم من مرور عقود طويله من الزمن حاولت السلطه اجتثاث و تشويه ذكرهم سلام الله عليهم أجمعين.

فهذه النهضه المباركه كانت حركه نحو تغيير شامل لأوضاع سياسيه و اجتماعيه تحيطها رعايه إلهيه مقدسه تستلهم تعاليمها من السماء و التي تحمل رساله خالده إلى كل الأجيال المنصرمه و الحاضره،و التي تمهد طريق النضال و التحرير من الاستغلال و الاستعباد و التسلط و تعيد النفس البشريه إلى العزه و الكرامه بإتباعها هذا الخط الإسلامى الأصيل الممتد إلى رساله النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته الطاهرين.

و من هذا المنطلق يعلم بأن إحياء هذه المثل و القيم التي جسدها الإمام عليه السّلام هو إحياء للدين و الشريعه،و قد ورد في قول الإمام جعفر الصادق عليه السّلام أنه قال:(اتقوا الله و كونوا أخوه برره متحائين في الله متواصلين متواضعين متراحمين،تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا و أحيوا أمرنا)(١).

و كذلك ما روى عن الإمام الرضا عليه السّلام في إحياء ذكرهم حيث قال:(من تذكّر مصابنا فبكى و أبكى لم تبك عينه يوم تبكى العيون و من جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)(٢).

ص:٧

١- (١) الكافي/باب التراحم و التعاطف ح ١ ج ٢.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا/باب فضائل على عليه السّلام ح ٤٨ ج ٢.

و تأسيساً على هذه النتيجة فإن إحياء هذه الشعائر ليس بدعاً ولا شركاً بل هو عين التوحيد و الطاعة الإلهية، فإن البحث سينصب فى صراط بيان عظمه هذه الشعائر و كونها المصدق الأبرز و النموذج الأوضح لمعالم الدين و الشعائر التى و جهت الشريعة المعظمه إلى ضروره تعظيمها و إحيائها بكل الأشكال و الأساليب المتعدده، حتى تسرى فى غالب سيره الأفراد و الجماعات.

و الكتاب الذى بين أيدينا أيها القارئ الكريم هو من البحوث الهامه فى هذا المجال و الذى يؤسس و يثبت القاعده الشرعيه فى أن تعظيم شعائر الله هو من تقوى القلوب و أن عماره قبور الأنبياء و الأوصياء يصب فى صراط التوحيد الخالص بالله عزّ و جل و المنبثق من ثوابت العقيدة الإسلاميه، و هو من البحوث العقائديه التى ألقاها الأستاذ المحقق آيه الله الشيخ محمد سند (حفظه الله) على جمع من طلبه العلوم الدينيه مؤكداً على أنّ قبر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أهل بيته و المشاهد المشرفه مشاعر إلهيه و أنها من أوضح و أجلى مصاديق قوله تعالى: ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (1) أليس معلّم من معالم الدين و حقيقه من حقائق التوحيد.

و بناء عليه فقبر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و قبور أهل بيته عليهم أفضل الصلاه و السلام و تشييدها و حفظها عن الاندساس و عمارتها هى من أفضل العبادات على الإطلاق و التى تقبل بها الأعمال كما سيأتى إثباته إن شاء الله تعالى.

ففى تشريع المله الحنيفيه أن قبور الأنبياء تقصد و يتوجه إليها و يطاف بها، و هذا لا ينافى التوحيد التام، لاسيما و أن الله عزّ و جل أمر

ص: ٨

إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام بتطهير البيت من الشرك والمشركين، قال تعالى:

وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١).

و مع وجود القبور المعلومه للأنبياء و المقامات المقدسه الثابته إليهم، و التي لم يأتى النهى عن التعلق بها، فإن ذلك يدل على أن مثل هذا التعليق ليس من الشرك أصلاً، و مما يؤكد هذا الأمر قوله تعالى وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (٢).

و أما التعبير بالمشاعر فقد أشار إليه جملة من العلماء الأعلام، منهم الفقيه الكبير الفذ الشيخ جعفر كاشف الغطاء (رحمه الله) فى كتابه (كشف الغطاء) بأن قبور الأئمة عليهم السلام قد شعرت، فهى مشاعر، و من ثم تجرى عليها أحكام المساجد (٣).

و قد تميز الشيخ الكبير كاشف الغطاء بهذا الاستدلال عن بقيه الأعلام و بالإشارة إلى أن وجه إلحاق قبور الأئمة عليهم السلام بالمساجد هو كونها شعرت مشاعر، فهو إذن يذهب إلى أن المشاعر لا تختص بأفعال الحج، و لا تختص بالعبادات، بل تشمل دائره أوسع من ذلك..

و المشعر إنما يشعر ليس بخصوصه بل بنص من الله عزّ و جل فتكون حرمة و وقفته أشد من بقيه الأوقاف الأخرى كما هى فى تشعير بيت الله الحرام و حرم المدينة، و قد أقسم الله عزّ و جل بهذه البقاع المباركة و ذلك فى قوله تعالى وَ التَّيْنَ وَ الزَّيْتُونِ (١) وَ طُورِ سِينِينَ (٢) وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) (٤)،

ص: ٩

١- (١) سورة البقره، الآية: ١٢٥.

٢- (٢) سورة البقره، الآية: ١٢٥.

٣- (٣) كشف الغطاء: ٥٤ (عند قراءه الفاتحه بعد الطعام و رجحان الشعائر الحسينيه).

٤- (٤) سورة التين، الآيات: ١-٣.

ببلد التين و هو المدينه، و بلد الزيتون و هو بيت المقدس، و طور سينين الكوفه، و البلد الأمين و هو مكه، كما ورد ذلك عن الكاظم عليه السلام حيث قال: (و اختار من البلدان أربعه فقال عزّ و جل: وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ (١) وَ طُورِ سَيْنِينَ (٢) وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)) فالتين المدينه، و الزيتون بيت المقدس، و طور سينين الكوفه، و هذا البلد الأمين مكه (١) هذا من طرقنا.

و كذلك من طرق السنه، و لكن بتفسير التين بالبيت الحرام، و تفسير الطور بأنه الجبل الذى كلم الله عزّ و جل موسى عليه السلام (٢)، و لا تنافى فى ذلك إذ لعل ذلك هو الوادى المقدس بين جبل طور و الكوفه، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

و قد ورد فى الحديث أن محل قبر أمير المؤمنين عليه السلام أول طور سيناء، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: (كان فى وصيه أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجونى إلى الظهر (أى ظهر الكوفه) فإذا تصوبت أقدامكم و استقبلكم ريح فادفنونى، و هو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك) (٣).

و الحاصل: بأن القرآن الكريم يؤكد أن هناك بقاع مقدسه مباركه تعظم و يتقرب فيها إلى الله عزّ و جل و جعل الحرمه لها فهذه الآيه فى صدد القسم و التعظيم بدلاله الاقتضاء بدلاله الالتزاميه بأن الله سبحانه و تعالى يعظم هذه المواضع الأربعه فعندما يعظم هذه المواضع الأربعه بدلاله الالتزاميه فإنه يجعل لها حرمه و بالتالى يشعرها و بأنها محل تعظيم و حفاوه ربانيه منه تعالى.

ص: ١٠

١- (١) معانى الأخبار ص ٣٦٥/ الخصال للشيخ الصدوق: ص ٢٢٥/ روضه الواعظين للنيسابوى: ص ٤٠٥.

٢- (٢) زاد المسير لابن الجوزى: ص ٢٧٥ ج ٨.

٣- (٣) التهذيب: ص ٣٧ ج ٦.

و لكي يستفاد من هذه الآيه بأنها في صدد تشعير هذه المواضع المقصوده نحتاج إلى عده مقدمات بحيث يستفاد منها ذلك المعنى و نحن في صدد بيان هذه القاعده الفقهيّه التي لها جذر عقائدى بأن قبور و مشاهد أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام مشاعر إلهيه، فإذا هذه القاعده الدينيه و المعلم الدينى العظيم العالم له حرمة بل حرمت فى قبال من ينتهج هتك هذه الحرمة و يسمها بسماوات و نعوت هو أحق أن يوصف بها قائلًا قول زور بأنها مظاهر شرك بالله و كفر و تأليه.

و سنبين فى تفاصيل البحث بأن القائلين بهذه الدعوه (و هى كون قبور أهل البيت عليهم السلام تمثل مظاهر وثنيه) هم أصحاب الأوثان بنص من القرآن الكريم.

كما سنذكر الروايات الوارده لدى الفريقين فى هذه القاعده المتسالم عليها عند فقهاء الإماميه بأن هذه القبور و المواضع المشرفه لها حرمت كحرمة الكعبه بل أعظم من ذلك.

و نتعرض فى هذا البحث بشكل خاص و دراسه متعمقه فى الإيمان بالشهاده الثانيه و الثالثه التى هى ولايه أهل البيت عليهم السلام و تثبيت العقائد الدينيه بالدليل العلمى لرد الشبهات و الانتقادات التى تثار حول عقيدته التوسل و التبرك.

و ختامًا.. لا يفوتنى إلا أن أشكر الله تعالى جل شأنه قبل أى أحد على ما وفقنى لتحرير و إخراج هذا الكتاب، ثم أشكر كل من أعان و ساهم فى هذا المجال، و أخص منهم بالذكر سماحه الشيخ عقيل رضى، على ما بذله من جهد يستحق الشكر عليه، و ختامًا أسأله سبحانه و تعالى ببركه سيد الشهداء و مقام سيد الأولياء و الأوصياء أن يجعل هذا

الجهد ذخرا لأستاذنا المحاضر-دام عزه-و أجرا لى،ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أولاده المنتجبين.

الشيخ محمد رجب ١٢/ذو القعدة/١٤٣٠ هـ الموافق ٢٠٠٩/١٠/٣١ م

ص:١٢

الفصل الأول فى أدله القول بحرمه عماره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته عليهم السلام

ص: ١٣

الفصل الأول: أدله القول بحرمه بناء القبور و عمارتها

البحث القرآنى و العقلى:

الدليل الأول:الذى استند إليه السلفيون فى جحد شعيره زياره

القبور أو قبر النبى و أهل بيته عليهم السلام

و قبور الأنبياء و الأوصياء بشكل عام كون زياره القبور و البناء عليها و تشييدها هو توسل بالأنبياء و الأوصياء و الاستشفاع بهم إلى الله فى قضاء الحاجات و التوجه بهم؛فهم يجحدون التوجه و الاستشفاع و ليس فقط ركنيته فى الدين بل يجحدون التدين به؛ و من ثم يسوغون لأنفسهم هدم قبور الأنبياء و الأوصياء حتى أن لديهم الإصدارات التى دوّن فيها استحلالهم لهدم قبر سيد الأنبياء.

و الجواب:على الدليل الأول أن الاستشفاع و التوسل و التوجه بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام و الأنبياء و الأوصياء ليس أمرا مشروعاً و راجحاً و مرغبا فيه فحسب بل قد دلت جملة من الآيات القرآنيه على كونه شرطاً لقبول الأعمال بل لقبول الإيمان كما فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١).

ص:١٥

فأشارت الآية إلى كل من محذور التكذيب و محذور الاستكبار و الصد عنها، و ان كلاً منها موبقه برأسه و المقصود من الآيات التي يكذب بها فى قبال التصديق بها هم الحجج الناطقون عن السماء من الأنبياء و الأوصياء كما ورد إطلاق لفظ الآية على النبي عيسى ابن مريم قال تعالى: **وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً (١)**.

كما أن التعبير فى الآية **اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا** هو تضمين معنى الصد عنها فى معنى الاستكبار و هذا التعبير بعينه قد استعمله القرآن الكريم فى قصة إبليس مع آدم كما ورد أبى **وَ اسْتَكْبَرَ .**

كما سيأتى التعبير عن موقف المنافقين مع سيد الأنبياء فى قوله تعالى: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصِيَّدُونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢)** فهذه الآية تنذر بالتهديد فى التكذيب الذى يقابل التصديق و تنذر فى الاستكبار الذى يقابل الخضوع و التوجه.

إن كلاً من هذين الفعلين (التكذيب و الاستكبار) يسد أبواب السماء عن صعود إيمان العبد و عمله إلى الله و أن المفتاح لأبواب السماء و لوفود عقيدة العبد و عمله إلى الله (الحضرة الإلهية) هو ليس صرف الإيمان بالحجج الإلهية بل لا بد من الخضوع إليها و التوجه بها و الإقبال عليها و بالتالى التوسل بها إلى الله.

إذ قد بينت الآيات أن كلاً من العقيدة و العمل الصالح لا بد من ارتفاعه إلى الله فى مقام القبول كما فى قوله تعالى: **إِلَيْهِ يَصِيَّبُ الْعَمَلُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٣)**.

ص: ١٦

١- (١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

٢- (٢) سورة المنافقون، الآية: ٥.

٣- (٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

فهذه الآية تبين كون الصدّ عن حجج الله و عدم التوجه بهم إلى الله يحبط و يخلّ بالإيمان فضلا عن العبادات و الأعمال.

و علماء الإماميه رضوان الله تعالى عليهم و إن كانوا قد نبهوا على شرطيه ولايه أهل البيت عليهم السّلام فى الإيمان و العبادات و الأعمال إلّا أن الظاهر من هذا التعبير هو خصوص الإيمان بأهل البيت عليهم السّلام و لكن الصحيح عدم الاقتصار على استفاده شرطيه الإيمان من الأدله بل لا بدّ أن ينضم إليه شرطيه ولايتهم بدرجه التوسل و التوجه بهم إلى الله عزّ و جل، فإن صرف الإيمان بهم من دون توليهم فى أنحاء الولاء الأخرى و من دون الارتباط بهم و التوسل و الإتياع و الانتهاج بهم لا يحقق الشرط من ولايتهم الذى هو ركن الإيمان و صحه الأعمال و العبادات.

و يدل على ذلك قوله تعالى فى صفه المنافقين فى الآية السابقيه بأن سلب الإيمان عن المنافقين بصددهم عن التوجه برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مقام التوبه، فهذه الآية مبنيه لركنيه التوسل بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و التوجه به إلى الله فى تحقق الإيمان مضافا إلى بيانها لشرطيه التوسل بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و الاستشفاع به فى حصول التوبه و الإنابه إلى الله عزّ و جل، و منه يتضح دلالة الآيات الوارده فى إبليس و رفضه الانقياد لأمر الله عزّ و جل بالسجود لآدم و التوجه به إلى الله مما أوجب حبط إيمان إبليس بالله و اليوم الآخر.

و كذلك قوله تعالى: **وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١)**.

حيث اشترطت الآية ثلاثه شروط بنحو الترتيب الشرطى و جعلت الأول منها: هو التوجه و اللوذ و الاستغاثه بحضره النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى الله تعالى.

ص: ١٧

١- (١) سورة النساء، الآية: ٦٤. ملاحظه: بأن بقيه البحث فى الدليل الأول سوف يأتى توضيحه فى الأدله القرآنيه.

الشرط الثاني: وقوعا و ترتيبا هو استغفار المذنب.

الشرط الثالث: تشفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و شفاعته في توبه مذنبي الأمة عند الله.

الشرط الرابع: نفس الترتيب و هو شرط مثل الترتيب في أفعال الصلاه إن أتى بالركوع قبل القراءة فإنه يبطل الصلاه.

فهذه الآيه سنه إلهيه إلى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات و الفرائض المتعلقة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو ذات الارتباط بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد جاء في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ (١).

و ليست الطاعه فقط في خصوص حياته بل هي تسرى ما بعد رحيله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى.

و كما جاء في قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢).

إلى غير ذلك من الآيات و كما هو الحال في الشهاده الثانيه فإنه ركن في التوحيد و الدخول في حضيره الإسلام إلى يوم القيامة و ليس مختصا بحياه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في دار الدنيا و قد مر في بحث الآيات كلام مبسوط في بيان ركنيه التوسل و التوجه و الاستشفاع في الدين الحنيف، و أن جحد هذا الركن العظيم يستهدف عدم الالتزام بالشهاده الثانيه بنحو مبطن و من ثم لا ترون في أدبياتهم بيان مؤديات الشهاده الثانيه و تداعياتها.

ص: ١٨

١- (١) سوره النساء، الآيه: ٥٩.

٢- (٢) سوره الحشر، الآيه: ٧.

اللسان الأول/هدم القبور:

و منها روايه أبي الهياج الأسدی رواها أحمد بن حنبل في مسنده: (حدثنا وكيع حدثنا سفيان، عن حبيب، عن أبي وائل، عن أبي الهياج الأسدی، قال: قال لي عليّ: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته و لا قبرا مشرفا إلا سويته) (١) رواه أيضا مسلم في باب الأمر بتسوية القبر (٢) و النسائي رواه في سننه أيضا في كتاب الجنائز باب الساعات التي نهى عن إقبار الموتى فيهن (٣) و الحاكم النيسابوري في المستدرک في باب صفه قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (٤).

التقريب: الاستدلال الذي ذكره هو أن النهي ورد في سياق واحد مع النهي عن التماثيل التي تتخذ كأصنام و أوثان مما يدل على أن مناط النهي هو الشرك الموجود في كلا موردی النهي فاستدل بهذا الاستدلال ابن تيميه في كتاب منهاج السنه و محمد عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات.

كما ورد في كتبنا و مصادرنا شبيه لهذه الروايه كما هو في كتاب الوسائل:

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي،

ص: ١٩

١- (١) أحمد بن حنبل: المجلد ١ مسند علي بن أبي طالب.

٢- (٢) صحيح مسلم/في باب الأمر بتسوية القبر ج ٣.

٣- (٣) النسائي/كتاب الجنائز: باب الساعات التي نهى عنها عن إقبار الموتى.

٤- (٤) الحاكم في المستدرک/في باب صفه قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ج ١.

عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(بعثني رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فقال: لا- تدع صورته إلا- محوتها، ولا- قبراً إلا- سويته، ولا- كلباً إلا قتلته)(١).

قال صاحب الوسائل: و تقدم الأمر بترتيب القبر(٢).

اللسان الثاني والثالث: لعن زائري القبور و المتخذينها مساجد:

إشاره

منها: و من أدلتهم على الحرمة هذا الحديث رواه أبي داود في سننه باب زياره النساء للقبور: (حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شعبه، عن محمد بن جواده، قال: سمعت أبا صالح يحدث، عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج)(٣).

و قال الحاكم النيسابوري في المستدرک بعد روايته لهذه الروايه (لعن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج)(٤).

و ما رواه أحمد في مسنده بأكثر من طرق (قال سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن من البيان لسحرا و شرار الناس الذين تدركهم الساعه أحياء و الذين يتخذون قبورهم مساجد»)(٥).

ص: ٢٠

١- (١) وسائل الشيعة/باب عدم جواز نبش القبور ج ٣.

٢- (٢) تقدم ما يدل عليه في الحديث ٥ الباب ٩ من صلاه الجنائز و على حكم التسويه في الحديث ٢٢ الباب ٥ منها و الحديث ٥ الباب ٢١ من هذه الأبواب و على حكم الترتيب في الباب ٣١ من هذه الأبواب.

٣- (٣) سنن أبي داود/باب في زياره النساء القبور ج ٢.

٤- (٤) المستدرک/باب الأمر بخلع النعال في القبور ج ١.

٥- (٥) مسند أحمد/مسند عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ج ١.

و ما رواه مسلم و البخارى (ألا و أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم و صالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أنى أنهاكم عن ذلك) (١).

ثم قال (الترمذى) و قد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى زياره القبور. فلما رخص دخل فى رخصته الرجال و النساء و قال بعضهم: إنما كره زياره القبور للنساء، لقله صبرهن و كثره جزعهن (٢) ثم عقد باب ما جاء فى زياره القبور للنساء و روى فى زياره عائشه لأخيها عبد الرحمن.

الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث: إن هذا الاستدلال عجيب و غريب لأنه مبنى على مقدمات مزعومه خلافية غير مسلم بها فى ظهور الحديث، فإن الحديث له وجوه متعددة من الدلالة ذكرت عند علماء الفريقين أضعفها ما ذكره و ما استدلوا به.

فكيف يبنون عقيدته يكفرون بها طوائف المسلمين مبنية على مثل هذه الدلالة الاحتمالية و الهلوسه فى الاستظهار و على تخرصات ظنيه ما أنزل الله بها من سلطان مع أن التكفير لا يبنى على دليل ظنى تام فضلا عن غير التام، بل و لا على الدليل الظنى القطعى، بل و لا- على القطعى الضرورى ما لم يكن ضروريا تنفى معه الشبهه فكيف بهم يخرجون عن ميزان المله فى منهج الاستدلال فى الشريعة و قواعد الدين.

أزمه منهج الاستظهار عند السلفيه:

أولا: إن مورد النهى و الأمر بطمس التماثيل و الصور كما فى روايه

ص: ٢١

١- (١) صحيح مسلم/باب فضل بناء المساجد و الحث عليها ج ٢.

٢- (٢) سنن الترمذى/باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء ج ٢.

النسائي (و لا - صوره فى بيت إلا - طمستها) ليس خاصا بالأصنام و الأوثان بل الظاهر عدم إرادته الأصنام و الأوثان لأنه البعث الحاصل لأبى الهياج كان فى خلافه على عليه السّلام و لم يكن بعثه إلى ديار المشركين، إذ لو كان البعث إلى ديار المشركين لكان أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم بقتال المشركين أولا حتى يقرأوا بالشهادتين، بينما لم يتضمن أمر النبى صلّى الله عليه وآله و سلم لعلى عليه السّلام ذلك و لا أمر على عليه السّلام لأبى الهياج كذلك، و هذا مما يعزز أن الأمر بطمس التماثيل فى البيوت هو لكراهتها و لحرمة صنع التماثيل و الصور لذوات الأرواح و الأمر بالطمس و النهى عن الصور و التماثيل بعيدان كل البعد عن بحث الشرك.

ثانيا: لو سلمنا أن النهى عن الصور و التماثيل بطمسها وارد فى مورد الأصنام و الأوثان فما هو صله الأمر بتسوية القبور بذلك، إذ وحده السياق لا تدل على وحده المتعلق فى النهى بل غايه ما يتشبه فى الوحده هو بالسياق الذى هو أضعف القرائن، و هو لأجل تحديد مفاد الحكم من كون الحكم الإلزامى أو الندبى أو الكراهتى فى الجمل المتعاقبه، و أما أن متعلق النهى و الأمر أن سببهما واحد فهذا مما لا سبيل إلى استفادته من وحده السياق و هى مغايره لوحدته المتعلق و من ثمة لا صله بين النهيين و الأمرين ألا ترى فى قوله تعالى:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (١).

فهل لأحد أن يستظهر أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين من أحكام العقيدة و الاعتقاد فضلا أن يكون من أركان التوحيد كى يكفر به العاق لوالديه بل ليس الأمر بالإحسان إلى الوالدين حكما وجوبيا بل أن

ص: ٢٢

الإحسان للوالدين محمول على الندب نعم عقوق الوالدين محرم من الكبائر و لكن ليس من أحكام مسائل العقيدة.

فالمحرم فى الوالدين هو جهه العقوق لهما لا وجوب كافة درجات الإحسان لهما و من ثم يحتمل فى الحديث أن تسوية القبر المشرف ذى الشرفه محمول على الكراهه إلى غير ذلك من موارد الاستعمال الكثيره المعطوف فيها الأمر الفرعى على الأمر الاعتقادى فى موارد استخدام القرآن الكريم.

ثالثا: إن الأمر بتسوية القبور فى مقابل إشرافها قد استظهر منه الكثير إرادته تسطيح القبور فى مقابل تسنيمها و قد حكاه ذلك ابن تيميه نفسه فى كتابه منهاج السنه عن جمله من علماء السنه(١) و قد إلتزم ابن تيميه بذلك.

كما أنه قد حكى النووى فى شرح مسلم(٢) قوله (يأمر بتسويتها) و فى روايه أخرى (و لا قبرا مشرفا إلا سويته) فيه أن من السنه أن لا- يرفع القبر على الأرض رفعا كثيرا و لا- يسنم بل يرفع نحو شبر و يسطح و هذا مذهب الشافعى و من وافقه، و نقل القاضى عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيمها و هو مذهب مالك قوله (أن لا تدع تمثالا إلا طمسته) فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.

كراهه ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنه لا الحرمه:

و كلامه يقرر جمله أمور:

ص: ٢٣

١- (١) منهاج السنه لابن تيميه ص ١٤٣ ج ٢.

٢- (٢) شرح مسلم للنووى: باب (اللحد و نصب اللبن على الميت) ج ٧.

منها: أن جمهور علماء السنه لم يحملوا الأمر بالتسويه على الزوم بل حملوه على الندب، لذلك ذهب أكثرهم إلى القول بالتسليم مخالفه للروافض من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

فمن الغريب بعد ذلك ادعاء السلفيه و الوهابيه أن الأمه مجمعه على بدعيه رفع القبور و لزوم تسويتها و قد مر في كلام النووى أيضا أنه الأفضل لا الزوم، و كذلك عند مذهب الشافعى رفع القبر على نحو شبر و هو حمل التسويه على التسطیح.

و منها: إن صريح كلام النووى فى الأمر بطمس التمثال هو فى الصور ذوات الأرواح لا فى الأوثان و الأصنام(١).

و قال العينى فى عمدته القارى فى شرح البخارى فى مسأله تسنيم القبر و تسطيحه: (و قبر أبى بكر و عمر مسنمين) و رواه أبو نعيم فى (المستخرج): (و قبر أبى بكر و عمر كذلك)(٢).

و قال إبراهيم النخعى: أخبرنى من رأى قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و صاحبيه مسنمه ناشزه من الأرض عليها مرمر أبيض.

و قال الشعبى: رأيت قبور شهداء أحد مسنمه، و كذا فعل بقبر عمر و ابن عباس، رضى الله عنه. و قال الليث: حدثنى يزيد بن أبى حبيب أنه يستحب أن تسنم القبور و لا ترفع و لا يكون عليها تراب كثير، و هو قول الكوفيين و الثورى و مالك و أحمد، و اختاره جماعه من الشافعيه منهم، المزنى: أن القبور تسنم لأنها أمنع من الجلوس عليها، و قال أشهب و ابن حبيب:

ص: ٢٤

١- (١) شرح مسلم للنووى باب اللحد و نصب اللبن على الميت ص ٣٦ ج ٧.

٢- (٢) تحفه الأحوذى للمباركفورى باب ما جاء فى تسويه القبر ص ١٣٠ ج ٤/ عمدته القارى للعينى ٢٢٤ ج ٨.

أحب إلى أن يسنم القبر، وإن يرفع فلا بأس. وقال ابن طاوس: كان يعجبهم أن يرفع القبر شيئا حتى يعلم أنه قبر، وادعى القاضي حسين اتفاق أصحاب الشافعي على التسنيم، ورد عليه بأن جماعه من قدماء الشافعية استحَبوا التسطیح، كما نص عليه الشافعي، و به جزم الماوردي و آخرون. وفي (التوضیح): وقال الشافعي: تسطح القبور و لا تبني و لا ترفع و تكون على وجه الأرض نحو من شبر. قال: بلغنا أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ سطح قبر ابنه إبراهيم عليه السلام و وضع عليه الحصباء و رش عليه الماء (١) و أن مقبره الأنصار و المهاجرين مسطحة قبورهم، و روى عن مالك مثله و احتج الشافعي أيضا بما روى الترمذي عن أبي الهياج الأسدي، و اسمه:

حيان. قال لي عليّ: ألا أبعثك على ما بلغني عليه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ: (أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سويته، و لا تمثالا إلا طمسته) (٢).

و كما جاء في سنن أبي داود: (حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن أبي فديك، أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ، عن القاسم، قال:

دخلت على عائشه فقلت: يا أمه، اكشفي لي عن قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ و صاحبيه رضي الله عنهما، فكشفت لي عن ثلاثه قبور لا - مشرفه و لا - لا طئه مبطوحه ببطحاء العرصه الحمراء قال أبو علي: قال إن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ مقدم (٣).

و في (المغني): و اختار التسنيم أبو علي الطبري و أبو علي بن أبي هريره و الجويني و الغزالي و الروياني و السرخسي، و ذكر القاضي حسين اتفاقهم عليه، ثم فسر حديث الترمذي أن المراد من المشرفه و المذكوره فيه (الحديث) هي المبنيه التي يطلب بها المباهاه (٤).

ص: ٢٥

١- (١) عمده القارى للعيني/ ٢٢٤ ج ٨.

٢- (٢) عمده القارى للعيني/ ٢٢٤ ج ٨.

٣- (٣) سنن أبي داود: باب الجنائز باب الميت يصلى على قبره بعد حين ج ٢.

٤- (٤) عمده القارى/ ٢٢٤ ج ٨.

ثم نقل قول السرخسى: أن التبريع من شعار الرافضه، وقال ابن قدامه: التسطیح هو شعار أهل البدع فكان مكروها.

وقد حكى الشوكانى فى نیل الأوطار قریب من هذا الكلام و ذكر فى زمن أماره خلافه عمر بن عبد العزیز على المدینه بنى القبر من قبل الولید بن عبد الملك و صیروها مرتفعه(١).

وقال ابن حجر فى فتح الباری و ما یكره من الصلاه فى القبور یتناول ما إذا وقعت الصلاه على القبر أو إلى القبر أو بین القبرین(٢).

و فى ذلك حدیث رواه مسلم من طریق أبى مرثد الغنوی مرفوعا «لا تجلسوا على القبور و لا تصلوا إليها أو علیها»(٣).

قلت: و لیس هو على شرط البخارى فأشار إليه فى الترجمة، و أورد معه أثر عمر الدال على أن النهی عن ذلك لا یقتضى فساد الصلاه، و ذكر تمادى أنس فى استمرار الصلاه عند القبر، و لو كان ذلك یقتضى فسادها لقطعها و استأنف(٤).

أقول یتظهر من ابن حجر و غیره إن المشهور عند علماء السنه عدی الفرقه الوهابیه و السلفیه حمل اللعن على الكراهه و تفسیر اللعن بمعنی البعد عن رحمه الله(٥) نظیر ما ورد فى كراهه الأكل منفردا و النوم وحده

ص: ٢٤

١- (١) نیل الأوطار: باب اختلاف العلماء فى أفضلیه تسنیم القبر أو تسطیحه ج ٤.

٢- (٢) فتح الباری لابن حجر/باب هل تنبش قبور مشرکی الجاهلیه ج ١.

٣- (٣) صحیح مسلم کتاب الجنائز/باب الصلاه على جنازه فى المسجد ج ٣.

٤- (٤) فتح الباری/باب هل تنبش قبور مشرکی الجاهلیه ج ١.

٥- (٥) و من ثم كان اللعن درجات أى أن البعد عن ساحه رحمته تعالى درجات متفاوتة كما أن القرب درجات أيضا فى مقابل البعد، و بعبارة أخرى أن الأفعال فى تسبیبها و تأثیرها للبعد عن رحمه الله تعالى هى متفاوتة شدة و ضعفا بحسب شدة البعد و قلته فالبعد الحاصل من المكروه الضعیف أقل من الحاصل من المكروه-

لقوله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم: (لعن الله من أكل وحده و سافر وحده و نام وحده) فإن مطلق اللعن كما هو الحال في مطلق النهي يستعمل بكثرة في الكراهة و هذا مما يشير إلى الأزمه بين الوهايبه و سائر المسلمين في منهجهم الحشوى في الاستظهار من الألفاظ في الروايات الوارده.

كما مر في كلام العيني أن قبره صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم كان مبنيًا و مرتفعا في الصدر الأول أقول يستفاد من كلامهما جملة أمور:

منها: أن جمهور علماء السنه عدا السلفيه (سواء المذاهب الأربعة أو غيرهم) لم يذهبوا إلى كون الأمر بالتسويه عظيمه أى إلزاميا و من ثم سوغوا التسنيم أو سوغوا الارتفاع مقدار شبر.

منها: أن قبر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم كان مبنيًا و في البنيه ارتفاع في صدر الأول و أعيد بناؤه عدة مرات في القرن الأول و الثاني مع اختلاف في درجات الارتفاع و كذلك قبر عمر و أبي بكر و المهاجرين و الأنصار و قبور شهداء أحد.

منها: أن جملة منهم حمل النهي عن إشراف القبر مع كونه تنزيها على ما لو أريد به المباهاه و الخيلاء و أين هذا من ما لو أريد به الشعيره الدينيه و ذكر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم و أهل بيته.

اختصاص هدم القبور بالمشركين:

كما روى هذا الحديث بألفاظ مختلفه فقد روى في جملة من مصادرهم عن علي عليه السلام قال: (كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم في جنازه فقال:

«أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها و ثنا إلا كسره و لا قبرا إلا سواه

و لا صوره إلا لطخها» فقال رجل: أنا يا رسول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع فقال على رضى الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله فانطلق ثم رجع فقال: يا رسول الله لم ادع بها وثنا إلا كسرتة و لا قبرا إلا سويتة و لا صوره إلا لطختها ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم» (١).

سبب نسخ النهى عن زيارة القبور:

و الحديث بهذه الألفاظ ظاهر فى مورده و هو خصوص قبور المشركين كما هو مورد جملة من الأحاديث التى استدلت بها فى المقام، كما هو الحال فى الحديث الآتى النهى عن زيارة القبور ثم نسخ بالأمر فى زيارتها، و فى الحقيقة أن النسخ فى المقام هو من باب تبديل الموضوع، فإن النهى الأول عن زيارتها فى صدر الإسلام كان فى مورد خصوص قبور المشركين بخلاف الأمر بزيارته القبور فإنه لقبور المسلمين الموحدين، و لذلك كان سيرته صلى الله عليه و آله و سلم كما يأتى فى حديث زيارة قبور المسلمين فى بقيق الفرقد و فى بعض الروايات كان يزورهم كل ليلة.

و سوف نذكر جملة من القرائن الروائية على اختصاص النهى بقبور المشركين و ما روى مستفيضا من قوله صلى الله عليه و آله و سلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، و روى النسائي فى سننه (باب زيارة القبور) بألفاظ أخرى و الشهيد الأول الذكرى فى أحكام الشريعة-البحث الخامس فى زيارة القبور (٢).

ص: ٢٨

١- (١) مسند أحمد/مسند على بن أبى طالب ج ١.

٢- (٢) ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة/البحث الخامس: زيارة القبور ج ٢.

كما روى ابن ماجه فى باب الجنائز (باب زياره القبور) حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أنبانا ابن جريح، عن أيوب بن هانئ، عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كنت نهيتكم عن زياره القبور، فزوروها. فإنها تزهد فى الدنيا، و تذكر الآخرة» (١).

كذلك ما ذكره عن ابن أبى مليكه عن عائشه: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رخص فى زياره القبور).

اتفاق جمهور السنه على رجحان زياره القبور:

و رواه الترمذى فى باب ما جاء فى الرخصه فى زياره القبور:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد كنت نهيتكم عن زياره القبور، فقد أذن لمحمد فى زياره قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكر الآخرة» قال: و فى الباب عن أبى سعيد و ابن مسعود و أنس و أبى هريره و أم سلمه، قال أبو عيسى حديث بريدة حديث حسن صحيح. و العمل على هذا عند أهل العلم لا- يرون بزياره القبور بأسا. و هو قول ابن المبارك و الشافعى و أحمد و إسحاق (٢).

و من ثم عرف عندهم بنسخ النهى عن زياره القبور إلى الأمر بها و إذا أمعنا النظر فى ذلك و ما رواه الفريقان من الأمر بزيارتها بعد النهى عنها يظهر منه أن ذلك لتبديل الموضوع و إن النهى السابق فى صدر البعته النبويه إنما كان متعلقا بقبور المشركين و أهل الجاهليه، و أن الأمر بزياره

ص: ٢٩

١- (١) سنن ابن ماجه/باب زياره القبور ج ١.

٢- (٢) سنن الترمذى/باب ما جاء فى الرخصه فى زياره القبور ج ٢.

القبور إنما هو بقبور المسلمين و الموحدین و يعضد هذا الاستظهار السابق و اللقوق الزمنى.

و يعضد هذا الاستظهار أيضا ما رواه البخارى من أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بنش قبور المشركين أى تسويتها بالأرض و إعفاء أثرها و اتخاذ المساجد عليها بعد ذلك و عقد بابا تحت عنوان هل تنبش قبور مشركى الجاهليه و يتخذ مكانها مساجد(١).

الحكمه فى الأمر بهدم قبور المشركين:

يظهر من مجموع الروايات أن النهى عن الاحتفاء بالقبور فى أوائل البعثه النبويه أو عندما بعث على إلى اليمن فى بدايه عهدهم للإسلام أو عندما بعث على أبا الهياج إلى بعض الأطراف الداخلة لتوها فى الإسلام و الأمر بهدم القبور المبنيه أو المشرفه(المرفوعه)و الأمر بإعفائها و طمسها هو لأجل قطع العلاقه بين الجيل الأول الداخلى فى الإسلام عن الجيل السابق من أقوامهم الذين كانوا على شرك الوثنيه لكى لا يتأثر أهل القبور من ذويهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٢).

و فى قوله تعالى: وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَاتُوا وَ هُمْ فَاسِقُونَ (٣).

فالآيتان تنصان على الفصل بين موتى و قبور المشركين و موتى

ص: ٣٠

١- (١) صحيح البخارى/باب هجره النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و أصحابه إلى المدينه ج ٤.

٢- (٢) سوره التوبه، الآية: ١١٣.

٣- (٣) سوره التوبه، الآية: ٨٤.

وقبور المؤمنين فإنه لا يجوز التردد و القيام و الاحتفاء بقبور النمط الأول بخلاف النمط الثاني فإنهما دالتان على مفروغيه عباديه و هى زياره القبور و القيام و الدعاء عندها و أنه سنه فى أصل الشريعه فإن لسانهما كالاستثناء من العموم السابق المقدر، مضافا إلى اشتمالهما على التعليل للنهى عن زياره قبور المنافقين بأنهم كفروا و أشركوا و التعليل يخصص و يفيد التفصيل.

و قد يشكل فى دلاله آيه القيام على القبر:

الإشكال الأول: إنها ليست فى صدد تفصيل الزياره للقبور لأن عنوان الزياره غير عنوان القيام على القبر.

الإشكال الثانى: إن القيام على القبر فعل يؤتى به عقب الدفن للصلاه على الميت لا مطلقا.

وضوح دلاله الآيتين على سنه زياره القبور:

الجواب على ذلك: بأن هذا القول مكابره واضحه فإن الزياره إلى القبر ليست إلا الذهاب إلى القبر و الكون عنده سواء فى حاله الوقوف أو الجلوس أى (الإقامه عنده) و القيام عند القبر لا يتحقق إلا بالذهاب إليه و الكون عنده قريبا سواء كانت حاله وقوفا أو جلوسا فوحده المراد بين العنوانين من الكنايه المستعمل فيها لفظ البعض أو الغايه مع إرادته الكل و المغيبى.

و لكى يتضح هذا المطلب نقول بأن القيام عند القبر غايه للذهاب الذى يحصل به مقدمه الزياره كما إنه بعض من مجموع فعل الزياره و هذا نظير ما ورد فى كتاب الحج من لفظ الوقوفين فى عرفات و المزدلفه فإن المراد منه الكينونه فى ذلك المكانين لا خصوص الوقوف مقابل

الجلوس، والحاصل أن النهى عن القيام على قبور المنافقين إنما هو بلحاظ الدعاء لهم و الترحم عليهم نظير مفاد الآيه الأولى و هذا الأمر يمارس عند زياره القبور و ليس المنهى عنه هو الوقوف المجرد و لا- يلتزم أحد بحرمة الوقوف المجرد عند قبور المشركين و الاقتراب منها بل الغايه هى التحريم بلحاظ الاستغفار و الترحم و الدعاء لهم و هو عمدته ما يمارس فى زياره القبور حتى فى صيغه التسليم على أهل القبور فإنه نمط من الدعاء و الترحم و الدعاء بالسلامه و الأمن لهم، و منه يظهر الجواب على الإشكال الثانى بأن الدعاء و التسليم على الميت لا يختص بمراسم الدفن فقط بل هو مستمر.

فإنه قد روى مستفيضا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للبقيع كل أسبوع و تسليمه عليهم و الدعاء لهم و قراءته الحمد و أنها تنير و تزيل ظلمه قبورهم، فقيامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على القبور غير مخصوص بمراسم الدفن و كذلك ما كانت تفعله سيده النساء فاطمه المطهره الصديقه من زيارتها لقبر سيد الشهداء حمزه أو شهداء أحد، ثم إن هناك فائده حكاها الألوسى فى روح المعانى عن السيوطى و هى دلالة هذه الآيه و دلالة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمه آمنه بنت وهب على كونها من الموحدين حيث إنه قد ورد فى الحديث تكرار زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لوالدته مره فى عام الحديبيه و مره بعد غزوه تبوك عند رجوعه منها كما سيأتى فى الفصل الثانى فى أدله الوجوب.

الحكمه فى النهى ثم الأمر بزياره القبور:

و قال العينى فى عمدته القارى و معنى النهى عن زياره القبور إنما كان فى أول الإسلام عند قربهم بعباده الأوثان و اتخاذ القبور مساجد، فلما استحکم الإسلام و قوى فى قلوب الناس و أمنت عباده القبور و الصلاة إليها نسخ النهى عن زيارتها لأنها تذكر الآخره و تزهد فى

الدنيا، وقال قبل ذلك و في (التوضيح) أيضا: و الأمة مجمعه على زياره قبر نبينا، صَلَّى الله عليه و آله و سلم (١) و يعضد ذلك أيضا ما رواه الفريقان من زيارته صَلَّى الله عليه و آله و سلم لقبر أمه آمنه بنت وهب.

جملة أخرى من روايات المستدل بها على الحرمة:

و من أدلتهم على الحرمة هذا الحديث روى أبي داود في سننه:

(حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شعبه، عن محمد بن جحاده، قال:

سمعت أبا صالح يحدث، عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج) (٢).

كما جاء في الترمذى (باب ما جاء في كراهيه زياره القبور للنساء): (حدثنا قتيبه أخبرنا أبو عوانه عن عمر بن أبي سلمه، عن أبيه، عن أبي هريره: أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم لعن زوارات القبور) (٣).

و قال الحاكم النيسابورى في المستدرک بعد روايته لهذه الروايه:

(لعن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم زائرات القبور المتخذين عليها المساجد و السرج) (٤).

الحكمه فى نهى النساء عن زياره القبور مقيده:

و فى تحفه الأحوذى: (و يؤيد الجواز- أى فى زياره النساء للقبور حديث أنس قال مر النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم بامرأه تبكى عند قبر فقال اتقى الله و اصبرى الخ... فإنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم لم ينكر على المرأه قعودها عند القبر و تقريره حججه) (٥).

ص: ٣٣

١- (١) عمدہ القارى/ ٧٠ ج ٨.

٢- (٢) سنن أبى داود/ باب فى زياره النساء القبور ج ٢.

٣- (٣) سنن الترمذى/ باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء ج ٢.

٤- (٤) الحاكم النيسابورى/ باب الأمر يخلع النعال فى القبور ج ١.

٥- (٥) تحفه الأحوذى/ باب ما جاء فى كراهيه زياره النساء ج ٤.

و على هذا يدل أن نهى النساء عن زياره القبور لأجل جزعهن و عدم جلدهن(١)و تبرمهن من قضاء الله و قدره و ما يصاحب ذلك من بعض المفاتن،و إلا مع أمن كل ذلك و كون زيارتهن لإحياء ذكرى معالم الدين و ذكريات حجج الدين و أيامهم الخالده فإن ذلك شعيره عظيمه البته.

زياره فاطمه بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم لقبر حمزه:

كما روى البيهقي فى السنن الكبرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن حسين عن أبيه:(أن فاطمه بنت رسول النبي الله صلى الله عليه و آله و سلم كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعه فتصلى و تبكى عنده)(٢).

و قال الحاكم فى المستدرک:(هذا الحديث رواه عن آخرهم ثقات (روايه أن فاطمه)و قال و قد استقصيت فى الحث على زياره القبور تحريا للمشاركة فى الترغيب و ليعلم الشحيح بذنبه أنها سنه مسنونه)(٣).

و كذلك ما ذكره ابن الحجر العسقلانى فى تلخيص الحبير(٤)و الشوكانى فى نيل الأوطار(٥)و قد مر فى كلام جملة من الأعلام بأن النهى عن زياره القبور هو بسبب الجزع و عدم الصبر على ذلك.

و فى الترمذى عن ابن عباس و حسان بن ثابت قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح،و قد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن

ص: ٣٤

١- (١) أحكام الجنائز للألبانى باب استدلال حافظ به على زياره النساء للقبور ص ١٨٥.

٢- (٢) السنن الكبرى للبيهقى/باب ما يقول إذا دخل مقبره ج ٤.

٣- (٣) المستدرک للحاكم النيسابورى/باب كانت فاطمه رضى الله عنها تزور قبر عمها حمزه كل جمعه ج ١.

٤- (٤) تلخيص الحبير/باب المستحب فى حال الاختيار أن يدفن كل ميت فى قبر ج ٥.

٥- (٥) نيل الأوطار/باب تفصيل حكم زياره القبور للنساء ج ٤.

يرخص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي زياره القبور فلما رخص دخل فِي رخصته الرجال وَ النساء، وَ قال بعضهم: (إنما كره زياره القبور للنساء، لقله صبرهن وَ كثره جزعهن) (١).

كما جاء فِي سنن النسائي: عن عبد الله بن بريده عن أبيه أنه كان فِي مجلس فِيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «إنى كنت نهيتكم أن تأكلوا لحوم الأضاحى» إلخ الحديث ثم قال: «و نهيتكم عن زياره القبور فمن أراد أن يزور فليزر و لا- تقولوا هجرا» (٢).

فیدل على أن النهى عن زياره النساء للقبور أو غيرهن محمول على خوف و قول ما يسيئ الكلام مع الله و التذمر من قضاء الله و قدره و نحو ذلك.

و ذكر فِي تحفه الأحوذى قوله (لعن زوارات القبور) قال القرطبى هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزياره لما تقتضيه الصيغه من المبالغه، و لعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج و ما ينشأ منهن من الصياح و نحو ذلك فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال وَ النساء على سواء (٣).

نسخ كل من النهى عن زياره القبور وَ النهى عن عمارتها:

وَ قال الشوكانى فِي النيل وَ هذا الكلام هو الذى ينبغى اعتماده فِي الجمع بين أحاديث الباب المتعارضه فِي الظاهر (٤).

ص: ٣٥

- ١- (١) سنن الترمذى/باب ما جاء فِي كراهيه زياره القبور للنساء ج ٢.
- ٢- (٢) سنن النسائي/باب الساعات التى نهى عن إقبار الموتى فِيهن ج ٤.
- ٣- (٣) تحفه الأحوذى/باب ما جاء فِي كراهيه زياره القبور للنساء ج ٤.
- ٤- (٤) تحفه الأحوذى/باب ما جاء فِي كراهيه زياره القبور للنساء ج ٤.

قال و هذه الأحاديث المرويه فى النهى عن زياره القبور منسوخه و الناسخ لها حديث علقمه بن مرثد، عن سليمان عن بريده، عن أبيه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم «قد كنت نهيتكم عن زياره القبور ألا فزوروها» فقد أذن الله تعالى لنيبه صلى الله عليه و آله و سلم فى زياره قبر أمه، و هذا الحديث مخرج فى الكتابين الصحيحين للشيخين (١).

أقول فيظهر من الحاكم أن الأمر بزياره القبور قد نسخ كلاً من النهى عن زيارتها و نسخ النهى عن عمارتها كما أنه يظهر مما حكاه الترمذى عن بعض أهل العلم و ما ذكر القرطبى و الشوكانى أن النهى عن زياره القبور و اتخاذ السرج و المساجد عليها هو لأجل الجزع و التبرم من قضاء الله و قدره و الظاهر من كثره العكوف عليها و من الواضح أن كل هذه المعانى بعيده عن شعيره عماره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قبور أهل بيته عليهم السلام.

الدليل الرابع: الروايات الوارده الناهيه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد

أشاره

منها: عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى مرضه الذى لم يقم منه «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» صحيح البخارى (٢).

فقد روى عن عائشه رضى الله عنها: (قالت لما اشتكى النبى صلى الله عليه و آله و سلم ذكرت بعض نساءه كنيسه رأيتها بأرض الحبشه يقال لها ماريه و كانت أم سلمه و أم حبيبه رضى الله عنها أتتا أرض الحبشه فذكرتا من حسنهما و تصاوير فيها فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله») (٣).

ص: ٣٦

١- (١) المستدرک على الصحيحين/كتاب الجنائز ح ١٣٨٥.

٢- (٢) صحيح البخارى/باب مرض النبى صلى الله عليه و آله و سلم و وفاته ح ٥.

٣- (٣) صحيح البخارى/باب فى الجنائز ح ٢.

عن عبد الله بن عبيد الله، و عن عائشه، أنهما قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم طفق يلقي خميصه على وجهه فلما اغتم رفعناها عنه و هو يقول لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تقول عائشه يحذرهم مثل الذى صنعوا(١).

و روى الدارمى فى سننه بألفاظ أخرى عن ابن عباس و عائشه قالا لما نزل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم طفق يطرح خميصه له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال و هو كذلك «لعنه الله على اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا»(٢).

و روى أحمد فى مسنده عن أبى هريره عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «اللهم لا تجعل قبرى و ثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣).

و روى عن عائشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى مرضه الذى لم يقم منه: «لعن الله اليهود و النصارى فإنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قال قلت و لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا»(٤).

و روى عن مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «اللهم لا تجعل قبرى و ثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قال ابن عبد البر لا خلاف عن مالك فى إرسال هذا الحديث(٥).

ص: ٣٧

- ١- (١) مسند أحمد/مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ج ١.
- ٢- (٢) سنن الدارمى/باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد ج ١، السنن الكبرى ذكر ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى وجعه ج ٤.
- ٣- (٣) مسند أحمد/مسند أبى هريره ج ٢.
- ٤- (٤) مسند أحمد/حديث السیده عائشه رضى الله عنها ج ٦.
- ٥- (٥) الموطأ/باب جامع الصلاه ح ٤١٤ ج ١.

و رواه أحمد في مسنده عن أبي هريره، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً و حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى»(١).

و ما جاء في سنن أبي داود عن أبي هريره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا على، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»(٢).

و في مجمع الزوائد للهيثمى عن أبي عبيده قال كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أخرجوا يهود أهل الحجاز و أهل نجران من جزيره العرب اعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه أحمد بإسنادين(٣).

و روى الهيثمى فى قوله (لا تجعلن قبرى وثناً) عن أبي هريره قال:

(لا تجعلن قبرى وثناً لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أبو يعلى و فيه إسحاق بن أبي إسرائيل(٤) و حديث عائشه رواه النسائى فى سننه باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد(٥) و ما رواه البيهقى فى سننه فى باب النهى عن الصلاه إلى القبور و كذلك فى مجمع الزوائد عن أسامه بن زيد(٦).

ص: ٣٨

١- (١) مسند أحمد/مسند أبي هريره ج ٢.

٢- (٢) سنن أبي داود/باب زياره القبور ج ١ ح ٢٠٤٢.

٣- (٣) مجمع الزوائد للهيثمى/باب فى جزيره العرب و إخراج الكفره ج ٥.

٤- (٤) مجمع الزوائد للهيثمى/باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجعل قبرى وثناً ج ٤.

٥- (٥) سنن النسائى/باب اتخاذ القبور مساجد ج ٤.

٦- (٦) مجمع الزوائد/باب فى الصلاه بين القبور و اتخاذها مساجد ج ٢.

و يؤيد ذلك ما روى من قول ابن عباس فى ذيل قوله تعالىو قالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا (١).

عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم:صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد،أما ود:كانت لكلب بدومه الجندل،و أما سواع:

كانت لهذيل،و أما يغوث:كانت لمراد،ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبأ و أما يعوق فكانت لهمدان و أما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا و سموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك و تنسخ العلم عبدت(٢).

و اعترف ابن تيميه فى منهاج السنه أن النهى عن عباده الأصنام لا مجرد زياره القبور(٣).

اتخاذ قبره وثنا أى نصب التماثيل كأصنام على القبر:

الجواب بالاستدلال على هذه الأحاديث:أن لسان هذه الروايات رادعه عن اتخاذ الأوثان من الصور و التماثيل التى على هيئه رسم صاحب القبر من الأنبياء أو الصالحين فتتخذ تلك التماثيل و الصور أصناما تعبد كآلهه على نسق ما يفعله المشركون فهى بعيدة كل البعد عن عماره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و اتخاذ قبره و روضته مكانا لعباده الله و التوجه به إلى الله و المراد من هذه الروايات ذلك دون عماره قبر النبى صلى الله عليه و آله أفضل الصلوات و تشعيره موطنا عباديا و يدل على ذلك ما ورد من جملة قرائن.

ص:٣٩

١- (١) سورة نوح، الآية:٢٣.

٢- (٢) صحيح البخارى/باب سورة قل أوحى إلى ج ٦.

٣- (٣) منهاج السنه/٢٧ ج ١.

منها: ما سيأتى فى أدله وجوب عماره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من تشعير قبره مشعرا عباديا كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم المستفيض المتواتر: (ما بين منبرى وبيتى روضه من رياض الجنه) ومفاده الحث على اتخاذ قبره مشعرا لعباده الله كما فى قوله تعالى: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (١)**.

و منها: ما سيأتى فى أدله الوجوب من الروايات الحاثه أكيدا على زياره قبره الشريف و توقيت فعل الحج بزياره.

و منها: ما مر فى ألقاظ بعض هذه الطائفه من الروايات-التي استدلوها بها-من التصريح بأن هؤلاء الذين لعنوا قد صوروا على صور الأنبياء و الصالحين فعبدوها كذلك ذكر لفظه تماثيل.

الحكمه فى النهى عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة:

و من ثم حمل ابن حبان فى صحيحه بعد ما روى عن ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر منبوذ فصلى عليه فصلينا معه قال أبو حاتم رضى الله عنه فى هذا الخبر بيان واضح أن صلاه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على القبر إنما كانت على قبر منبوذ و المنبوذ ناحيه فدللتك هذه اللفظه على أن الصلاه على القبر جائزه إذا كان جديدا فى ناحيه لم تنبش أو فى وسط القبور لم تنبش فأما القبور التي نبشت و قلب ترابها صار ترابها نجسا لا- تجوز الصلاه على النجاسه إلا أن يقوم الإنسان على شىء نظيف ثم يصلى على القبر المنبوش دون المنبوذ الذى لم ينبش (٢).

ص: ٤٠

١- (١) سورة البقره، الآية: ١٢٥.

٢- (٢) صحيح ابن حبان/باب إباحه الصلاه على قبر المدفون ج ٧.

اتخاذ القبور مساجد أى السجود و الصلاة عليها:

و مقتضى كلامهم أن كراهه اتخاذ القبور مساجد(إنما يكره باعتبار القرب من احتمال النجاسه).

أقول:مما يعضد حمل النهى على أنه ما لو أتخذ فوق القبر صور و تماثيل كالأوثان و الأصنام و أن حديث عائشه المتقدم و النهى من قبل النبى الأكرم هو تحذير للمسلمين مما صنع اليهود و النصارى مع أنبيائهم حيث ديدن فعلهم على رسم تصاوير للسيد المسيح و السيده العذراء مريم و هم يتخذونها آلهه ثلاثه مع الله كما هو نص الآيه القرآنيه فى قوله تعالى:وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ (١) فيعبدون الصور.

و نظير هذه الطائفه ما رواه ابن حنبل فى مسنده عن أبى عبيده(قال آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه و آله و سلم اخرجوا يهود أهل الحجاز و أهل نجران من جزيره العرب و اعلموا ان شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(٢).

و فى بعض طرق روايته عن عروه بن الزبير عن عائشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:(فى مرضه الذى لم يقم منه لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قال قلت و لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا)(٣).

و أما الجواب التفصيلى عن الروايه الأولى:فقد تقدم أنها محموله إما على فعل اليهود و النصارى من تأليه عيسى و عزيز عليهما السلام حيث قالوا

ص:٤١

١- (١) سورة النساء، الآيه:١٧١.

٢- (٢) مسند أحمد/حديث أبى عبيده بن الجراح ج ١.

٣- (٣) مسند أحمد/حديث السيده عائشه رضى الله عنها ج ٦.

أنهما ابنا الله، وقد مر لسان تلك الأحاديث تفسير هذه الجملة بذلك و يحتمل في معنى الروايه ما ذكره غير واحد من شراح الحديث من لعن الصلاه على القبور و الوقوف برجليه عليه مما يوجب إزراء و هتك لصاحب القبر.

بناء قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّدرِ الْأوَّلِ:

و أما الجواب على الروايه الثانيه: فيفند الذيل الذى هو من كلام الراوى لا من الحديث المروى بأن إبراز قبره الشريف قد حصل منذ أول ساعه دفنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دفن فى غرفته المشتركه بينه و بين فاطمه سلام الله عليها و هى التى قبض فيها و تعين دفنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى موضع القبر بتدبير من أمير المؤمنين عليه السلام و الظاهر أنه بوصيه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و كان بمراى جميع المسلمين من الصدر الأول و الغرفه بنيان مرتفع بالجدران المحيطه من الجوانب الأربع و هى محيطه بالقبر الشريف كإحاطه الضريح و شبابيك و بالتالى فيكون دفنه فى الغرفه من البدء هو تخصيص لقبره الشريف و تشييد و بناء حوله و إبراز و إظهار للقبر الشريف كمعلم و تشعير للموضع فضلا عن التشعير الذى ورد فى قوله تعالى: **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ** (١) و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه» (٢).

اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بأنه ابن الله أو بالقول بتعدد

الآلهه:

و نظير ذلك مقاله اليهود من كون عزيز هو ابن الله كما يعضد ذلك ما روته عائشه من إنه لو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ

ص: ٤٢

١- (١) سورة النور، الآية: ٣٦.

٢- (٢) مسند أحمد/مسند أبى سعيد الخدرى ج ٣، حديث عبد الله بن زيد عاصم ج ٤.

مسجداً فإن قولها ذلك مع كون قبره مبرزاً بلحاظ بناء الحجره التي جعل فيها القبر الشريف فيكون المراد من إبراز القبر و اتخاذه مسجداً أى معبوداً و قبله بنصب تمثال و صورته.

كما يفعل النصارى فى كنائسهم و جعل النبى عيسى عليه السلام إليها فيستقبل تمثاله للعباده كما أنه ليس كل استقبال عباده إذا كان من دون تأليه و إلا- لكان أمر القرآن الكريم لاستقبال مقام إبراهيم قبله مع الكعبه هى عباده لإبراهيم و حاشا القرآن عن ذلك.

و مما يعضد هذا الحمل أيضا اقتران النهى عن اتخاذه و ثنا بما فعلته اليهود و النصارى لقبور أنبيائهم فإن الاقتران بين الأمرين يدل على أن الجبهه المنهيه عنه فى اتخاذه قبره و ثنا ليس عماره قبره الشريف لعباده الله جنب القبر بل المراد عدم الانزلاق إلى ما فعله النصارى من تأليه الأنبياء و القول بأنهم أبناء الله أو أن الآلهه ثلاثه.

و مما يعضد ذلك عندهم ما رواه بطرق مختلفه منها ما جاء فى السنن الكبرى للبيهقى:

(حدثنا أنس قال قمت يوماً أصلى و بين يدي قبر لا أشعر به فنادانى عمر القبر القبر فظننت يعنى أنه يعنى القبر فقال لى بعض من يلينى إنما يعنى القبر فتحنيت عنه). مما يعنى إنه تقدم و صلى و جاز القبر (و فى روايه أخرى استمر فى صلاته) لم يقطع صلاته(١)، و قد استدلوا به على عموم عدم استعادته الصلاه و إنها جائزه و إن كانت مكروهه(٢).

و قد حكى ذلك فى عمدته القارى عن جماعه كثيره مثل عبد الله بن

ص: ٤٣

١- (١) السنن الكبرى/باب النهى عن الصلاه إلى القبور ج ٢.

٢- (٢) عمدته القارى/١٧٢ ج ٤.

عمر و جماعه من التابعين مثل الحسن البصرى و حكى عن شرح الترمذى و مالك فيظهر منهم صحه الصلاه عند القبر و المقابر(١).

و قد مر فى كلام ابن حجر بأنه(و لو كان ذلك يقتضى فسادها لقطعها)مما يعنى ذلك بأن الصلاه إلى القبر و جعله قبله ليس هو عباده لصاحب القبر و تأليه و إلا لبطلت الصلاه قطعاً.

اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد أى بالقول بتأليهم:

قوله و ما يكره من الصلاه فى القبور:يتناول ما إذا وقعت الصلاه على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين و قال البيضاوى:لما كانت اليهود و النصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم و يجعلونها قبله يتوجهون فى الصلاه نحوها و اتخذوها أوثاناً لعنهم و منع المسلمين عن مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح و قصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له و لا التوجه نحوه فلا يدخل فى ذلك الوعيد(فى حديث جواز الحكايه)(٢).

و حكى أصحابنا اختلافاً فى الحكمه من النهى عن الصلاه فى المقبره،ف قيل:(المعنى فيه ما تحت مصلاه من النجاسه)و قال القاضى حسين:إنه لا كراهه مع الفرش على النجاسه مطلقاً.و حكى ابن الرفعه فى(الكفايه):إن الذى دل عليه كلام القاضى:أن الكراهه إنما لحرمة الموتى(٣).

ص: ٤٤

١- (١) عمده القارى ج ٤/١٧٣.

٢- (٢) عمده القارى ج ٤/١٧٤،فتح البارى:باب هل تنبش قبور مشركى الجاهليه ج ١.

٣- (٣) عمده القارى ج ٤/١٧٣.

ثم حكى عن القرطبي أن ما جاء في روايه اتخاذ الصور و التماثيل على القبور الصالحين قوله (إنما صور أوائلهم الصور ليأتسوا برؤيه تلك الصور و يتذكروا أفعالهم الصالحه فيجتهدون كاجتهادهم و يعبدون الله عند قبورهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم و وسوس الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور و يعظمونها فعبدوها، فحذر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم عن مثل ذلك، و لما احتاجت الصحابه رضی الله عنهم، و التابعون إلى زياده مسجده عليه الصلاه و السلام بنوا على القبر حيطانا مرتفعه مستديره حوله لثلاثه متصل إليه العوام فيؤدى ذلك إلى المحذور. ثم ذكر العيني عن ابن بطال قوله إنما النهى عنه لاتخاذهم القبور و الصور آلهه.

و حكى عن الشافعي و أصحابه القول بکراهه بناء المساجد على القبور، ثم حكى البيضاوي حمل النهى على التأليه و قال و أما من اتخذ مسجدا في جوار صالح و قصد التبرک بالقرب منه لا للتعظيم له و لا للتوجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور (1).

بل أقول و كلماتهم شاهد على إرادته معنى التأليه من النهى المزبور لا بما فهمه السلفيون من عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و زيارته و عباده الله عند قبره الشريف.

و يجاب أيضا على فرض التسليم بإيهام دلالتها أن أحاديث زياده النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و عماره قبره و أهل بيته مقدمه على إيهام دلالة هذه الروايات لوجه:

منها: أنها متواتره كما في الحديث المستفيض «ما بين قبري و منبري روضه من رياض الجنه» و مضمونه قطعي ضروري بين المسلمين

ص: ٤٥

عبر الأجيال و القرون و معتضده بالسيره القطعيه للمسلمين من الصدر الأول بل بسيره المسلمين فى التعاطى مع قبر إبراهيم الخليل عليه السلام و قبور بقيه الأنبياء فى أراضى الشامات مضافا إلى أن هذه الروايات أخص فى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ من الروايات الناهيه، و إنها معتضده بالكتاب كقوله تعالى:

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَمًّا و قوله تعالى: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ أَنَّ الْأُدْلَةَ الْأَمْرَهُ (بزياره قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و عمارته) بينما الروايات الناهيه فى اتخاذ القبور مساجد محتمله لوجوه متعدده و قد عرفت أن أظهرها وجه آخر.

الدليل الخامس: رواه مسلم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد: مسجدي هذا، و المسجد الحرام، و المسجد الأقصى» (١).

و رواه الطبرانى فى معجم الكبير: قال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد: المسجد الحرام، و مسجد الرسول، و مسجد الأقصى» (٢).

و رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣) و رواه البزاز بتقريب أن النهى بالحرمة فيدل على حرمة السفر إلى زياره القبور.

الإجابة:

و يرد عليه أنه قد تقدم و سيأتى جملة من الأجوبه على الاستدلال بهذا الحديث و ملخصها.

ص: ٤٦

١- (١) صحيح مسلم: باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد ج ٤، و باب سفر المرأة مع محرم ج ٤.

٢- (٢) المعجم الكبير للطبرانى ج ٢/٢٧٧، ج ٢٢/٣٦٦.

٣- (٣) مجمع الزوائد للهيثمى: باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لا تشد الرحال ج ٤.

الثلاثة:

أولاً: أن (لا) هنا ليست للنهي بل لنفي مطلق الكمال الأتم و حصرها في المساجد لمعهوديه هذا الاستعمال في هذا المعنى و يشهد له أيضا ورود لفظ الحديث بلسان غير مشتمل على لفظه (لا) نظير (أنما يسافر إلى ثلاثة) و بنحو آخر نظير (تشد الرحال إلى ثلاثة) و لأجل ذلك ذكر النووى فى شرح مسلم أن الصحيح عند الجمهور هو الذى اختاره المحققون و إمام الحرمين أنه لا يحرم و لا يكره السفر إلى غير الثلاثة و إنما المراد أن الفضيله التامه إنما هى فى شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة (1).

ثانياً: أن المستثنى منه غير مذكور فلا بد له من نحو تقدير، فإن قدر لفظ المسجد فيكون معنى الحديث أنه لا تشد الرحال إلى مسجد إلا ثلاثة فلا يدل المعنى على مطلوبهم من قصد السفر إلى زياره قبورهم الشريفه.

و إن قدر مطلق السفر القربى أى لا تشد الرحال إلى سفر ابتغاء وجه الله إلا إلى ثلاثة و هذا مع أنه تقدير بلا شاهد و تمحض من التأويل الذى ينكرونه فى منهجهم و يرتكبونه فيما يتبنونه من الشذوذ فى معتقداتهم التى يخالفون بها المسلمين، فإنه مع ذلك لا يمكن الالتزام به لتخصيصه بالأكثر و هو مستهجن فإن السفر لأجل صله الرحم و صله الأخوان المؤمنين و الجهاد فى سبيل الله و المرابطه و طلب العلم و البر و التعاون على المعروف و الهجره إلى الله و رسوله و فى شتى السبل للغير كل ذلك

ص: ٤٧

١- (١) شرح مسلم للنووى-باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج و غيره ج ٩.

ما لا يحصى من رجحانه الأکید فی الشریعه بالإضافه لو سلمنا بالعموم فهو مخصص بما دل علی رجحان زیاره النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

كما أن ما دل علی شعیریه قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم أخص مطلقا من هذا العموم (لا تشد الرحال) مضافا إلى أن ما دل علی شعیریه زیارته مطابق لدلیل القرآن و هو قوله تعالیو اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّیًّا و لقوله تعالیفی یُوتِ أذنَ الله أن ترفعَ و یُذکر فیها اسمُهُ كما تبین ذلك فی البحث القرآنی مفصلا.

فضیله المسجد النبوی بأهل البیت علیهم السلام:

ثالثا: أن استثناء المسجد النبوی كما سیأتی من عدم شد الرحال یعنی فی الحقیقه استثناء قبر النبی و قبور أهل بیته لأن مسجده صلی الله علیه و آله و سلم إنما اكتسب الفضیله لنسبته إلى بیوته و هو قوله تعالی صلی الله علیه و آله و سلم: (ما بین منبری و بیوتی روضه من ریاض الجنه).

نظیر قوله تعالی فی شأن مسجد النبی موسی علیه السلام أو حینا إلى موسی و أخیه أن تبوءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَیوتاً و اجعلوا بَیوتکم قِبَلَهُ و أقیموا الصَّلَاةَ و بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١).

و تقرب الاستدلال: أن مسجد النبی أضيف إلى النبی صلی الله علیه و آله و سلم و ابن عمه علی بن أبی طالب كما أضيف مسجد موسی إليه و إلى أخیه هارون و كما سدّ موسی علیه السلام الأبواب عن المسجد إلا بابه و باب أخیه هارون فكذلك سدّ النبی صلی الله علیه و آله و سلم الأبواب عن مسجده إلا بابه و باب علی و فاطمه و ذریتهما و هی إحدى الموارد التي قال فیها صلوات الله علیه (أنت منی بمنزله هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی) فتضاعف الثواب فی

ص: ٤٨

المسجد لمكان بيوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فصار روضه من رياض الجنه، و سيأتي أعظم مواضع الروضه هي نفس بيوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و التي منها بيت على و فاطمه و بيوته شامله لبيوت ذريته المعصومين فيندرج في استثناء مسجده كافه بيوت الأنبياء و قبورهم و بيوت أهل البيت عليهم السلام و قبورهم.

رابعاً: إن استحباب شد الرحال إلى المسجد النبوي يلزم زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأن مسجده في جنب قبره الشريف فالمجىء إلى مسجده يلزم الذهاب إلى القبر الشريف، و كذلك رجحان شد الرحال إلى المسجد الحرام فإنه يلزم زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما ورد (من حج و لم يزرني فقد جفاني).

الدليل السادس: قوله تعالى: **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ (١).**

و قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (٢).**

و تقريب الدلاله للآيه الأولى: أن الظاهر و المتبادر من هذه الآيه أن من في القبور لا يسمعون و لا يمكن للحى أن يخاطبهم و لا أن يكلمهم، فطريق الاتصال بين الأحياء و الأموات منقطع فلا- معنى حينئذ يتحصل لزيارتهم، و يظهر من الآيه الثانيه: خطاب للمؤمنين بالله و رسوله بأن لا يوالوا قوما غضب الله عليهم و الذين حل عليهم الغضب الإلهي نتيجة أعمالهم السيئه و القبيحه في هذه الدنيا و يأسهم من رحمه الله عزّ و جل و ثواب الآخره لعدم إدخارهم العمل الصالح، فإن هؤلاء حالهم كمن يئس من أصحاب القبور و الموتى و النشأ الثانيه فلا يرجونهم في جلب

ص: ٤٩

١- (١) سورة فاطر، الآيه: ٢٢.

٢- (٢) سورة الممتحنه، الآيه: ١٣.

نفع ولا ضرر وذلك لاعتقادهم بأن الميت انقطع عن هذه الحياه بموته ولا جدوى من زيارته.

و ضم إلى الاستدلال بهاتين الآيتين الاستدلال بما ورد في الحديث النبوى الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقه جاريه) (١) بتقريب أن زياره الزائر للميت لا تنفعه بشيء لانقطاع العمل فلا يستريد عملا من الحى الزائر ولا يستريد الحى من الميت كذلك لأن الميت لا يقوى ولا يستطيع أن يأتى بعمل ينفع به نفسه ولا عملا ينفع به الآخرين من الأحياء.

الحياه فى الآخرة و البرزخ أشد قوه من الدنيا:

و الجواب: أن دلالة الآيتين على عكس ما قرر تماما فإن الآيه الأولى تبين أن الذى يكذب برسالة الرسل و برسالة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و بالبشاره و النذير الإلهى هو ميت و إن كان يحيا فى دار الدنيا و ان من يصدق و يؤمن بالإيمان فهو حى و هو الذى يسمعه الله دينه و أما الذى يكذب فهو فى صمم و عمى بمثابه الميت الذى عطلت أعضائه عن الحركة نظير ما ورد فى قوله تعالى فَلَمْ يَسْتَبْرُوا فِي الْمَأْرُضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٢).

حيث ركز القرآن الكريم على أعضاء جوارح الروح و أنها أهم فى صفه الحياه و الموت من أعضاء جوارح البدن الدنيوى.

ص: ٥٠

١- (١) بحار الأنوار ج ٢: باب ثواب الهدايه و التعليم و فضلها.

٢- (٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

و نظير ما ورد في قوله: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا (١).

فإن المراد ليس هو عمى العين كعضو للبدن بل عمى القلب و من ثم ورد أن الجاهل بين العلماء كالमित بين الأحياء و أن العالم بين الجهال كالحى بين الأموات، فالحياء و الموت بلحاظ الروح تختلف عن الحياه و الموت بلحاظ البدن، فالإدراك و الشعور حياه، و الجهل و الغفله موت، و الإيمان حياه فاعله، و الكفر و التكذيب بالحق موت، و هذا نظير اصطلاح القرآن الكريم فى لفظه القرية و القرى و لفظه المدينة كما فى قوله تعالى: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (٢).

قال تعالى: وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٣) فإن المرسلين الثلاثة أرسلوا إلى المدينة العامره، و مع ذلك سماها القرآن قرية و ذلك لكون أهلها كفار و بعكس ذلك المكان الذى منه أتى المؤمن (حبيب النجار) فى العمران و البناء و ذلك لكون أهلها مؤمنين و التمدن فى القرآن هى بلحاظ الإيمان الذى هو كمال و تطور للبشرية و الكفر تخلف و انحطاط لها.

و نظير ذلك الأمية و العلم و التعلم فى القرآن فإنه أطلق على أهل مكة بالأمة لأنه لم يبعث فيهم رسولا- من قبل و لم ينزل عليهم كتاب فليسوا بأهل الكتاب فى مقابل أهل العلم و نظير ذلك قوله تعالى:

وَ إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (٤).

ص: ٥١

١- (١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

٢- (٢) سورة يس، الآية: ١٣.

٣- (٣) سورة يس، الآية: ٢٠.

٤- (٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

حيث دلت على أن الدار المفعمه بالحيويه و الحياه ذات النفخ الحيوى هى دار الآخره و كأنما دار الدنيا و الحياه فيها أقرب إلى الموت منها إلى الحياه و الدار الآخره أقرب إلى الحياه منها إلى الموت.

و قوله تعالى: **وَ الْمَآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (١)** و كما فى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا) مما يعنى بأن الحواس الخمس التى يمتلكها الإنسان فى دار الآخره هى أشد بمراتب من الكائن فى دار الدنيا.

كما يشير إلى ذلك أيضا قوله تعالى: **فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢)** فتشير الآية إلى أن البصر فى دار الدنيا محجوب بغطاء و لا حده فيه ليصير الحقائق و الواقع، و نظير ذلك ما ورد عن سيد الشهداء الحسين عليه السلام: (إن الدنيا حلوها و مرها حلم) فيتحصل من مجموع الآيات و الروايات أن الشعور و الإبصار و السمع عند أهل الآخره أشد و أقوى و أحد من إدراك أهل دار الدنيا.

اليأس من الموتى و أصحاب القبور من صفه الكفار و المنافقين

و الإيمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنين:

و أما الآية الثانية: فدلالاتها صريحه فى خطأ الكفار فيما يعتقدون اتجاه أصحاب القبور نظير خطأ المغضوب عليهم فى اليأس من الآخره فإن المغضوب عليهم لعدم إيمانهم بالآخره لا يعولون و لا يطمثون إلى وجود الآخره و ما فيها من ثواب الله و رضوانه و دار أنعامه مع أن الدار الآخره هى حقيقه واقعه و موجوده و هى دار أعظم شأننا وسعته و فسحة و جمالا و جلالا و بهاءا من دار الدنيا إلا أن المغضوب عليهم بسبب عدم

ص: ٥٢

١- (١) سورة الأعلى، الآية: ١٧.

٢- (٢) سورة ق، الآية: ٢٢.

إيمانهم أخطؤوا و جهلوا هذا الأمر نظير جهل الكفار بشأن أصحاب القبور و أنهم موجودون في دار البرزخ منعمون إن كانوا من أهل النجاه و معذبون إن كانوا من أهل الهلاك فاليأس من أصحاب القبور هي من صفات الكفار و المنافقين لعدم إيمانهم بالآخرة بينما الأمل في أصحاب القبور بوجودهم و التواصل معهم و الصلحه بهم، و الارتباط هي من صفات المؤمنين بالآخرة و المعاد، فلا غرو و لا عجب في تشديد النكير على زياره أهل القبور و الأولياء و الأصفياء و الصالحين من قبل الوهابيه، فإن هذا لا يصب إلا- في مواجهه الإيمان بالآخرة و المعاد و الحساب، و أنه نظير مقوله الكفار في قوله تعالى: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (١).

فحصروا الحياه بدار الدنيا و أنكروا الحياه الآخرة و البرزخ و في قوله تعالى: وَ جَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) (٢).

و قوله تعالى: لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣).

الصد عن زياره القبور صد عن الآخرة و دعوه للعكوف على

الدنيا:

حيث تدل الآيه على أن الموت انتقال من دار إلى دار و يريد الميت أن يرجع كما ورد في الحديث النبوي:

ص: ٥٣

١- (١) سورة الجاثيه، الآيه: ٢٤.

٢- (٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٣-٢٤.

٣- (٣) سورة المؤمنون، الآيه: ١٠٠.

وإنما تنقلون من دار إلى دار) و يقسم بها الإنسان الميت عند سوجه إلى الممر الذى يؤدي به إلى البرزخ والآيات و الروايات الداله على الحياه البرزخيه أكثر من أن تحصى، فالصدّ عن زياره القبور صدّ عن التوجه إلى الآخره و دعوه إلى العكوف على الدار الدنيا الذى هى مرام الدهريين و قد تكرر فى القرآن الكريم التعبير عن الموت بأنه وفاه و توفى و الوفاء هو التمام و الإتمام و استيفاء التمام كما فى قوله تعالى: وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ (١).

فالتعبير بتوفته أى أنهم يستوفون تمام ذات الإنسان من دون نقص أى أن تمام حقيقه ذاته تستوفىها الملائكه عند الموت و لا يبقى منها شىء فى دار الدنيا بل ينتقل بتمامه إلى البرزخ و من ثم فذات الإنسان لا تتبدد و لا تفنى كما يزعم هؤلاء المنكرون للدار الآخره و قد أطلق على نفس هذا الفعل أنه نزع أى نزع للروح عن البدن و انتقال بها إلى بدن برزخى كما فى قوله تعالى: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) (٢).

و أطلق عليه السوق و الانتقال و الحرکه أيضا كما فى قوله تعالى:

وَ التَّفَّتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) (٣) و قوله تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٤).

فيشير إلى نزع الروح و بلوغها التراقى حين الموت و أنه حينئذ تساق ذات الإنسان و روحه إلى الله فلا تفنى و لا تتبدد، و لو أردنا أن نخص الآيات فى ذلك لطل بنا المقام فهؤلاء فى دعوتهم للصدّ عن زياره

ص: ٥٤

١- (١) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.

٢- (٢) سورة النازعات، الآية: ١.

٣- (٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٩-٣٠.

٤- (٤) سورة القيامة، الآية: ٢٦.

القبور يصدون عن سبيل الآخرة ويزعجهم و يورقهم تذكر الآخرة فيريدون من الناس العكوف على دار الدنيا والانتهاه بها و الغفله عن دار الجزاء و الغفله عن الموت و الانشغال بمتاع الدنيا فكم هي دعوه هدامه يروج لها أبناء الدنيا لمحاربه أبناء الآخرة و قد أشير في الحديث النبوى المتقدم إلى الحكمة من زياره القبور أنها تذكر الآخرة فهؤلاء فى صدهم عن زياره القبور يصدون عن تذكر الآخرة و عن التفكير فيها.

و أما الحديث فدلالته على عكس مطلوبهم (فإن دعاء الولد الصالح للأب الميت يفيد الميت و هذا لا يختص بدعاء الولد بل بكل صالح يستجاب دعائه فى حق الميت بل بكل صالح يدعو له كما ورد فى الروايه النبويه عن أبى هريره عنه صلى الله عليه و آله و سلم: (إن هذه القبور مملوءه ظلمه على أهلها و إن الله عزّ و جل ينورها بصلاتى عليها)، كما هو فى مسند أحمد و ابن داود فهذا باب يدل الحديث الشريف على انتفاع الميت بدعاء الصالحين، بل إن الإنسان قد يستفيد من عمل الأموات إذا كانوا صالحين كما دلت عليه الآيه الشريفه: وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١).

ص: ٥٥

الفصل الثاني: وجوب عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و تشعيرها كمشعر و حرم إلهي

الدليل الأول:البيانات القرآنيه

اشاره

ص: ٥٧

تحديد موضوع البحث و هي أن عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و قبور عترته مشعر و مشاعر إلهيه و نحاول تفصيل البحث فيها عبر الجهات التاليه:

الجهه الأولى: و هي أن عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و قبور عترته مشاعر إلهيه و ركن من معالم الدين.

الجهه الثانيه: و هي أقوال الفريقين و المذاهب الإسلاميه فى هذه القاعده الشريفه الاعتقاديه الإسلاميه.

و فى قبال ذلك رصدت الكتب الإسلاميه أفعال هذه الشرذمه التى تحارب المشاهد المشرفه و ما فعلوا من الأفاعيل النكراء فى مكه و المدينه فى كتب كثيره فى صدد هذا المطلب شاهدا على أفعال هؤلاء الذين يحملون شعار الماديه و الحس المادى كمحور يقدر قبال الغيب باسم التوحيد و يقومون بهدم عقائد المسلمين.

كما تبين الحكم الشرعى لهذه القاعده الشريفه و هي وجوب عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و قبور عترته سلام الله عليهم و بأنها مشاعر إلهيه خلافا لهذه الفئه.

و من الضرورى أن نبين بأن البحث ليس فى صدد بيان مشروعيه هذه القاعده الشريفه أو عدمها بل هذه مرحله متراجعه عند المسلمين

أمام شقائق الزنديقيه لهؤلاء و إنما نحن فى صدد بيان بأن عماره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم و قبور عترته ركن من معالم الدين و أن هذه المشعريه أعظم من مشعريه الكعبه و أعظم من مشعريه المسجد الحرام عندما استعرضنا كلمات جملته من علماء المذاهب الإسلاميه المجمعين على أن موضع الأعضاء الشريفه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أعظم و أشرف من الكعبه و هذا أمر مسلم لديهم كما فى نقل السمهودى فى أوائل كتابه وفاء الوفاء.

و الهدف من هذا البحث بيان الأمور على حقيقتها كما فى إجماع المذاهب الأربعة بأن التراب حول الأعضاء الشريفه أعظم من الكعبه فضلًا عن المسجد الحرام، و هذا عند الإماميه أمر واضح و مسلم، كما أن هناك بعض الكلمات الساذجه الانهزاميه فى الوسط الداخلى تستنكر و تستغرب من القول بأفضليه كربلاء المقدسه على الكعبه مع أن النصوص الوارده لدينا مستفيضه و متضافره فى ذلك و هذا فى الواقع طمس للحقائق المسلمه عند الإماميه.

الجهه الثالثه:هى عباره عن استعراض جملته من النفثات الباطله لهذه الفئه فى قبال هذه القاعده الشريفه كما نذكر بعض الفتاوى الشيطانيه التى تشبث بها هؤلاء الذين يتجرؤون فى صريح الكلام على إنهم لو أتوا القدره لهدموا القبه النبويه فإن مثل هذه التعابير الشيطانيه الجريئه جاءت لهدم الدين و نبذ التوحيد و العياذ بالله.

و من المهم أن نبين بأن الكلام ليس فى مطلق زياره القبور و إن كانت من أجزاء مقدمات البحث لكن الكلام فى خصوص قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم و قبور عترته و بأنها قاعده شرعيه و من معالم الدين.

فهناك جملته من الوجوه التى ذكرها هؤلاء الذين يحملون رايه الماديه و صنميه الحس باسم التوحيد:

الوجه الأول: بأن زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقُبُورِ عَتْرَتِهِ تُوَسَّلُ وَتَشْفَعُ وَهَذَا شَرَكٌ فِي زَعْمِهِمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

قال الشوكاني في الدر النضيد: فقد ثبت إجماع الصحابة على التوسل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبذوات الصالحين بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (1) فمن أنكر التوسل بذات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو بذوات الصالحين فقد خرق الإجماع والقول الخارق للإجماع باطل ومردود بالاتفاق) فلذا رد العلماء كافة على ابن تيمية إذ قال بعدم جواز التوسل بذوات الصالحين ومن تبعه في ذلك.

أقول: زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتقرب به إلى الله وقبور عترته التي أمر الله بتعظيمها وحث عليها ينعتها هؤلاء بالشرك مع أنها من الأمور التوحيدية التي تحصل بها الزلفى والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وسنيين إن شاء الله بأن التوسل والتشفع هو الطريق الوحيد لتوحيد الله بنص القرآن الكريم من خلال هذه القاعدة التوحيدية بينما هؤلاء الشواذ يصفون التوحيد بالشرك وبالتالي يرفعون رايه الماديه والمذهب الحسى باسم التوحيد.

الوجه الثاني: إن زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقُبُورِ عَتْرَتِهِ فِيهِ دَعَاءٌ لِلْمَقْبُورِ وَاسْتِغَاثَةٌ بِهِ وَإِحْسَانٌ عَلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ مِنْهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ بِزَعْمِهِمْ لَا تَجُوزُ لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا أَنَّهُ يَحْصُلُ فِي أَثْنَاءِ الزِّيَارَةِ سَجُودٌ لِلْقَبْرِ وَبِأَنَّ الزَّائِرَ يَأْتِي إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ بِحَالِهِ خَشُوعٌ وَسَكِينَةٌ وَتَأْثَرٌ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْبُكَاءِ وَتَذَلُّ لِسَابِحِ الْقَبْرِ وَبِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ نَوْعٌ مِنَ الْخُضُوعِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ص: ٦١

١- (١) الدر النضيد في إخلاص كلمه التوحيد: باب التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه ص ٦.

مع أنه لم ينكر على التوسل أحد حتى ابن تيميه يؤكد على هذه الشعيره و بأن السلف توسل من هذا القبيل في كتابه (التوسل و الوسيله) (١) نقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الدعاء و نحوه (٢) و هذا هو نص عباره أحمد بن حنبل، كما في منسك المروزي بعد كلام ما نصه: و سل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تقضى من الله عزّ و جل. هكذا ذكره ابن تيميه في الرد على الأحنائي (٣).

فبهذا الوجه يتبين بأنهم يحاربون الله و رسوله و لا يمكن حمل تفسير كلماتهم بأنها اجتهاديه بل هي محاربه للدين بمقتضى هذه القاعده الشريفه.

الوجه الثالث: أن زياده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعظيم بحيث يلازمه تدلل للمعظم و التدلل و الخشوع لغير الله سبحانه و تعالى لا يجوز و أن بناء القبور و وضع الستور عليها و تجصيصها و تزينها بالذهب و الفضة و اتخاذ السرج و تطيبها بأحسن طيب بحيث يمثل عظمه لصاحب القبر و هذا التعظيم لا يجوز.

أو نفس البناء يوجب نوعا من التعظيم للقبور و بالتالي هذه السبل شرك بالله عزّ و جل و نبذ للتوحيد.

الوجه الرابع: يستدلون بهذه الآيه الكريمه: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤).

ص: ٦٢

١- (١) التوسل و الوسيله: ٩٨.

٢- (٢) منسك المروزي: ١٥٥.

٣- (٣) سوره الرد على الأحنائي: ١٦٨.

٤- (٤) سوره يونس، الآيه: ١٨.

يزعمون بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ فَقَدْ عْبَدَهُمْ وَأَشْرَكَ بِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ كَمَا فِي قَوْلِ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (١) وَأَمَّا مَا حَدَّثَ مِنْ سُؤَالِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَ تَعْظِيمِ قُبُورِهِمْ بِنَاءِ الْقَبَابِ عَلَيْهَا وَ إِسْرَاجِهَا وَ الصَّلَاةِ عِنْدَهَا وَ اتِّخَاذِهَا أَعْيَادًا وَ جَعْلِ السَّدَنَةِ وَ النَّذُورِ لَهَا فَكُلُّ هَذِهِ الْحَوَادِثِ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ حَذَرَ مِنْهَا وَ سَدَّ كُلَّ طَرِيقٍ يُوْدِي إِلَى الشَّرْكِ.

وَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ كَفَرُوا كَافَهُ الْمُسْلِمِينَ وَ فَسَّرُوا الْآيَاتِ عَلَى أَهْوَائِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةِ وَ كَتَبُوا رِسَائِلَ فِي ذَلِكَ كَمَا هُوَ فِي (تَطْهِيرِ الْإِعْتِقَادِ مِنْ أَدْرَانِ الْإِلْحَادِ) لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِيرِ الصَّنَعَانِيِّ حَيْثُ يَقُولُ: وَجِبَ عَلَى تَأْلِيفِهِ وَ تَعْيِينِ عَلَى تَرْصِيفِهِ لِمَا رَأَيْتَهُ مَعْلَمَتَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْعِبَادِ الْأَنْدَادَ فِي الْأَمْصَارِ وَ الْقُرَى وَ جَمِيعِ الْبِلَادِ مِنَ الْيَمَنِ وَ الشَّامِ وَ مِصْرَ وَ نَجْدَ وَ تَهَامَةَ وَ جَمِيعِ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، وَ هُوَ الْإِعْتِقَادُ فِي الْقُبُورِ وَ فِي الْأَحْيَاءِ مِمَّنْ يَدْعَى الْعِلْمَ بِالْمَغِيبَاتِ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ، لَا يَحْضُرُ لِلْمُسْلِمِينَ مَسْجِدًا وَ لَا يَرَى لِلَّهِ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، وَ لَا يَعْرِفُ السَّنَةَ وَ لَا الْكِتَابَ وَ لَا يَهَابُ الْبَعْثَ وَ لَا الْحِسَابَ، فَوَجِبَ عَلَى أَنْ أَنْكَرَ مَا أَوْجَبَ لِلَّهِ إِنْكَارَهُ (٢) فَانظُرْ أَيُّهَا الْقَارِئُ لِكَلَامِهِمْ كَيْفَ يَنْعَتُ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ النَّعَوَاتِ الْقَبِيحَةِ.

وَ يَسْتَدْلُونَ بِآيَاتٍ أُخْرَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا يَشْتَرِي الْأَخْيَاءَ وَلَا الْأُمُوتُ إِنَّ اللَّهَ يُشِيعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُشِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٣) وَ يَعْلَلُونَ بِأَنَّ مَنْ فِي الْقُبُورِ لَا يَضُرُّ وَ لَا يَسْمَعُ.

ص: ٦٣

١- (١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

٢- (٢) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص ٢.

٣- (٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

كما سنبين ما هو المقصود فى الآيه الكريمه من قوله تعالى(مَن فى القبور)و أنه لديهم حياه برزخيه،فيستدلون بالمتشابه يريدون ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله.

و أيضا يستدلون بهذه الآيه الكريمه فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْغَى الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١).

هذه مجمل الآيات ما ذكروه فى هذا الصدد كما ذكروا وجوها أخرى فى هذا الموضوع على وفق مفاد ما سبق.

الوجه الخامس: أن فى زياره القبور يحصل التبرك بوسائلها و التمسح بها و تقييلها،و التبرك يزعمون بأنه شرك بالله عزّ و جل لا مظهرًا للتوحيد و العباده.

و هى التى يدعى فيها المقبور من دون الله سبحانه و تعالى،و يطلب منه قضاء الحوائج،و دفع المكروه و تفرّيج الكرب أو يصلى له أو يذبح له أو يندر له و ما شابه ذلك فإنه غير جائز و شرك بالله عزّ و جل.

الوجه السادس: بأن الأموال التى تصرف و توضع عند القبور إسراف و هذا غير جائز و محرم بنص القرآن الكريم و هذا الإشكال لديهم لتعظيم قدر المال فى أعينهم و تصاغر الأمور المعنويه لديهم فهم يبنون رؤيتهم على محوريه المال و الماده فيقولون لا بد من تقليل الزياره و ادخار الأموال فهذه هى الصنميه بعينها للمال و إلا فالزياره هى من العبادات المؤكده التى حث عليها الإسلام.

الوجه السابع: أن السفر و الذهاب إلى زياره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو إلى

ص: ٦٤

الحضرة العلوية و إلى قبور الأئمة و زياره البقيع سلام الله عليهم هذا حج و هو (حج القبور) و الحج لغير بيت الله الحرام و الطواف لغير الكعبة غير جائز.

سنيين بإذن الله بأن القصد و السفر و الزياره إلى هذه الأماكن من العبادات المجمع عليها و إنها من المراسم و الأعمال المقترنه مع الحج المنصوصه عند الإماميه و أهل السنه و هى من آداب الزياره.

الوجه الثامن: إن عماره قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قبور عترته يوجب تعطيل المساجد بالعباده و الصلاه فيها كما تؤدى إلى خراب هذه البيوت العباديه حسب زعمهم و إفكهم و شد الرحال إلى هذه المشاهد يوجب تعطيل بيت الله الحرام.

مع أن هذا غير حاصل إذ اللازم أن لا يخلو الحج من المسلمين فى عام من الأعوام من الذين يقصدون بيت الله الحرام لتأديه فريضه الحج و العمرة.

الوجه التاسع: و هذا من أهم الوجوه التى تشبثوا بها بأن هذه القبور تتخذ قبله بدل الكعبه و يستشهدون بما اقتطعوه مبتورا من كلام المجلسى: إن استقبال القبر أمر لازم، و إن لم يكن موافقا للقبله...

و استقبال القبر للزائر بمنزله استقبال القبله، و هو وجه الله أى جهته التى أمر الناس باستقبالها فى تلك الحالة (١).

ص: ٦٥

١- (١) بحار الأنوار ٣٦٩/٩٨ ب ٣٢- أبواب فضل زياره سيد شباب أهل الجنة أبى عبد الله الحسين صلوات الله عليه و نص كلام المجلسى فى البحار «بيان..... و الله يعلم» ح ١٢.

و ما ذكره المجلسى ليس فى صدد استدبار الكعبه فى أثناء الصلاه و جعل القبر قبله للزائرين فى صلاتهم بل هو فى أثناء الزياره و أما فى الصلاه فيستقبل الكعبه، نعم لا يتقدم على القبر فى الصلاه بل على جانبه الأيمن من طرف الرأس، و تراعى بذلك آداب الزياره لكى لا يكون هناك جساره و هتك للقبر الشريف و هذا ما أشارت إليه الآيات القرآنيه من سوره البقره فى قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ (١).

فهل لقائل أن يتوهم و يقول بأن الله أمر المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى و جعله قبله لهم بدل الكعبه أم هذه تخرصات و أراجيف هذه الفرقة الشاذه و من سار على نهجهم.

الوجه العاشر: هى مجموعه من الروايات الوارده لديهم فى النهى عن زياره القبور أو بناء القبور التى تتخذ للعباده و السجود عليها من دون الله عز و جل حيث يحذر النبى صلى الله عليه و آله و سلم من هذه الأفعال الشركيه و التى تنافى التوحيد.

منها: الحديث النبوى المعروف و هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم: (لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أخرجه البخارى (٢).

منها: عن عائشه رضى الله عنها قالت لما اشتكى النبى صلى الله عليه و آله و سلم ذكرت بعض نساءه كنيسه رأينها بأرض الحبشه يقال لها ماريه و كانت أم سلمه و أم حبيبه رضى الله عنهما أتتا أرض حبشه فذكرتا من حسنهما و تصاوير فيها فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره

١- (١) سوره البقره، الآية: ١٢٥.

٢- (٢) صحيح البخارى/باب مرض النبى صلى الله عليه و آله و سلم ج ٥.

مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله(١).

منها: عن ابن عباس قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج(٢).

منها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا: لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) لا تتخذوا قبري من بعدى و ثنا(٣).

منها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تتخذوا قبري عيداً و لا تجعلوا بيوتكم قبوراً و حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغني) لا يصلى فيها و لا يعبد عند هذه القبور(٤).

و هذه مجمل الأحاديث التي تمسكت بها هذه الفئة و سيأتى فى البحث الروائى الجواب و توضيح الحال فى حقيقه مفاد هذه الأحاديث و الموازنه بينها و بين الروايات الأخرى القطعيه السند و الدلاله.

من تمام الحج و لايه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

من أسرار عظمه الرسول الخافيه على الخلق و منزلته عند الله عزّ و جل بأن تمام الأعمال العباديه لا تقبل إلا بولايه النبى الأكرم بما فيها فرائض الحج.

و الجاحد لهذه الولايه هو فى الواقع جاحد للشهاده الأولى مما

ص: ٦٧

١- (١) صحيح البخارى/باب فى الجنائز ج ٢، باب هجره الحبشه ج ٤.

٢- (٢) سنن النسائى/باب اتخاذ القبور مساجد ج ٤/سنن أبى داود باب فى زياره القبور ح ٣٢٣٦ مسند أحمد بن حنبل ج

٢/مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ج ١.

٣- (٣) مسند أحمد بن حنبل باب مسند أبى هريره ص ٢٤٦ ج ٢.

٤- (٤) مسند أحمد بن حنبل باب مسند أبى هريره ص ٣٦٧ ج ٢.

يعنى العود إلى الوثنيه الجاهليه و أن هذه العبادات تكون عباده وثن و صنم و العياذ بالله.

و هذه الولايه له صَلَّى الله عليه و آله و سلم ثابتة دائمه لا تزول ما دام العباد مكلفون بالفرائض و العبادات.

كما يذكر المقريزى فى كتابه (إمتاع الأسماع) قول العلامة زين الدين المراعى: و ينبغى لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صَلَّى الله عليه و آله و سلم قربه، للأحاديث الواردة فى ذلك و لقوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ (١)** لأن تعظيمه - صَلَّى الله عليه و آله و سلم لا ينقطع بموته و لا يقال: إن استغفار الرسول لهم إنما هو فى حال حياته، و ليست الزيارة كذلك، لما أجاب به بعض الأئمه المحققين: أن الآية دلت على تعليق وجدان الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثه أمور: المجيء، و استغفارهم، و استغفار الرسول لهم، و قد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين (و المؤمنات) لأنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: **وَسَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لِلْمُؤْمِنَاتِ (٢)** فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم كملت الأمور الثلاثه الموجهه لتوبه الله تعالى و رحمته، و قد أجمع المسلمون على استحباب زياره القبور، كما حكاه النووى، و أوجبها الظاهرية، فزيارته صَلَّى الله عليه و آله و سلم مطلوبه بالعموم و الخصوص، و لأن زياره القبور تعظيم، و تعظيمه صَلَّى الله عليه و آله و سلم واجب، و لهذا قال بعض العلماء: لا فرق فى زيارته صَلَّى الله عليه و آله و سلم بين الرجال و النساء (٣).

و فى الفصول القادمه سوف نبين بأن بناء المساجد و المسجد الحرام و عماره الكعبه المشرفه دون ضم عماره قبر النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم تعتبر فى منطق

ص: ٦٨

١- (١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

٢- (٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

٣- (٣) إمتاع الأسماع: ج ١٤ باب ذكر ما جاء فى زياره قبر النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

القرآن كعباده وثن و شرك بالله عز و جل خلافا لما تزعم هذه الشرذمه الشاذه التي تدعى بأن اتخاذ قبر النبي قبله بدل الكعبه شرك بالله و وثن فلا يجوز اتخاذ القبلة من المخلوقين شيئا إلا الكعبه، فالكعبه يتوجه إلى الله بها أما التوجه إلى الله بغير الكعبه و اتخاذها قبله فهذا وثن و عبادته شركيه و صنميه حسب ما يزعمون و الحال أن هناك روايات وارده لديهم تنص على أن جسد الرسول أشرف من الكعبه كما هو عند المذاهب الأربعة إجماعا.

نذ و لايه النبي الأكرم هو العود إلى الوثنيه الجاهليه:

ما هو الفرق بين حج المسلمين و حج الجاهليه القرشيه الوثنيه (فإن المشركين كانوا يمارسون الطقوس العباديه فى الحج من الطواف حول البيت و السعى بين الصفا و المروه و الوقوف بعرفات و يذبحون القرابين فى منى كما كانت تمارس فى زمن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

أقول: بأن المشركين كانوا يمارسون هذه الطقوس كما يمارسها المسلمون بلا فرق فى أعمالها العباديه لكن مع ذلك يخاطب الله عز و جل المسلمين بأن المشركين نجس كما فى قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَ إِن خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١).

مما يعنى بأن نفس الحج الذى يأتى به المشركون و الصلاه و العبادات لعماره بيت الله الحرام يعتبرها القرآن الكريم عبادته وثن و صنم.

ص: ٦٩

فلم يخرج هؤلاء من الوثنيه إلى الإسلام و آمنوا بالله سبحانه و تعالى إلا بالإقرار و التسليم و التدن بولايه النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم فإن بتر الإسلام عن الشهاده الثانيه و تداعيات الشهاده الثانيه و مؤديات الشهاده الثانيه و معطيات الشهاده الثانيه و مقتضيات الشهاده الثانيه مما يعنى بتر الشهاده الأولى عن الشهاده الثانيه هي فى الواقع عود للوثنيه الجاهليه و هذا كما عليه هذه الشرذمه الدعاه إلى الوثنيه الجديده.

الفرق إذا بين حج المشركين و حج المسلمين هو أن المشركين كانوا يأتون بهذه الطقوس العباديه و عماره بيت الله الحرام لكنها كانت عباده حاويه باليه تخالف الأمر الإلهي فهي تتبرأ من ولايه النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و التسليم و الإقرار بها و عدم الإقرار بطاعه و ولايه خاتم الأنبياء يعتبر فى منطلق القرآن الكريم و أبجديات الدين الحنيف و ثنيه و شركاء، إلا كان حج المشركين حج يرتضيه الله عزّ و جل بمجرد المجيء إلى بيت الله الحرام و تكون عباده لهم بينما جعل الله هذه العباده و ثنيه و شركا بالله عزّ و جل كما فى قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١).

و من خلال هذا البرهان التاريخي الأديانى تبين بأن هذه الطقوس التي يمارسها مشركو قريش هي طقوس مختلفه على نبي الله إبراهيم صلوات الله عليه لكنها لا تدن بدين بدين خاتم الأنبياء و قطع هذه العبادات عن ولايه النبي صلى الله عليه و آله و سلم هي فى الواقع رجوع إلى الوثنيه الجاهليه و ابتعادا عن هذه الشعائر و هذه القاعده.

ص: ٧٠

و هذا يتضح من البرهان الذى أشار إليه الإمام الباقر عليه أفضل الصلاه و السلام فى روايات أعلانيه صحيحه السند بأن هذه
الفعال فعال جاهليه و وثنيه.

البرهان الأول

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نظر إلى الناس يطوفون حول
الكعبه، فقال: هكذا كانوا يطوفون فى الجاهليه، إنما امرؤ أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودتهم و يعرضوا علينا
نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية فجعل أفئده من الناس تهوى إليهم (١)(٢).

فى أصول الكافى الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد عن على بن أسباط، عن داود بن النعمان عن أبى عبيده قال: (سمعت أبا
جعفر عليه السلام يقول و رأى الناس بمكه و ما يعملون- قال فقال: فعال كفعال الجاهليه أما و الله ما أمرؤ بهذا و ما أمرؤ إلا أن
يقضوا تفتهم و ليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم، و يعرضوا علينا نصرتهم) (٣).

و فى هذا البرهان التاريخى الأديانى يبين الإمام الباقر عليه السلام الوثنيه فى مصطلح القرآن الكريم بأن هذه الفعال فعال جاهليه
و هى طاعه لغير الله سبحانه و تعالى و ما أمرؤ بهذا فإن القرشيين و غيرهم كانوا يؤدون المناسك كما هو الحال عند المسلمين
لكنها كانت مبتوره و مفتقه لولايه خاتم الأنبياء و الرسل و هذا فى اصطلاح القرآن يعتبر وثنيه جاهليه مع أنه

ص: ٧١

١- (١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

٢- (٢) الكافى/باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج ١ ص ٣٩٢.

٣- (٣) الكافى/باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج ١ ص ٣٩٢.

كانت طقوسهم المنسوبة لنبى الله إبراهيم خلافا لما تفهمه هذه الفئه.

فإن طاعه الله تكون من خلال الأبواب التى تصل منها أوامره و إلا تكون هذه الطاعه لغير الله و هذا ما عليه هذه الشرذمه من بتر الصله بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أن فعالهم كفعال الجاهليه الأولى و ما أمروا بهذا.

و بذلك هم يدعون إلى الوثنيه و الزندقه باسم التوحيد و نفى الشرك و العياذ بالله، و التوحيد إنما هو بضم عماره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و التدين بولايته.

و كانت قريش تزعم بأنها على المله الحنيفيه الإبراهيميه و أن النبى مرق و صبا عن المله الإبراهيميه و فى قبال ذلك كانت تزعم أن سيد الأنبياء صبا فتية قريش بينما القرآن الكريم يبين قاعده ضروريه و هى أن قطع الصله بولايه خاتم الأنبياء و بدون ارتباطكم بخاتم الأنبياء هذا وثن و ليس توحيد و مشكله هذه الفئه الشاذه أنها تعتقد كلما قطعت الصله و أوجدت القطيعه و الجفاء مع خاتم الأنبياء قد وحدث الله عزّ و جل.

فالتوحيد الحقيقى هو الذى يمر من بوابه محمد صلى الله عليه و آله و سلم فهو سبيل الله و الداعى إليه عزّ و جل و لا معنى لكل عباده ما لم تكن متعلقه بهذه العروه الوثقى، فقريش الكافره كانت لها شعائر تعتبرها دينيه و تؤديها و تحافظ عليها و منها الطواف حول الكعبه باعتبارها المركز و القبلة، و قد وجهوا نقدهم للنبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم عندما كان يستقبل بيت المقدس و بأنه جعل بيت المقدس قبله للمسلمين و الحال أن القبلة فى مله إبراهيم هو الكعبه و أنه صبا عن دين الله عزّ و جل أى خرج عن دين آباءه و أجداده كما فى قوله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَهُ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الدِّينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١).

ص: ٧٢

و الحال أن قريش و المشركين كان لديهم طقوس ينسبونها بالنبي إبراهيم لكنها مع ذلك كانت مبتوره عن ولايه النبي صلى الله عليه و آله و سلم. كذلك أحد أسباب كون عباده اليهود و النصارى عباده و ثنيه و صنميه أن هذه الطقوس التي تتم في الكنائس و الأديرة إشراك بالله عزّ و جل لأنهم يعرضون عن ولايه خاتم الأنبياء و الرسل صلى الله عليه و آله و سلم، و هكذا فإن قطع الصله بين المساجد و بين ولايه النبي الأكرم هي بنفسها فعال الجاهليه الأولى فهؤلاء يفرغون التوحيد عن مضمونه بحشو و ثنى.

البرهان الثاني

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم) (١).

و في هذا البرهان العقائدي يبين الإمام عليه السلام بأن الطاعه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و بولايه النبي و ليس بأحجار الكعبه كما في قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ (٢).

و الهدف من استقبال القبله هو طاعه الرسول لا- كما يدعى هؤلاء (بأن التوحيد هو قطع الصله و بتر ولايه النبي عن العبادات) المنقطعين عن الوسائط التي نصبها الله عزّ و جل أبوابا لهم و نبذ الوساطه و التوجه بالنبي الأكرم بل هذه هي الوثنيه بعينها.

نبذ التسليم و الإقرار بولايه خاتم الأنبياء و جحود ولايه خاتم

ص: ٧٣

١- (١) الكافي/باب اتباع الحج بالزياره ج ٤.

٢- (٢) سورة البقره، الآية: ١٤٣.

الأنبياء هي الوثنيه و الصنميه فى منطق القرآن الكريم لأنه طاعه لغيره سبحانه و تعالى كما نبه و أشار إلى بيانات القرآن أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام فلا بد للإنسان من واسطه بينه و بين ربه و إلا من أين له أن يستلهم و يستعلم و يقف على أوامر و إرادات و إرشادات ربه مما يتبين بأن هذه التخريصات الشيطانيه هى عباده و ثنيه باعتبار أن الطاعه و العباده من دون تولى النبى و اندماج طاعته فى طاعه الله تعالى لا تكون لله سبحانه و تعالى حتى طواف المسلمين حول الكعبه و التوجه به من دون أوامر الله تعتبر طواف حول الحجاره و هذه هى عباده و ثنيه و الطاعه لغير الله هى وثن و صنميه.

و من يجحد ولايه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و ولايه أهل بيته من بعده يكون نابذا و عاصيا لله سبحانه و تعالى و عابدا لغير الله عزّ و جل و لا- يمكن له أن يستعلم أوامر ربه و من ثم يخاطب الباقر عليه السلام بأن هذه الفعال الجاهليه و أن هذه العبادات من دون ولايه النبى تكون عباده وثن.

و هذا ما قاله الله تعالى: **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١).**

هذا البرهان القرآنى هو بيان لنفس معنى الوثنيه فى قضيه القبلة التى كان عليها النبى الأكرم صلوات الله عليه و هى اتجاه بيت المقدس- و كانت صعبه على قريش و غير قريش الذين اعتادوا على استقبال الكعبه و التى كانت قبله إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، لذلك عبر القرآن الكريم: **وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى .**

ص: ٧٤

من خلال هذا البرهان القرآني يتبين بأن العبادة و الصلاة إلى القبلة ليس الغرض الأساسي منها بما هي بل لأجل الطاعة و التدين بولايته خاتم الأنبياء و الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و بأنه هو القبلة الواقعيه و المركزيه في هذه العباده و إلا فهي عباده صنميه و وثنيه.

و هذا ما صرح به الإمام الباقر عليه أفضل الصلاه و السلام حينما قيل له: (يا بن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى؟-يعنى الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ-فقال:لما قال الله عزّ و جل:وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَ هِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ-إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لنعلم ذلك منه وجودا بعد أن علمناه سيوجد،و ذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبه فأراد الله أن يبين متبع محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ من مخالفيه باتباع القبلة التي كرهها،و محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ يأمر بها،و لما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها و التوجه إلى الكعبه ليبين من يوافق محمدا فيما يكرهه فهو مصدقه و موافقه(١).

قال تعالى:وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ فِهذه الواقعة القرآنيه واضحه و صريحه الدلاله على أن التوحيد في العباده و اتباع أوامر الله ليس في نبد ولايه النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بل الطاعة بولايته التي تؤدي إلى طاعه الله عزّ و جل قال تعالى:مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا(٢) و إلا هذه العبادات من الصلاه و الاستقبال للكعبه و الطواف حولها هي عباده وثنيه و جاهليه.

و من ثم ذكرنا في بدء البحث في الجواب عن تشدقات هؤلاء بأن

ص:٧٥

١- (١) بحار الأنوار/باب الثالث البداء و النسخ ج ٤.

٢- (٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

الشهادة الأولى من دون ضمها إلى مقتضيات و مؤديات الشهادة الثانية تعتبر وثنيه و لقلقه لسان فلا بد من ضم الشهادة الثانية إلى الشهادة الأولى.

فهذا البرهان القرآني قد بينه أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام على أن التوحيد في العباده و نبذ الوثنيه لا تتم إلا بالإقرار و التسليم لولايه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته.

البرهان الثالث

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١).

في هذا البرهان يستعرض القرآن الكريم قصه إبليس لعنه الله في أكثر من سبعة سور قرآنيه و هذه القصة و الحادثه هي في الواقع بدايه الفاتحه للخليقه البشريه منذ أن قال تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهذه الآيه رمز عظيم جدا تحمل بين طياتها المعاني العاليه و الساميه أشار إليها أمير المؤمنين على عليه السلام في خطبته المعروفه (بالقاصعه) في نهج البلاغه حيث يستعرض هذه الوقعه و يصف إبليس لعنه الله و يقول:

(فعدو الله إمام المتعصبين، و سلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبيه، و نازع الله رداء الجبريه، و ادرع لباس التعزز، و خلع قناع التذلل ألا ترون كيف صغره الله بتكبيره، و وضعه بترفعه. فجعله في الدنيا مدحورا، و أعد له في الآخره سعيرا.

ص: ٧٦

و لو أراد الله سبحانه- أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، و يبهر العقول رواؤه، و طيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، و لو فعل لظلت له الأعناق خاضعه، و لخفت البلوى فيه على الملائكة لكن الله- سبحانه يتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تميزا بالاختبار لهم و نفيا للاستكبار عنهم، و إبعادا للخيلاء منهم. فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، و جهده الجهد، و كان قد عبد الله- سبحانه و تعالى- ستة آلاف سنة، و لا يدري أمن سنى الدنيا أم من سنى الآخرة، عن كبر ساعه واحده. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته).

ثم قال: (فاحذروا، عباد الله، عدوا الله إبليس أن يعديكم بدائه، و أن يستنفركم بدائه، و أن يجلب عليكم بخيله و رجله) فيبين الإمام عليه السلام هذه الواقعة الخالده و المعانى المشيده (١).

كما أنه من خلال التعابير الواردة في القرآن الكريم يتبين أن عباده إبليس كفر بالله عزّ و جل لأنه نابذ و جاحد لولايه و لى الله قال تعالى: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٢).

و قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣).

و عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال:

(يا رب و عزتك إن أعفيتنى من السجود لآدم لأعبدنك عباده ما عبدك

ص: ٧٧

١- (١) نهج البلاغه: خطبه له عليه السلام المعروفه بالقاصعه فى ذم إبليس.

٢- (٢) سوره الأعراف، الآيه: ١٢.

٣- (٣) سوره البقره، الآيه: ٣٤.

أحد قط مثلها، قال: الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد (١).

و هذا ما عليه السلفيه فإنهم يجحدون ولايه النبي الأعظم بحجه أن العباده لغير الله شرك و كفر بالله و يطيعون من حيث يريدون هم بحسب أهوائهم لا من حيث هو يريد و بذلك يتبين أن ما يعتقد هؤلاء و ما يزعمونه هو عين الوثنيه الجديده.

لو كان العابد يريد أن يعبد المعبود من حيث يشاء العابد لكان العابد هو المعبود يعبد هوى نفسه مقدما على هوى خالقه لذلك خاطب الله إبليس بهذا الخطاب التوحيدى: (إني أحب أن أطاع من حيث أريد لا من حيث تريد).

فنتع البارى فى القرآن الكريم إبليس بعد أن عبد الله ستة آلاف سنه بأنه: (أبى و استكبر و كان من الكافرين) بعد أن نبذ و جحد ولايه أبى البشر آدم عليه السلام بأمر من الله عزّ و جلّ مع أنه على منطق هذه الفئه تكون عباده إبليس عباده خالصه و نابذه للواسطه و الحال أن البارى وصفها بأنها شرك و كفر.

و الخطاب المتمثل فى قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ يَتَجَلَىٰ فِي كُلِّ مَن يَتَمَثَّلُ بِهِ الْخَلِيفَةُ الْإِلَهِيَّةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنْى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَهَذَا السَّجُودُ غَيْرُ مَخْتَصٍ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ لِكُلِّ خَلِيفَةٍ مِنْ خَلَفَاءِ اللَّهِ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ وَ لِكُلِّ مَوْمِنٍ اسْجُدُوا لِخَلِيفَةِ اللَّهِ الْمَتَمَثَّلِ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَ دَاوُدَ أَنْى جَاعِلُكَ خَلِيفَهُ وَ أَوْلَى

ص: ٧٨

١- (١) البحار الأنوار: ج ١١ باب هل كان إبليس من الملائكة أم لا عن قصص الأنبياء و روى نظيره عن تفسير العياشى أيضا ص

العزم الذين هم أعلى منزله من آدم عليه السلام و هذا بحسب نفس البيان القرآنى فى قوله تعالى:

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ الْبَارَى عَزَّ وَ جَلْ لَمْ يَقُلْ إِنى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ نَبىاً أَوْ رَسولاً بَلْ خَلِيفَهُ يَعْنى لَهُ القُدْرَةُ وَ التَّصَرُّفُ وَ الصَّلاحيه وَ القُدْرَةُ وَ التَّدبِيرُ يَعْنى (الإمامه) أَنى جَاعِلٌ فى أَرْضِ خَلِيفَهُ، أَى أَنَّ اللّهُ عَزَّ وَ جَلْ يَطْوَعُ مَلَائِكَتَهُ وَ جَمِيعَ ما خَلَقَ لَخَلِيفَتِهِ فى الأَرْضِ فَيَخاطِبُهُم اسْجُدُوا لِإِبْرَاهِيمَ اسْجُدُوا لِعِيسَى وَ نُوحٍ عَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلاهِ وَ السَّلَامِ يَعْنى تَوَجُّهُوا فى عِبَادَتِكُمْ وَ طَاعَتِكُمْ إِلَى مَنْ؟ إِلَى خَلِيفَةِ اللّهِ وَ إِلَى ولى اللّهِ.

فإن اللّهُ سبحانه و تعالى لو أمر هذه الشرذمه بالسجود لسيد الأنبياء محمد صلّى اللّهُ عليه و آله و سلّم و أن يتوجهوا فى طاعتهم و عبادتهم إليه لكانوا هم أول من يأبى و يصدّ و يستكبر و أول من يحارب النّبى الأ-كرم مع إبليس لعنه اللّهُ و يستكبرون كما استكبر إبليس و أبى أن يسجد لآدم و النّبى صلّى اللّهُ عليه و آله و سلّم و كذلك أهل البيت صلوات اللّهُ عليهم، فإن الآيه السابقه شامله لأهل البيت بنص القرآن فى آيات أخر و بنص الحديث النبوى المتواتر لدى العامه و الخاصه.

عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول اللّهُ صلّى اللّهُ عليه و آله و سلّم يقول فى حجّه الوداع «إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف و لا مفارق حتى يمضى من أمتى اثنا عشر خليفه» ثم تكلم بشىء لم أفهمه فقلت لأبى ما قال؟ قال: كلهم من قريش (1).

فكل من يصدق عليه عنوان خليفه اللّهُ فى الأرض فإنه مصداق لهذه

ص: ٧٩

١- (١) مسند أحمد: ج ٥ باب حديث جابر بن سمره.

الآية الكريمة: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١).

فإن الإمامه والخلافه لا ينالها إلا المصطفون والمطهرون من ذريه إسماعيل وإبراهيم قال تعالى في كتابه الكريم: هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٢).

الاجتباء والاصطفاء من الله عزّ وجل ثابت لآل محمد لأنهم الذين أبوهم إبراهيم ومن ذريه إسماعيل وهم الذين منهم بعث الرسول خاتم النبيين في دعاء إسماعيل وإبراهيم المذكور في سورة البقره وبذلك تثبت هذه الخاصيه والأمر الإلهي في قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ وَ أَنْ هَذَا الْأَمْرُ وَ هَذَا الْعَهْدُ لَا يَنَالُهُ غَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ.

و يتضح من الآيات الأخرى بأن الأمر بالسجود لم يتعلق بعنوان آدم عليه السلام بما هو كما في قوله تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) (٣) مما يعنى بأن الله سبحانه تعالى أمر بالسجود لهذا الخليفه الطيني البشرى و أنتم يا معشر البشر مأمورون بالسجود له و بإطاعته.

و أن هذه المنزله الرفيعه لا ينالها إلا المصطفين من قبل الله عزّ وجل كما بينه القرآن الكريم في آيه التطهير و آيه المباهله و آيه الموده و آيه الفىء و آيه الانفال و الخمس و غيرها في أكثر من موقف بأن هذا المقام مختص

ص: ٨٠

١- (١) سورة البقره، الآية: ١٢٤.

٢- (٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

٣- (٣) سورة ص، الآيتان: ٧١-٧٢.

بالأنبياء والأوصياء، كما في بيان الرضا عليه السّلام عندما أمر محمد بن الفضل بإحضار المتكلمين والعلماء في دار حفص بن عمير بالكوفة ثم قال:

يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته و بكتابه و بنبيه و شريعته؟ قالوا: نعم، قال الرضا عليه السّلام: فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد إلا- من قام بما قام به محمد حين يفضى الأمر إليه، و لا- يصلح للإمامه إلا من حاج الأمم بالبراهين للإمامه، فقال رأس الجالوت: و ما الدليل على الإمام؟ قال: أن يكون عالما بالتوراه و الإنجيل و الزبور و القرآن الحكيم، فيحاج أهل التوراه بتوراتهم و أهل الإنجيل بإنجيلهم، و أهل القرآن بقرآنهم، و أن يكون عالما بجميع اللغات حتى لا- يخفى عليه لسان واحد، فيحاج كل قوم بلغتهم، ثم يكون مع هذه الخصال تقيا نقيا من كل دنس طاهرا من كل عيب، عادلا منصفًا حكيما رؤوفا رحيفا عفورا عطوفا صادقًا مشفقًا بارًا أمينًا مأمونًا راتقًا فاتقًا.

فقام إليه نصر بن مزاحم فقال: يا بن رسول الله ما تقول في جعفر بن محمد؟ قال: ما أقول في إمام شهدت أمه محمد قاطبه بأنه كان أعلم أهل زمانه، قال: فما تقول في موسى بن جعفر؟ قال: كان مثله، قال: فإن الناس قد تحيروا في أمره قال: إن موسى بن جعفر عمر برهه من الزمان فكان يكلم الأنباط بلسانهم، و يكلم أهل خراسان بالدرية و أهل روم بالرومية، و يكلم العجم بألسنتهم، و كان يرد عليه من الآفاق علماء اليهود و النصارى، فيحاجهم بكتبهم و ألسنتهم.

فلما نفذت مدته، و كان وقت وفاته أتاني مولى برسالته يقول: يا بنى إن الأجل قد نفذ، و المده قد انقضت، و أنت وصى أبيك فإن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لما كان وقت وفاته دعا عليا و أوصاه و دفع إليه الصحيفة

التي كان فيها الأسماء التي خص الله بها الأنبياء والأوصياء، ثم قال: يا علي ادن مني، فغطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس علي عليه السلام بملاءه ثم قال له:

أخرج لسانك، فأخرجه فختمه بخاتمه ثم قال: يا علي اجعل لساني في فيك، فمصّه وأبلغ عنى كل ما تجد في فيك، ففعل علي ذلك فقال له:

إن الله قد فهمك ما فهمني، وبصرك ما بصرنى، وأعطاك من العلم ما أعطاني، إلا النبوه، فإنه لا نبى بعدى ثم كذلك إمام بعد إمام، فلما مضى موسى علمت كل لسان و كل كتاب (١).

فمن خلال هذه الكلمات والآيات البينه الناصعه تبين بأن السجود والذى هو كناية عن الطاعه المطلقه والانقياد التام والتسليم الكامل و منتهى الخضوع لا يختص بآدم عليه أفضل الصلاه والسلام وبأن التوحيد فى العباده إنما هو بالتوجه لولى الله إلى الله وهذا هو حقيقه القبله وليس الكعبه بما هي أحجار والطواف حولها وهذا عين ما فى قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ (٢).

تنصيص من القرآن كما ذكرنا فى قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا فَجَعَلْنَاهُ قِبْلَةً وَتتجهون بولايتيه فى عبادتكم.

إذا هذا البرهان القرآنى الدامغ الناصع دال على أن التوحيد فى العباده يكون فى التوجه بولى الله إلى الله وبخليفه الله وبالوجه من قبل الله إلى الله لا قطع التوجه والصله به.

ص: ٨٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٩ باب وروده عليه السلام بالكوفه.

٢- (٢) سوره البقره، الآية: ١٤٣.

أن زياره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور عترته هي من تمام العبادات:

(في عيون الأخبار و في العلل) (١).

عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج.

و في (الخصال) بإسناده عن علي عليه السلام (في حديث الأربعمائه) قال:

(أتموا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله فإن تركه جفاء و بذلك أمرتم [و أتموا] بالقبور التي ألزمكم الله عزّ و جل حقها و زيارتها، و اطلبوا الرزق عندها) (٢).

فمن هذه الروايات و القرائن الأخرى الذي ذكرناها تظهر بأن المسلم لا بد له أن يضم جميع العبادات من زكاه و صيام إلى زياره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أن من تمامها و كمالها هي هذه الزيارة و إلا لا تقبل أعماله و تذهب هباء منثورا قال تعالى: **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) (٣).**

البرهان الرابع

قال تعالى: **رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (٤).**

ص: ٨٣

١- (١) عيون أخبار الرضا: باب في ذكر ثواب زياره الإمام عليه السلام ج ١، علل الشرائع: باب العله التي من أجلها وجبت زياره النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمه عليهم السلام بعد الحج فيهما: فليختم حجه بزيارتنا.

٢- (٢) الخصال: حديث الأربعمائه ص ٦١٦.

٣- (٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٥-٣٦.

٤- (٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ يَعْنِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (الكعبة) و الحرم المكي.

و ذكر في (تفسير العياشي): عن الفضل بن موسى الكاتب، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أسكن إسماعيل و هاجر مكة و ودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم:

ما يبكيكما فقد خلفتكما في أحب الأرض إلى الله و في حرم الله؟

فقال له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أن نبيا مثلك يفعل ما فعلت؟ قال: و ما فعلت؟ فقالت: إنك خلفت امرأه ضعيفه و غلاما ضعيفا لا حيله لهما بلا أنيس من بشر و لا ماء يظهر، و لا زرع قد بلغ، و لا ضرع يحلب؟ قال: فرق إبراهيم و دمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى انتهى إلى باب بيت الله المحرم فأخذ بعضادتي (١) الكعبة ثم قال:

(اللهم إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك الحرام ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئده من الناس تهوى إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون) (٢).

الغاية من إسكان هاجر و إسماعيل عند بيته الحرام:

.. ما هو الهدف من إسكان هاجر و إسماعيل و نسل إسماعيل في مكة و عند بيت الله الحرام في أرض ليس فيها زرع و لا ضرع؟

رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ الْهَدَفَ و الغاية منه إشادة الدين و تشييد معالم

ص: ٨٤

١- (١) (عضادتي الباب: خشبته من جانيه).

٢- (٢) البحار الباب الخامس أحوال أولاده و أزواجه صلوات الله عليه ج ١٢/ تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٢ باب ربنا إنني أسكنت من ذريتي.

الدين و عماره المسجد الحرام بالصلاه و الحج و النسك و كل مظاهر عماره الدين و عماره المسجد الحرام.

و هل هى الغايه النهائيه وراء إسكان إسماعيل و أمه هاجر إلا نسل إبراهيم و هو النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ أهل بيته لكى يقيموا الصلاه عند بيته المحرم و فى واد غير ذى زرع الذى هو واد مقدس و إتيان كل مظاهر العباده ماذا بعد ذلك و ما وراء ذلك؟

و الجواب: وراء ذلك التعبير الوارد فى الآيه الكريمه: فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ هذا التفريع هى الثمره و النتيجة النهائيه و فى كلمه (فاجعل) بيان للثمره التى هى وراء ما ذكر قبلها فى الآيه و أهل البيت يشرحون كل كلمه فى الآيه فى رواياتهم عليهم أفضل الصلاه و السلام.

هذا هو بيت القصيد فى قوله تعالى: فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (١).

كما إنه لا- بد للفقيه أن يجمع القرائن الموجوده لكى يستكشف الأحكام الشرعيه و ماهيتها من العبادات من القرآن الكريم و النصوص الوارده.

هذه الآيه الكريمه بنص مفادها كما أشار إلى ذلك الإمام الباقر عليه السّلام هى من آيات الحج و ينبغى على الفقهاء أن لا يغفلوا بأن هذه الآيه من مجموع آيات و نصوص الحج.

و هى تقول بأن للحج غايه، لأن ما يقام و ما يشاد و يمارس و يبنى و يؤسس عند بيت الله الحرام و الوادى المقدس غايته فى قوله تعالى:

ص: ٨٥

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ تَهْوِي إِلَى ذُرِّيهِ وَنَسْلِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِبْرَاهِيمَ، تَهْوِي إِلَيْهِمْ تَمِيلُ بِقُلُوبِهَا إِلَيْهِمْ، تَوَالِيهِمْ، تَمِيلُ إِلَيْهِمْ، تَحْنُ إِلَيْهِمْ بِقَلْبِكَ، قَالَ تَعَالَى: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١) «عليه أجرا» على الرساله هذه هي الغايه من هذه الطقوس في الحج التولي و الولايه لأهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام.

و هذه الآيه صريحه في موده أهل البيت عليهم أفضل و السلام و بأنها من تمام إقامه الصلاه و الطواف و الاعتكاف و كل أبواب العباده كما مر في آيه استقبال الكعبه قال تعالى: طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢).

فنفس هذا المفاد الذي في الآيه صريح في قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ (٣) انظر إلى هذا التناغم و التشاهد و التوافق و الاتحاد في مفاد الآيات.

إذا من تمام الصلاه و العبادات و استقبال الكعبه ماذا؟ لكي تهوى الناس إليهم، تميل إلى نسل إبراهيم و إسماعيل، و هي تلك الذريه المسلمه التي لا تشرك بالله طرفه عين و هم دعوه إبراهيم و طلبة من الله تعالى في قوله تعالى: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (٤) فإذا هذه الأمه لها مواصفات خاصه و هي عتره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ هي

ص: ٨٤

١- (١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢- (٢) سورة البقره، الآية: ١٢٥.

٣- (٣) سورة البقره، الآية: ١٤٣.

٤- (٤) سورة البقره، الآيتان: ١٢٨-١٢٩.

الغايه من الحج و هى الغايه من العباده، بولايتهم و بمودتهم و بصلتهم و زيارتهم يتم الحج.

فهل من الممكن أن لا يستجاب هذا الدعاء و لا يتحقق فى نسل إسماعيل و أن يكونوا كلهم مشركين و لا تكون فيه أمه مسلمه موحدہ لله تعالى؟

كما تدعى هذه الفئه الضالہ التى تتجرأ على أبى طالب و عبد المطلب آباء و أجداد النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

هذا مضافا إلى ما فى قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) (١).

و جعلها كلمه باقيه فى عقبه و فى نسله الذين لا يشركون بالله طرفه عين، و قد جعل الله فى نسله أمه مسلمه و فى ذريته التى لها مواصفات خاصه الإمامه و الخلافه الإلهيه و هى باقيه فى عقبه لكى تميل و تهوى أفئده الناس إليهم.

هذا هو دعاء إبراهيم الخليل و إسماعيل الذبيح بأن يجعل فى ذريتهما أمه مسلمه تعبد الله عزّ و جل و يجعل فى ذريته الإمامه و جعلها الله كلمه باقيه فى عقبه إلى يوم القيامة و بذلك يتبين بأن مجموع هذه الآيات لا يمكن عزلها عن بعضها البعض فى بيان ماهيه الحج و كمالات الحج و الغايه من الحج و إنما احتلت الكعبه هذه المركزيه لأجل محبه هذه الذريه تهوى إليهم بولايتهم و هى أبواب معالم الدين.

فَجَعَلَ أَفئدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ هَذَا سؤال من إبراهيم عليه السلام

ص: ٨٧

أن يجعل الله قلوب الخلق تحن إليهم لا- إلى البيت و إلا- لكان الضمير مفرد(إليه) كما أشار الإمام الباقر في البرهان السابق في قوله:(إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولا-يتهم)هذه هي الغايه المركزيه من الطواف و بقيه العبادات.

على عكس ما تدعى هذه الشرذمه بأن التوحيد في العباده هو النفرة و القطيعه و البغض للنبي و أهل بيته و أن عماره قبر النبي و أهل بيته شرك بالله بينما القرآن الكريم يقول:وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ (١).

إذا قوله تعالى:فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ تَبِين موده أهل البيت في قوله تعالى:قُلْ لَا أَشْتُمُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى و من أبرز مصاديق الموده و الصله زياره قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و قبور عترته عليهم السّلام مما يعنى بأن هذه الآيه هي الآيه الثانيه الصريحه في موده أهل البيت بعد آيه القربى و المحبه لهم و الحنين إليهم لأن الحنين لهم هي من فطره البشر و الذهاب إلى زياره قبورهم صلوات الله عليهم أجمعين.

و من الشواهد على هذه الفطره ما قام به النبي إسماعيل أنه عندما استأذن إبراهيم ساره في أن يزور ابنه إسماعيل عليه السّلام:

فإنه قد روى هذه القصه على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن أبان، عن الصادق عليه السّلام و إن اختلفت بعض ألفاظه، و قال في آخرها:(إذا جاء زوجك فقل له جاء هاهنا شيخ، و هو يوصيك بعتبه بابك خيرا، قال فأكب إسماعيل على المقام يبكي و يقبله)(٢).

ص: ٨٨

١- (١) سورة البقره، الآيه: ١٤٣.

٢- (٢) مجمع البيان للطبرسي: ج ١ باب و إذ جعلنا البيت مثابه للناس.

و كذلك ما رواه المجلسي في البحار: فعندما جاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فأنزل يرحمك الله.. إلى أن قال إبراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولي له: قد استقامت عتبه بابك: فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجها و أطيبهم ريحا و قال لي كذا و كذا، و غسلت رأسه، و هذا موضع قدميه على المقام، قال لها إسماعيل: ذلك إبراهيم عليه السلام (١).

فلاحظ هذه الفطره البشريه في الأنبياء و الرسل «فأكبَّ إسماعيل على المقام يبكي و يقبله» يحن إليه، عالم بمقام الأصفياء الأولياء، و ببصيره الفطره الوحيانيه، فهذا العمل من صميم التوحيد و العباده الخالصه لوجه الله سبحانه و تعالى.

فهل لقائل أن يقول بأن إسماعيل عليه السلام أشرك بالله حينما أخذ بيكي عند مقام قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام و بأن هذا العمل ينافي التوحيد بالله عزّ و جل كما تدعى هذه الفرقة الشاذه.

و إلى هذا المفاد يشير صدر دعاء الندبه حيث يبين منزله النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم و أن أجر رسالته هي موده أهل بيته كما هو في القرآن الكريم: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٢).

(لولا أرسلت إلينا رسولا منذرا و أقمت لنا علما هاديا فتتبع آياتك من قبل أن نذل و نخزي إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك و نجيبك محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم فكان كما انتجتبه سيد من خلقتة و صفوه من اصطفيته و أفضل من اجتبته و أكرم من اعتمدته، قدّمته على أنبيائك و بعثته إلى الثقيلين من

ص: ٨٩

١- (١) البحار الباب الخامس أحوال أولاده و أزواجه ج ١٢.

٢- (٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

عبادك و أوطأته مشارقك و مغاريبك و سخرت له البراق و عرجت بروحه إلى سمائك و أودعته علم ما كان و ما يكون إلى انقضاء خلقك ثم نصرته بالرعب و حففته بجبرائيل و ميكائيل و المسومين من ملائكتك و وعدته أن تظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون و ذلك بعد أن بوأته ميوأ صدق من أهله و جعلت له و لهم أول بيت وضع للناس للذي بيكه مباركا و هدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا و قلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ثم جعلت أجر محمد صلواتك عليه و آله مودتهم في كتابك فقلتقل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى (١).

فهذه الكلمات الواردة تبين بأن الكعبة جعلت للنبي و ازدادت شرفا بالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين و هذا هو مضمون الآية:

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (٢).

بأن يجعل الكعبة مركزا للعبادة و إسكان ذرية إسماعيل هناك لأجل أن يقام هذا المعلم الديني و أن تكون عاصمه دينيه تحيي بنسل إسماعيل و إبراهيم عليهم السلام و أن يكون هناك اقتران بين نسل إسماعيل و إبراهيم و إحياء مشاعر و معالم الدين و بالتالي توجه الناس إلى الكعبة في الحج و الصلاة هو توجه إلى الله سبحانه و تعالى من خلال توسط و توجه إلى نسل ذرية إبراهيم و إسماعيل عليهم السلام فاجعل أفندة من الناس تهوي إليهم .

ص: ٩٠

١- (١) دعاء الندبه.

٢- (٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

و هي الفقرة الأولى: قال تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (١).

إسكان ذريه إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في واد غير ذي زرع (الوادي المقدس) عند بيته المحرام امتثال للأمر الإلهي رغم وجود هذه الشدائد التي لاقتها هاجر مع ابنها الرضيع.

كما أن هذا التكليف في حد ذاته أمر شاق غير مقدور للفهم عند البشريه فكيف يأخذ نبي من أنبياء الله بزوجه و طفله الرضيع في واد غير ذي زرع و يتركهم هناك؟ و هذا نظير تكليف إبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام و الامتثال للأمر الإلهي.

الفقرة الثانيه: قال تعالى: رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ نَظِيرِ خُطَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ تَعَالَى: طَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢) يعني إتيان لكل مظاهر العباده و جعل الكعبه مركزا للعباده و إشاده الدين.

الفقرة الثالثه: قال تعالى: فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ إِسْكَانِ ذَرِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَ تَشْيِيدِ الدِّينِ وَ جَعْلِهَا مَرْكَزًا لِلْعِبَادَةِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الذَّرِيهِ الطَّاهِرَةِ.

فإن وراء هذين الأمرين غايه عظيمه و هي أن يتوجه الناس إلى

١- (١) سورة إبراهيم، الآيه: ٣٧.

٢- (٢) سورة البقره، الآيه: ١٢٥.

الكعبة و جعلها قبله لهم و مركزا للعباده فى الصلاه و الطواف و بهذا التوجه إلى الكعبة يتوجهون حينئذ إلى الذريه الطاهره فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ أَى تدين الله بمودتهم و بالهوى إليهم و هذه هى غايه المركزيه من استقبال الكعبه بحيث يحصل التوجه بالذريه الطاهره إلى الله عزّ و جل و يتقرب إليه من هذين الأمرين و هذا ما أشار إليه الباقر عليه السلام بأن:

(من تمام الحج هو لقاء الإمام(١) ولا يمكن رفع اليد عنها فى كونها من آيات الحج.

كما روى الشيخ الصدوق: (قال حدثنا تميم بن بهلول عن أبيه عن إسماعيل بن مهران عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج(٢).

و كما فى صحيحه أبى عبيده قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام و رأى الناس بمكه و ما يعملون- قال فقال: فعال كفعال الجاهليه، أما و الله ما أمروا بهذا و ما أمروا إلا- أن يقضوا تفثهم و ليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرتهم(٣).

عن أبى جعفر عليه السلام قال: (أتدرون أى بقاع أفضل عند الله منزله؟) فلم يتكلم أحد منا و كان هو الراد على نفسه قال ذلك مكه الحرام التى رضىها الله لنفسه حرما و جعل بيته فيها، ثم قال: أتدرون أى البقاع

ص: ٩٢

١- (١) الكافى: ج ٤ باب اتباع الحج بالزياره/ علل الشرائع ج ٢: العله التى من أجلها وجبت زياره النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمه بعد الحج/ عيون أخبار الرضا: ج ١ باب فى ذكر ثواب زياره الإمام.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: باب فى ذكر ثواب زياره الإمام عليه السلام ج ١، تفسير نور الثقلين للحويزى باب فإن حصرتم فما استيسر من الهدى ج ١.

٣- (٣) الكافى: باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج ١.

أفضل فيها عند الله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه فقال ذلك المسجد الحرام، ثم قال: أتدرون أى بقعه فى المسجد الحرام أفضل عند الله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه قال ذلك ما بين الركن الأسود و المقام و باب الكعبة و ذلك حطيم إسماعيل عليه السلام ذلك الذى كان يذود غنيماته و يصلى فيه و الله و لو أن عبدا صف قدميه فى ذلك المكان قام ليلا- مصليا حتى يجيئه النهار و صام حتى يجيئه الليل و لم يعرف حقنا و حرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئا أبدا(١) أن آبانا إبراهيم صلوات الله عليه كان فيما اشترط على ربه أن قالَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ أما أنه لم يقل الناس كلهم.. إلى آخر الحديث(٢).

و كما جاء فى تفسير العياشى: عن رجل ذكره، عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله: إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ إِلَى قَوْلِهِ (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: (نحن هم، و نحن بقيه تلك الذرية) و فى روايه أخرى، عن حنان بن سدير، عنه عليه السلام (نحن بقيه تلك العتره)(٣).

و كونهم ذرية إبراهيم التى أسكنت عند البيت هو بنفسه برهان مستقل على كونهم محل دعوه إبراهيم بأن يكونوا الأمة المسلمه و التى فيها الإمامه- عن الآية(٣٧) فى سوره إبراهيم و لذلك عقد الكلينى بابا

ص: ٩٣

١- (١) ثواب الأعمال للصدوق باب من جهل حق أهل البيت عليهم السلام ص ٢٠٥ و فى مصادر أخرى أيضا مع اختلاف فى الألفاظ.

٢- (٢) تفسير العياشى: باب قوله تعالى: ربنا إني أسكنت من ذريتي ج ٢ ص ٢٣٣ ح ٤٠.

٣- (٣) تفسير العياشى: باب قوله تعالى: ربنا إني أسكنت من ذريتي ج ٢ ص ٢٣١ ح ٣٥، ٣٦.

ليان هذا المطلب و أن الأوامر الثلاث فى الآيه الكريمة مقترنه مع بعضها البعض و لا تتجزأ و لا تنفك.

و روى عبد الله بن سنان عن ذريح المحاربى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: إن الله أمرنى فى كتابه بأمر فأحب أن أعلمه قال: و ما ذاك؟ قلت: قول الله عزّ و جلّ: **لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ** قال:

(**لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**) لقاء الإمام (و **لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ**) تلك المناسك، فقال عبد الله بن سنان: فأتيت أبا عبد الله عليه السّلام فقلت: جعلنى الله فداك قول الله عزّ و جلّ (**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ**) قال أخذ الشارب و قص الأظفار و ما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فإن ذريح المحاربى حدثنى عنك أنك قلت له: **«ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ»** لقاء الإمام و ليوفوا نذورهم تلك المناسك «فقال: صدق ذريح و صدقت، إن للقرآن ظاهرا و باطنا و من يحتمل ما يحتمل ذريح؟» (١).

و كيف تتحقق الصله و نحن نعيش فى عالم الأجسام و المادة؟ و هل هى بالقطيعه و قطع الصله كما هو عليه النواصب و المعادون لأهل البيت عليهم السّلام؟

الجواب:

لا- تتم هذه الصله إلا- بالحضور الجغرافى و الوفود إليهم و الهوى إليهم و الوفاده الجسمانيه مع التوجه إلى الله بهم فى الزياره (فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرتهم) و هذا ما أشار إليه أئمه أهل البيت عليهم السّلام.

ص: ٩٤

١- (١) بحار الأنوار ج ٩٦: باب الخامس و الخمسون: الرجوع من منى إلى مكه للزياره ح ٢٠/معانى الأخبار للشيخ الصدوق: ٣٤٠.

ما تشير إليه الروايه معتبره السند-على الأصح-التي يرويها الكليني بسنده:

عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، و محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال جميعاً، عن أبي جميله، عن خالد بن عمار، عن سدیر قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام و هو داخل و أنا خارج و أخذ بيدي، ثم استقبل البيت فقال: يا سدیر إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا و هو قول الله: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) (١)** ثم أوماً بيده إلى صدره-إلى ولايتنا.

ثم قال يا سدیر فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفه و سفيان الثوري في ذلك الزمان و هم حلق في المسجد، فقال:

هؤلاء الصادون عن دين الله بلا-هدى من الله و لا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم **(٢)**.

و من الملاحظ بأن الكليني عقد هذا البحث في العقائد (كتاب الحج) نظير ما فعله في بحث الخمس و الأنفال ليبين بأن الخمس و الأنفال الذي هو من المنابع العامه أصله و تشريعه هو ولايه أهل البيت

ص: ٩٥

١- (١) سورة طه، الآية: ٨٢.

٢- (٢) الكافي: باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج ١.

على هذه الأموال، والولاية هي بحث عقائدي و بذلك يتضح النكته و الغرض من جعلها في باب الحججه.

كما أن بوابه الأنفال و الفيئ هي من الأبواب العظيمة في الإسلام و بذلك تكون هذه الأموال تحت ولاية الإمام المعصوم عليه السلام كما جاء في بعض الروايات بأن الإمام هو رب التدبير في الأرض الذي بإذنه تعالى يدير و يدبر بأمر من الله سبحانه و تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) الذي له الولاية العظمى بأمر من الله عزّ و جل.

فلا بد للفقهاء أن يبحث عن هذه المقدمات العقائديه لكي يؤسس على ذلك و ينطلق إلى البحث الفقهي و الأبواب الفقهيه المتصله و المرتبطه بذلك.

و في هذا البرهان يشير الباقر عليه السلام إلى التوحيد في العباده في مقابل الوثنيه في قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (١).

هذه الآيه القرآنيه تبين بأن المغفره من الله عزّ و جل تكون بالإيمان بالله و العمل الصالح و من أبرز هذه المصاديق الحج كما ورد (بأن الحاج يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) لكن مع ذلك فإن الغفران من الذنوب بأي سبب من الأسباب مشروط بشرط آخر لا بد الإتيان به و هو (الاهتداء).

(و إني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى) ثم أوما بيده إلى صدره (إلى ولايتنا) و هذا يعني بأن الإيمان بالوحدانيه و العمل

ص: ٩٤

الصالح لا يتم إلا بالاهتداء بأهل البيت عليهم السلام و الاقتداء بتعاليمهم و إرشاداتهم.

كما روى الكليني في باب معرفه الإمام و الرد إليه: (إن الله تبارك و تعالى أخبر العباد بطرق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون، فقال: و إنى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى» و قال «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنوا أنهم آمنوا، و أشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى، و وصل الله طاعه و لى أمره بطاعه رسوله، و طاعه رسوله بطاعته، فمن ترك طاعه و لاه الأمر لم يطع الله و لا رسوله، و هو الإقرار بما أنزل من عند الله عزّ و جل (١).

كما روى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذات يوم و هو راكب، و خرج على عليه السلام و هو يمشى، فقال له: يا أبا الحسن، إما أن تتركب، و إما أن تنصرف، فإن الله عزّ و جل أمرنى أن تتركب إذا ركبت، و تمشى إذا مشيت، و تجلس إذا جلست، إلا أن يكون حدّ من حدود الله لا بد لك من القيام و القعود فيه، و ما أكرمنى الله بكرامه إلا و قد أكرمك بمثلها، و خصنى بالنبوه و الرساله، و جعلك و لى فى ذلك، تقوم فى حدوده و فى صعب أموره، و الذى بعث محمدا بالحق نبيا ما آمن بى من أنكرك، و لا أقر بى من جحدك و لا آمن بالله من كفر بك، و إن فضلك لمن فضلى، و إن فضلى لك لفضل الله، و هو قول ربي عزّ و جل: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

ص: ٩٧

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١) ففضل الله نبوه نبيكم، ورحمته ولايه على بن أبي طالب (فبذلك) قال: بالنبوه و
الولاية (فليفرحوا) يعني الشيعة (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يعني مخاليفهم من الأهل و المال و الولد في دار الدنيا.

و الله (يا على) ما خلقت إلا ليعبد ربك، و لتعرف بك معالم الدين، و يصلح بك دارس السبيل، و لقد ضل من ضل عنك، و لن
يهتدى إلى الله عزّ و جل من لم يهتد إليك و إلى ولايتك، و هو قول ربي عزّ و جل: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا
ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) (٢) يعني إلى ولايتك.

و لقد أمرني ربي تبارك و تعالى أن افترض من حقك ما افترضه من حقي، و إن حقك لمفروض على من آمن بي، و لولاك لم
يعرف حزب الله، و بك يعرف عدو الله، و من لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء، و لقد أنزل الله عزّ و جل إلى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ يَعْنِي فِي وَلَايَتِكَ يَا عَلِيُّ إِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (٣) و لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط
عملي، و من لقي الله عزّ و جل بغير ولايتك فقد حبط عمله، و وعد ينجز لي، و ما أقول إلا قول ربي تبارك و تعالى، و إن الذي
أقول لمن الله عزّ و جل أنزله فيك و صلى الله على رسوله محمد و آله المعصومين (٤).

فيتين من مفاد الآيه أن من أسباب المغفرة التوبه و العمل الصالح و لا تتم إلا بالاهتداء و الهدايه و لا يهتدى العبد إلى الله عزّ و
جل ما لم يهتد

ص: ٩٨

١- (١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

٢- (٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

٣- (٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٤- (٤) الأمل إلى الشيخ الصدوق باب فضائل على عليه السلام.

إلى ولاية أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام بنص هذه الآيه الكريمة: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ**
اهْتَدَى (٨٢) لذلك أوما الإمام عليه السلام بيده إلى صدره لكي يشير إلى هذا البرهان العقائدى و أن هذه الأعمال كالحج و
الصلاه الذى هو من أسباب المغفره لا نفع فيها و لا تقبل إلا(بالاهتداء)إلى ولاية أهل البيت عليهم أفضل الصلاة و السلام التى
يتم بها التوحيد فى العباده و أن مجرد التوبه و أصل الاعتقاد بالتوحيد و كثره العمل الصالح لا يفي بتحقيق الغفران الإلهى و
القبول إلا بالاهتداء زائدا على ذلك و ليس وراء معرفه التوحيد إلا الولاية لله تعالى و لرسوله و للأوصياء من عترته.

انظر إلى هذا الاستدلال العام الذى يطبق على عموم أسباب المغفره كما جاء فى روايات الفريقين أن الصلوات الخمس و هى
الفرائض اليوميه مطهره و مسببه للمغفره عن الذنوب كما هو فى روايات أهل البيت عليهم السلام خاصه: عن أبى جعفر عليه
السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل فى كل يوم منه خمس مرات، أكان يبقى فى جسده من الدرن شىء؟، قلنا: لا، قال: فإن
مثل الصلاه كممثل النهر الجارى، كلما صلى صلاه كفرت ما بينهما من الذنوب»(١).

فهذه الصلاه المفروضه رغم أنها عباده و مغفره من الذنوب مشروطه بالاهتداء بالائمه و الولاية لهم عليهم أفضل الصلاة و السلام
و الجاحد لهذه الولاية لا تقبل له عباده مدى الدهر كما قال: أبو عبد الله عليه السلام:

(إن فوق كل عباده عباده، و حبنا أهل البيت أفضل عباده)(٢).

ص: ٩٩

١- (١) وسائل الشيعة: باب وجوب صلوات الخمس ج ٤ ح ٤٣٨٧.

٢- (٢) المحاسن للبرقى: كتاب الصفوه و النور و الرحمه باب الحب ج ١.

و هذا اللسان الوارد في سورة طه بعينها أشار إليه الأئمة أهل البيت عليه السّلام في (سورة الحمد) التي جمعت فيها القرآن و بأنها القرآن العظيم كما في قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (١)**.

و سورة الحمد هي من المثاني التي توضح آيتها بعضها البعض و يصدق بعضه البعض كما في قول أمير المؤمنين علي عليه السّلام: (ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض).

كما نزلت سورة الحمد على النبي الأكرم مرتين لأهميتها و أهميه محتواها الذي ذكره أهل البيت عليه السّلام و منه ما روى عن محمد بن مسلم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جل **«وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»** فقال فاتحه الكتاب يثنى فيها القول. و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إن الله تعالى منّ عليّ بفاتحه الكتاب من كنز الجنة، فيها **«بسم الله الرحمن الرحيم»** الآية التي يقول الله تعالى فيها **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِذَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٢)**.

فإن سورة الحمد تعرضت للشهادة الأولى و الشهادة الثانية و الشهادة الثالثة، فقوله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) (٣) إشاره إلى الشهادة الأولى، و هي كلمه (لا إله إلا الله)، و قوله تعالى: **مَالِكِ**

ص: ١٠٠

١- (١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

٢- (٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

٣- (٣) سورة الحمد، الآيتان: ٢-٣.

يَوْمِ الدِّينِ (١) إشاره إلى أصل المعاد، الذي هو من أصول الدين، وقوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٢) إشاره إلى مقام التشريع و النبوه، لأن العباده لا تتحقق إلا بالسير على خطى النبوه و الرساله.

و قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ (٧) (٣)، إشاره إلى مقام الإمامه فى الأمه، فهناك مجموعه فى الأمه الإسلاميه ندعو الله عزّ و جل فى اليوم و الليله أن يهدينا صراطهم المستقيم كما قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسْبُ أَوْلِيكَ زَفِيحًا (٤)، و هذا الصراط هو المنزه عن الغضب فى العمل و عن الضلال فى العلم، أى صراط المعصومين علما و عملا، و هؤلاء الهداه الهادون إلى الصراط المستقيم و صنفهم الله تعالى بثلاثه نعوت:

الأول: أنهم منعم عليهم بنعمه خاصه دون بقيه الأمه و سائر البشر، نظير ما أنعم الله على النبيين.

الثانى: أنهم لا يغضب الله عليهم قط، و إلا لما كانت لهم صلاحيه الهدايه لجميع الأمه.

الثالث: أنهم لا يضلون قط، و إلا لم يكونوا هداه هادين لكل الأمه.

ص: ١٠١

١- (١) سورة الحمد، الآية: ٤.

٢- (٢) سورة الحمد، الآية: ٥.

٣- (٣) سورة الحمد، الآيتان: ٦-٧.

٤- (٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

و لم يحدثنا القرآن الكريم عن ثله فى هذه الأمه قد خصصوا بنعمه و حظوه و حبه إلهيه خاصه دون بقية الأمه إلا أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام.

فبذلك اشتملت سوره الحمد على أصول الدين من توحيد الذات و الصفات و نعت الله عزّ و جل بالرحمانيه و الرحيميه و الإقرار بالمعاد و النبوه و الحاجه إلى النبوه و ضروره الهدايه إلى الصراط المستقيم، كما لم تغفل السوره مبدأ البراءه عن (المغضوب عليهم) و عن (الضالين). و هم أعداء الله و الرسول و الأئمه الطاهرين و هذا ما يطلبه الإنسان المسلم فى صلاته بأن يجعل له هداه و أئمه يهتدى بهم.

كما تبين بأن المسلم المؤمن القارئ لسوره الحمد إلى ها هنا أسلم لكنه لم يهتد بعد «الهدايه التامه» مع إقراره (بالشهادتين) و المعاد و مع ذلك تخاطب السوره المسلم المصلى فى يومياته بأن يدعوا الله أن يهتدى إلى الصراط المستقيم، و هذا يعنى بأن الإقرار بالشهادتين و المعاد لم تتم بها الهدايه من دون ضم الشهاده الثالثه إلى الشهاده الثانيه و الأولى، لا كما تتقنع هذه الشرحه بشعار التوحيد و تدعوا إلى الوثنيه الجاهليه بحيث لا تطعم فى أدبياتها مقتضيات الشهاده الثانيه و تداعيات الشهاده الثانيه و مؤديات الشهاده الثانيه و جعلها فى حساباتهم و أدبياتهم، فلا بد من ضم الشهاده الثالثه إلى الشهادتين لأن الاهتداء إلى الصراط المستقيم شرط للوصول إلى الجنه و لا تتم النجاه من النار إلا به لكى نصل إلى المطلوب فإن الإمامه شرط فى الهدايه و لا تقبل العباده إلا به و النبوه إنما هى إراءه الطريق و كشف و تشريع و تمهيد للإمامه و هذا بأمر ملكوتى من الله عزّ و جل و النبى نبي و إمام أيضا بل هو إمام الأئمه.

كما جاءت لفظه (اهتدى) بتعابير و عناوين متعدده و وجوه متعدده

لحقيقه واحده فى القرآن الكريم أى اجعل لنا هداة نقتدى بهم و هاديا و مهتديا يعنى إمام و إمامه و هذه اللفظه جاءت فى سورة الحمد بلفظه الهدايتهاهدنا الصراط المستقيم (٦) أى اجعل لنا هاديا و مهتديا نقتدى به و نسير على ولايته، و أن الشهادة الأولى و الثانية لا تتم الهداياه بهما إلا بضم الشهادة الثالثة و هى فى كبد الصلاة لا فى الأذان و الإقامه فحسب، بحيث تقر بها بلسانك فى الصلاة فى سورة الحمد و قد أفتى جملة من الفقهاء باستحباب دعاء التوجه كالصدوق فى الفقيه و المفيد فى المقنعه و الطوسى فى النهايه و المبسوط و هذا بعد تكبيره الإحرام لكى تكون على مله إبراهيم الذى هو على دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم و تخرج من الإشراك بالله من خلال منهاج على و هدى على بحيث تتوجه إلى الله بعد التكبيره و تقول:

(وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض، عالم الغيب و الشهاده، الرحمن الرحيم على مله إبراهيم، و دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و ولايه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حنيفا مسلما، و ما أنا من المشركين، إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين(١)).

النتيجه:

بأن الشهادة الأولى لا تتم إلا بشروطها كما قال الإمام الرضا عليه السلام و بأن الشهادة الثالثة هى أحد أركان الشهادة الأولى و شروطها و بها يهتدى العبد المسلم كما فى سورة طه قال تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٢) و هذه الهداياه التى تشير إليها سورة الحمد هى الهداياه التى ترشدنا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بالطهاره و بنعمه خاصه دون بقيه البشر المترهين عن الرجس و المعصومين

ص: ١٠٣

١- (١) المقنعه للصدوق: الركوع و ذكره ص ٩٣.

٢- (٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

فى القول و العمل و أن من تمام الأعمال و العبادات هو التوجه و التولى إلى هدايه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة و الصلاه و الموده لهم.

و هذا هو المراد من قول الباقر عليه السلام لسدير و هو مستقبل البيت: (يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا و هو قول الله: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) - ثم أوما بيده إلى صدره- إلى ولايتنا. ثم قال: يا سدير فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبى حنيفه و سفيان الثورى فى ذلك الزمان و هم حلق فى المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله و لا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا فى بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم (١).

فالبرهان الخامس الذى يشير إليه الإمام الباقر مفاده: بأن معنى التوحيد فى العباده فى مقابل الوثنيه هو الإقرار و التولى بولايتهم و بالتالى تكون الزياره مصداق بيان التولى بولايتهم عليهم السلام زيارتهم و الهوى إليهم و لقاءهم فى حاله معرفه لقاءهم، فزياره قبورهم عليهم السلام هو نوع من تجديد العهد بهم و توثيق العهد و إظهار المحبه إليهم.

فزياره قبورهم و الولايه لهم هى من تمام العبادات و هى من شرائط الحج و استقبال الكعبه و أن مشاهد قبر النبى و قبور عترته هو ركن من معالم الدين و قبول الأعمال و العبادات و من يحارب هذا الركن يريد إرجاع الناس إلى عبادات قريش الوثنيه و عزل الأوامر الإلهيه عن بعضها البعض و ممارسه طقوس و عبادات الجاهليه.

ص: ١٠٤

١- (١) أصول الكافي: ج ١ ص ١ باب الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم.

قال تعالى: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) (١).

فهذه الآية المباركة تبين الغاية من الحج و غايه مجموع العبادات و أن إبراهيم عليه السّلام هو المتكلم الأول و الناطق الرسمي عن الله عزّ و جل في الندبه إلى الحج، فهو يأمر الناس بحج بيت الله الحرام (و أذن) يعنى أعلن أذان الإعلام و أمر الناس بالحج كما نصت على ذلك روايات الفريقين.

ثم إن التعبير الآخر في الآية المباركة بعد الأذان في الناس بالحج (يأتوك رجالاً) فالمجىء ليس إلى البيت و لا إلى الله عزّ و جل مباشرة و إلا عبر البارى تعالى ب (يأتونى) بل المجىء أولاً إلى إبراهيم عليه السّلام.

فالإتيان إلى الحج تلبية و إجابته للنداء الإلهى إنما يتم بالوفاده على ولى الله، و يكون الحج الذى هو قصد إلى الله تعالى بواسطه الإتيان إلى إبراهيم عليه السّلام، الذى هو وجيه عند الله تعالى، يتوجه إليه و يقصد لإقامه الصلاه و الطواف و سائر مناسك الحج العباديه، فلا بد من الوفود على إبراهيم عليه السّلام و محبته و هوى الأفئده إليه.

و هذه الآية المباركة تتوافق في المضمون مع ما تقدم من قوله تعالى:

رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءَ كَثُفًا مِّنْ ذُرِّيَّتِي بِعَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهَيَّؤْا إِلَيْهِمْ (٢)، فإبراهيم عليه السّلام

١- (١) سورة الحج، الآيتان: ٢٦-٢٧.

٢- (٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

و ذريته أسكنهم الله عزّ و جل البيت الحرام و بوأهم فيه لإقامه الصلاه و تشييد الدين و تطهير البيت للطائفين و القائمين و الركع السجود، و الإيذان فى الناس بالحج، و لكن لا قيمه للحج و لا مقبوليه عند الله عزّ و جل إلا بالمجىء إلى إبراهيم عليه السّلام و ذريته من ولد إسماعيل عليه السّلام، و هوى القلوب و الأفئده إليهم و محبتهم و مودتهم و توليهم و إبراز الطاعه لهم و جعلهم واسطه فى القصد إلى الله تعالى.

فبوى الله عزّ و جل لإبراهيم البيت، و إسكان إبراهيم ذريته فيه من أجل الوفود عليهم و مودتهم، هو الذى جعل من البيت الحرام مكانا و مقصدا لإقامه العباده فيه، و الأحجار بما هى أحجار لولا ذلك تكون و ثنا يعبد من دون الله عزّ و جل، كما كان الحج فى الجاهليه.

و لذا ورد أن من المستحبات عند الدخول إلى البيت الحرام إلقاء التحيه و السلام على سيد الأنبياء محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم السلام على النبي إبراهيم عليه السّلام فكأن الحاج وافد عليهما و زائر لهما(١).

فعن أبى عبد الله عليه السّلام قال: (و قل و أنت على باب المسجد: السلام عليك أيها النبي و رحمه الله و بركاته، بسم الله و بالله و من الله و ما شاء الله، و السلام على أنبياء الله و رسله، و السلام على رسول الله-صلّى الله عليه و آله و سلّم-، و السلام على إبراهيم-عليه السّلام- و الحمد لله رب العالمين)(٢).

فالمجىء إلى النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم إلى إبراهيم عليه السّلام مجىء و إتيان و قصد إلى الله عزّ و جلّ، و كذا أهل البيت عليهم السّلام؛ لأنهم الذريه و الأمه المسلمه الذين دعا إبراهيم و النبي الأكرم إلى مودتهم و محبتهم.

ص: ١٠٦

١- (١) الوسيله لابن حمزه: ص ١٧٢.

٢- (٢) المقنع للصدوق: آداب دخول مسجد الحرام: ٢٥٥.

و الوفاده إلى أهل البيت التي تتحقق بالمجيبى و زيارتهم هو وفاده إلى الله عزّ و جل كما روى فى تهذيب الأحكام عندما سأل زيد الشحام الإمام الصادق عليه السلام: (ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: كمن زار الله فوق عرشه) (١).

و هذه الخصوصيه كذلك فى أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين كما هو فى كامل الزيارات:

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (من زار قبر الحسين بن علىّ عليهما السلام يوم عاشوراء عارفا بحقه كان كمن زار الله فى عرشه) (٢).

و هذه الأماكن تقصد لإقامه العباده و تقام فيها الشعائر و إلا- الأحجار بما هى أحجار و الطواف حولها من دون ولى الله و الأصفياء المصطفون هى عباده خاويه و ثنيه فى منطق القرآن لا كما تدعى هذه الشرذمه، إذن الأنبياء و الأوصياء هم أبواب الله التى يتجه إليه بها، و لولا ذلك لا يكون الحج حجا إبراهيميا بل حج الجاهليه.

مقام إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ**

ص: ١٠٧

١- (١) و فى التهذيب: (قال الشيخ ره- معنى قول الصادق عليه السلام: من زار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان كمن زار الله فوق عرشه، هو أن لزاره صلى الله عليه و آله و سلم من المثوبه و الأجر العظيم و التبجيل فى يوم القيامه، كمن رفعه الله إلى سمائه، و أدناه من عرشه الذى تحمله الملائكه، و أراه من خاصه ملائكته ما يكون به توكيد كرامته، و ليس على ما تظنه العامه من مقتضى التشبيه ج ٦/ص ٤).

٢- (٢) كامل الزيارات باب ٧١ ثواب من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء/ مستدرک الوسائل ج ١٠ باب تأكد استحباب زياره الحسين عليه السلام ص ٢٩١.

مُصَلَّى وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١).

والتعبير ب(مقام) في الآية الكريمة للدلالة على التفضيم و التعظيم لذلك المكان و هو حجر من الأحجار كما في قوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (٢) و قوله تعالى: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٣)، و ليس ذلك إلا لكونه لامس بدن إبراهيم عليه السلام، حيث كان يقف عليه عند بنائه للبيت الشريف فتقدّس بذلك و أصبح ذا حرمة يتولد منها وجوب اتخاذه مصلى، فهذا الحجر عظّمه الله تعالى و فحّمه و سمّاه مقاما، و أمرنا أن نتخذه مصلى، أى نتخذه قبله بالاتجاه إليه و إلى الكعبة أثناء صلاة الطواف و غيرها فى شعيره الحج و العمرة، التى هى القصد و التوجه إلى الله عزّ و جل، فالحاج عندما يريد أن يقصد و يتوجه إلى ربه بعمره أو حج فى الطواف و فى بيت التوحيد و معقله، لا بد له من التوجه بالحجج و الوسائط و الآيات إلى الله تعالى، و هو مقام إبراهيم و الكعبة المشرفة.

و إذا كان الحجر بلامسته بدن إبراهيم عليه السلام اكتسب هذه المكانة، فكيف بك بنفس النبي إبراهيم؟ ألا يتوجه به إلى الله عزّ و جل بالأولوية، فيقال: يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله؟

فالمثابه إلى بيت الله الحرام من دون اتخاذه مقام إبراهيم مصلى يكون عملا وثنيا و شركا كعمل المشركين و مناسكهم فلا بد من ضم رمزا آخر بالإضافة إلى رمزيه الكعبة، و هو التوجه بالحجج و الوسائط و الآيات إلى الله عزّ و جل.

ص: ١٠٨

١- (١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

٢- (٢) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

٣- (٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

ثبت في علم الأصول أن الحكم معلول لموضوع نفسه و لا- يمكن أن يكون عله له، ففرض الموضوع سابق و متقدم على فرض الحكم، و الحكم في قوله تعالى: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ (١)** هو وجوب اتخاذ المقام مصلي، و الموضوع هو مقام إبراهيم عليه السلام، و متعلق الحكم هو استقبال مقام إبراهيم عليه السلام في الصلاة.

و حيث إن الموضوع سابق على الحكم سبق العله على معلولها، فلا بد من فرض المفروغيه عن جعل سابق لتحقيق الموضوع في نفسه، و هو كون مقام إبراهيم عليه السلام محل للقربات و التعبد و البركه و القداسه، و حينئذ و بعد الفراغ عن ذلك يأتي المحمول، و هو وجوب اتخاذه مصلي باستقباله في الصلاة إلى جهه الكعبه.

فالحكم دال على أن للموضوع أسبقيه في القداسه و كونه معلما من معالم الدين، و من ذلك يتضح أن البيت الحرام إنما يجب أن يقصد بشرط، و هو أن تفرق العباده التوحيديه للحج بولى الله إبراهيم عليه السلام و أن المقامات المقدسه و المشاعر المشرفه إنما تقصد للوصول إلى آثار الأنبياء و مقاماتهم؛ لكونها مواطن شعرها الله عزّ و جل و جعلها أسبابا و وسائل لنيل القربى و الزلفى إليه تعالى.

و إذا كانت صخره لامست قدمى إبراهيم عليه السلام لها تلك القداسه و العظمه و البركه، فكيف بمشاهد النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلمّ و أهل بيته عليهم السّلام الذين هم أفضل و أعظم من إبراهيم و جميع الأنبياء عليهم السلام، حيث نص القرآن على كون على عليه السلام بمنزله نفس النبى صلى الله عليه و آله و سلمّ، و هذا مقام لم يحظ به أحد

ص: ١٠٩

من الأنبياء والمرسلين، وكذلك قرنهم الله تعالى بنبيه في مواطن عديدة، واختصهم دون بقية الأنبياء والمرسلين.

إذن هذه الآيه المباركه تفيد عموم التبرك بمواضع الأنبياء والأولياء وأنه من صميم التوحيد وأن نبذه من صميم الوثنيه و الجاهليه.

و ليس ذلك إلا لكونها من شعائر الله، فيجب تعظيمها تعظيماً لله تعالى، فهذه الآيه الكريمة داله بالنص على تشعير مواطن الأنبياء و المصطفين للقربى و العباده.

ثم إنه لا يخفى ما فى التعبير ب(المقام) فى الآيه المباركه من الدلاله على ما تقدم؛ لأن التعبير ب(مقام) له دلالة شرعيه أديانيه بكون ذلك المكان محلاً يتبرك به.

و هكذا إضافه المقام إلى إبراهيم مشعر بالعليه، فليس ذلك الحكم حكماً لكل حجر، بل الحجر المنتسب إلى إبراهيم عليه السلام.

بل قد حكى القرطبي فى تفسيره عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و عطاء أن مقام إبراهيم الحج كله، و عن عطاء أنه عرفه و مزدلفه و الجمار و قال الشعبي النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، و قاله مجاهد(1).

فعلى هذه الأقوال فى تفسير مقام إبراهيم يتضح جلياً أن الحج و الحرم كله قد ملأ ببصمات و إضافات منتسبه إلى النبى إبراهيم عليه السلام و أنه لأجل ذلك استأهلت تلك الأماكن أن تكون مواطن لعباده الله، و أن الحج جعل عباده توحيديه عظيمه بوسيله التوجه بالأنبياء إلى الله تعالى فى الأعمال و النسك التى يؤتى بها، حيث أضيفت إليهم السلام، فلا

ص: ١١٠

١- (١) تفسير القرطبي: تفسير قوله و إذ جعلنا البيت مثابه للناس ج ٢ ص ١١٣.

يستطيع المسلم أن يتجنب أو يستبعد آيات الله و حججه في إبراز معالم التوحيد.

التبرك بمواضع الأنبياء:

و بذلك نستفيد من هذه القاعده الأديانيه الشريفه التي نحن فيها قاعده أخرى ذات الصله بالبحث و هي قاعده التبرك بمواضع الأنبياء التي لها أدلتها الخاصه بها.

و نستعرض في هذا البحث عدده نماذج تتعلق بمواضع الأنبياء،و أن هذه المواضع تبركت و تقديست ببركه ملامستها لمواضع أبدانهم الشريفه و أنهم الوسيله لقضاء الحوائج عند الباري تعالى.

النموذج الأول:قال تعالى: وَ جَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيَّنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (١)و هذا يعنى أن عيسى عليه السلام جعله الله عزّ و جل مصدر البركه و التبرك أين ما حل؛و لذا كان ببركته يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذن الله تعالى،فهو وجيه و واسطه في قضاء الحوائج في كل مكان حل فيه،فما بالك بخاتم الأنبياء عليه السلام و أهل بيته الأطهار و من يصلى عيسى خلفه عند نزوله و يكون وزيراً له؟

النموذج الثاني:تعظيم الصحابه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم:

عندما رجع عروه بن مسعود إلى قريش من عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم في صلح الحديبيه و قد رأى ما يصنع به أصحابه قال الزهري:

(إنّ عروه جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعينه.قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نخامه إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلّك بها وجهه

ص: ١١١

و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره، و إذا تَوْضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، و إذ تكلم خفضوا أصواتهم عنده، و ما يحدون إليه النَّظْر تعظيماً له، فرجع عروه إلى أصحابه، فقال أى قوم، و الله لقد وفدت على الملوک، و وفدت على قيصر و كسرى و النَّجاشي و الله إن رأيت ملكاً قط، يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ محمّداً، و الله إن تنخم نخامه إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره و إذا تَوْضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه (١).

كما ذكر في سيره لابن هشام بأنه رأى ما يصنع الصحابه بالرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و بأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، و لا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، و لا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه (٢).

و هذا في كتب الصحاح بأن الصحابه كانوا يأخذون من الماء الذى تَوْضَّأ به النبی صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و يتبركون حتى بنخامته و هذا هو إقرار بأن النبی صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و هو أعظم المخلوقات يتبرك به و جعله وسيله لقضاء الحوائج و وسطه إلى الله عزّ و جل.

فالآيه السابقه فى سورة مريم تتناغم مع سورة البقره فى قوله تعالى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ (٣).

النموذج الثالث: السامرى و العجل

قصه السامرى صاحب العجل، التى وردت فى قوله تعالى فى بنى

ص: ١١٢

١- (١) صحيح البخارى: باب الشروط فى الجهاد و المصالحه مع أهل الحرب ج ٣ ص ١٨٠.

٢- (٢) السيره لابن هشام ص ٥٠٢ أمر الحديبيه.

٣- (٣) سورة البقره، الآيه: ١٢٥.

إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السّلام إلى ربه: قالوا ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَ لَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) (١) إلى أن قال الله عزّ وجلّ حكاية عن لسان موسى عليه السّلام: قال بصيرة بما لم يبيصروا به فقبضت قبضه من أثر الرّسول فتبدت لها وكذلك سوّلت لي نفسي (٩٦) (٢).

و الرسول في الآية الكريمة كما في بعض الروايات هو جبرائيل عليه السّلام، عندما هبط و تمثل على حصان ليستنقذ موسى عليه السّلام و بنى إسرائيل من فرعون و جنوده و يرشدهم إلى الطريق، من أجل العبور من مصر إلى الطرف الآخر، فكان على حصان نوري تمثلي، و كان السامري من خواص النبي موسى عليه السّلام، فلاحظ أن حافر حصان جبرائيل عليه السّلام عندما كان يخطو الحصان ينبت الزرع دفعه واحده من تحته، فقبض قبضه من أثر حصان الرسول فنبتها في العجل فإذا هو له خوار.

و قد وردت هذه القصة في روايات الفريقين:

ففي تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: (و كان السامري على مقدمه موسى يوم أغرق الله فرعون و أصحابه، فنظر إلى جبرائيل و كان على حيوان في صورته رمكه (٣) فكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري و كان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من تحت حافر رمكه جبرائيل و كان يتحرك، فصّره في صّره، و كان عنده يفتخر به على بنى إسرائيل، فلما

ص: ١١٣

١- (١) سورة طه، الآيتان: ٨٧-٨٨.

٢- (٢) سورة طه، الآيتان: ٩٥-٩٦.

٣- (٣) الرمكه: الأنتى من الخيل.

جاءهم إبليس و اتخذوا العجل قال للسامري هات التراب الذى معك، فجااء به السامري فألقاه إبليس فى جوف العجل، فلما وقع التراب فى جوفه تحرك و خار(١).

و فى جامع الطبرى قال: (و قوله: فقبضت قبضه من أثر الرسول، يقول: قبضت قبضه من أثر حافر فرس جبرائيل) ثم أخرج عن ابن عباس قوله: (لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينه آل فرعون فى النار، و تكسرت، و رأى السامري أثر فرس جبرائيل عليه السّلام، فأخذ ترابا من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، و قال: كُن عَجَلا جَسَدا لَه خَوار، فَكان لِلبلاء و الفتنه) و فى حديث آخر عنه أيضا: (فألقى القبضه على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار، فقال: هذا إلهكم و إله موسى).

و أخرج أيضا عن مجاهد فى قول اللّٰه تعالى: فَقبَضْتُ قبْضَه مِنْ أَثَرِ الرّسُولِ فَتَبَدَّثُها قال: من تحت حافر فرس جبرائيل، نبذه السامري على حليه بنى إسرائيل، فانسبك عجلا جسدا له خوار(٢).

فإذا كان أثر التراب الذى لامس حافر فرس جبرائيل عليه السّلام له ذلك التأثير مع أن السامري استخدمه فى طريق الضلاله و الغوايه فما بالك بمن هو أشرف من جبرائيل عليه السّلام؟ ألا تكون المواضع التى وقف فيها الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم و قبره و المواطن التى لامست بدنه الشريف ذات بركه و تأثير خارق لما هو المعتاد، لاسيما إذا كان فى طريق الهدايه و الانصياع للأوامر الإلهيه؟.

ص: ١١٤

١- (١) تفسير القمى: سجود بنى إسرائيل للعجل ج ٢ ص ٦٢.

٢- (٢) جامع البيان للطبرى: تأويل قوله تعالى: قال بصرت بما لم يبصروا به ج ١٦ ص ٢٥٤-٢٥٥.

اشاره

و البركه و القداسه:

١- آيه التطهير

قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١) في هذه الآيه القرآنيه أراد الله أن يبين للعباد بأن أهل البيت هم معدن الطهاره و القداسه و هذه الإراده هي إرادته تكوينيه لا تشريعيه فلذلك عبر البارى تعالى ب(يريد الله) و خاصه بوجود كلمه(إنما) الداله على الحصر و التأكيد لا على العموم التشريعى لكل الناس، و هذه الإراده نوع من الإمداد الإلهى الذى به اكتسب أهل البيت عليهم السّلام القداسه و البركه حيث طهرهم الله من الرجس الظاهرى و الباطنى بدلاله(ألف لام الجنس)الذى يشمل جميع المعاصى و الذنوب و كذلك القذاره الظاهريه كالخمر و القمار و النجاسه، و هذه القداسه و الطهاره هي هبه من عند الله البارى تعالى شأنه لما وجد أهليتهم لذلك و علم بمستقبل طاعتهم، و لذلك فهي من الجزاء المتقدم على العمل اللاحق، و بذلك تكون مواضعهم الشريفه مقدسه و مباركه، و أن أهل البيت هم الحجج و الوسيله التى يتقرب بها إلى الله سبحانه و تعالى.

٢- مريم بنت عمران عليها السلام

قال الله تعالى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٢) ففي كلمات جمله من المفسرين بأن الله اصطفى مريم بنت عمران مرتين:

ص: ١١٥

١- (١) سورة الأحزاب، الآيه: ٣٣.

٢- (٢) سورة آل عمران، الآيه: ٤٢.

الأولى: بمعنى الاختيار و الثانيه: حملت من غير فحل(١)، و طهرها من الدنس و الرذيله، جوابا على التهمه التى نسبت إليها من علماء بنى إسرائيل و أنها طاهره مطهره طيبه قدسيه، و هذا عين مفاد الآيه السابقه من سوره الأحزاب: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً(٣٣) و التقديس هنا بمعنى مباركتهم و طهارتهم(٢) و هذه المنزله العظيمة لا ينالها إلا الأنبياء و الأوصياء بإرادته الله سبحانه و تعالى.

٣- يوسف عليه السلام

قال تعالى: إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَ أَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَ لَمَّا فَصَّ لَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَن تَفَنَّدُونَ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) (٣) هذه الآيه تشير إلى قصه يوسف عليه السلام و ما له من منزله عظيمه عند الله سبحانه و تعالى، حيث أمر إخوته أن يلقوا قميصه على وجه أبيه ليرتد بصيرا ببركه ذلك القميص، و ذلك فى قوله تعالى: إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا فالمشافى فى هذه الآيات المباركه نبى كبير من الأنبياء، و هو يعقوب عليه السلام، و الشفاء حصل بتوسط قميص لأمس بدن يوسف عليه السلام، و هو نوع من التوسيط و التبرك فى إفاضة الشفاء من الله عز و جل، فإن الشفاء حقيقه من الله تعالى و الفيض كله منه تعالى؛ لأنه الخالق الحقيقى لكل الممكنات بما

ص: ١١٦

١- (١) تفسير نور الثقلين: تفسير قوله إذ قالت الملائكه يا مريم إن الله اصطفاك و طهرك ج ١ ص ٣٣٦.

٢- (٢) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٢٥٩.

٣- (٣) سوره يوسف، الآيات: ٩٣-٩٦.

فيها الشفاء والاستشفاء، كما في قول إبراهيم عليه السلام: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (١) ثم إنه ليس في المورد و هو القميص خصوصيه، بل ذلك شامل لكل ما له نسبه و إضافه إلى نبي من الأنبياء أو وصى من الأوصياء بما يوجب حصول البركه فيه، و ذلك لأن الفعل يحمل في طبياته الطبيعیه العامه و السنه الإلهيه الشامله، و لذا قال الله عز و جل في نفس سوره يوسف:

*لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ (٢)، و قال تعالى أيضا في السوره ذاتها: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى (٣).

إذن إذا كان نبي من الأنبياء يتبرك و يتوسل بجاه نبي آخر من الأنبياء، و هو ابنه يوسف عليه السلام، و ذلك ببركه قميصه بجعله واسطه فيض في الشفاء، فكيف ببدن يوسف عليه السلام، فهذا تكون آثارهم مقدسه بشهاده القرآن الكريم فكيف ببدن و آثار خاتم الأنبياء و الرسل.

و قال تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٤) و كذلك هذه الآيه التي تؤكد طهاره الأوصياء و الأنبياء من الدنس و المعاصي، فذكر الله تعالى شأنه في الآيه الكريمه بأن يوسف عليه السلام من الْمُخْلَصِينَ (٢٤) فصرف السوء و الفحشاء عنه، كما ذكر البارى تعالى بقوله لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ، أى نمنع عنه السوء و الفحشاء، و لم يقل نصرفه عن السوء و الفحشاء، أى نبعد السوء عن أن يقترب إليه، و ليس إبعاد يوسف عن أن يقترب إلى السوء و الفحشاء؛ إذ لم يكن من قبل

ص: ١١٧

١- (١) سوره الشعراء، الآيه: ٨٠.

٢- (٢) سوره يوسف، الآيه: ٧.

٣- (٣) سوره يوسف، الآيه: ١١١.

٤- (٤) سوره يوسف، الآيه: ٢٤.

النبى يوسف إقبال على الفحشاء و السوء كى يبعد عنه، بل الفحشاء فى فعل زليخا حيث أرادت أن تقبل على يوسف فصرفت عنه، وهذا فى قوله تعالى: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمْ يَهْمُ بِهَا، بَلْ هِيَ هَمَّتْ بِهِ كَمَا هُوَ فِي جَوَابِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى سَوَالِ الْمَأْمُونِ عَنِ عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ: لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا كَمَا هَمَّتْ لَكِنَّهُ كَانَ مَعْصُومًا وَ الْمَعْصُومَ لَا يَهْمُ بِذَنْبٍ وَ لَا يَأْتِيهِ، وَ لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ أَبِيهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:**

همت بأن تفعل و هم بأن لا يفعل فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن (1) فكان يوسف عليه السلام طاهر مطهر من الأرجاس لا يدنس شىء لا كما يدعى البعض بأنه هم بها و كاد أن يرتكب الفاحشه و العياذ بالله.

البقه المباركه:

قال تعالى: **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) (٢).**

و قال تعالى: **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) (٣) وَ كَذَا قَالَ تَعَالَى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) (٤).**

و قوله عز و جل: ***فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ**

ص: ١١٨

- ١- (١) عيون أخبار الرضا: فى تفسير قوله و لقد همت به ج ٢ ص ١٧٩.
- ٢- (٢) سورة طه، الآيات: ٩-١٢.
- ٣- (٣) سورة النازعات، الآيتان: ١٥-١٦.
- ٤- (٤) سورة مريم، الآيتان: ٥١-٥٢.

الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ حَيْذُوهُ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصِطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) (١).

قال القرطبي في تفسيره قوله تعالى: إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) المقدَّس: المطهر، و القدس: الطهاره، و الأرض المقدسه أى المطهره، إلى أن قال: وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زياده فضل على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زياده فضل على بعض (٢).

و قال صاحب الميزان في تفسيره للوادي المقدس: (بأن أصل الوادي الموضع الذي يسيل منه الماء و منه سمي المنفرج بين الجبلين واديا و جمعه أوديه).

و بأن المراد من الأيمن مقابل الأيسر و هو صفة الشاطئ و البقعه المباركه قطعه خاصه من الشاطئ الأيمن فى الوادى كانت فيه الشجره التى نودى منها (٣).

كما قال تعالى: وَ أَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) (٤).

و المقصود بالطور كما جاء من طرق أهل السنه بأنه الجبل الذى كلم الله عزّ و جل فيه موسى عليه السّلام (٥)، و لا- تنافى فى ذلك إذ لا يأبى الانطباق

ص: ١١٩

١- (١) سورة القصص، الآيتان: ٢٩-٣٠.

٢- (٢) تفسير القرطبي: تفسير قوله تعالى هل أتاك حديث موسى ج ١١ ص ١٧٥.

٣- (٣) تفسير الميزان: سورة القصص ج ١٦ ص ٣٢.

٤- (٤) سورة مريم، الآيتان: ٥١-٥٢.

٥- (٥) زاد المسير ابن الجوزى: ج ٨ ص ٢٧٥.

على الوادى المقدس بين جبل طور و الكوفه، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

وقد ورد فى الحديث أن محل قبر أمير المؤمنين عليه السلام أول طور سيناء، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: (كان فى وصيه أمير المؤمنين عليه السلام، أن أخرجونى إلى الظهر [أى ظهر الكوفه] فإذا تصوبت أقدامكم و استقبلتكم ريح فادفنونى و هو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك) (١).

و هذا التقديس و التبرك لهذا الوادى لأن البارى تعالى كلم موسى عليه السلام فيه و أمره بأن يخلع نعليه لكى يطأ الأرض حافيا تعظيما لهذه البقعه المباركه التى نزل فيها الوحي إنما هو لكونه حظيره لقرب و موطن الحضور و المناجاه.

و الحاصل: إن القرآن الكريم يؤكد بأن هنالك بقاع و أماكن مقدسه مباركه لا بد أن تقدس و تعظم و هذا جعل إلهى، ينزل فيها الوحي من السماء و يتقرب إلى الله عزّ و جل و يزداد الأجر و الثواب بالعباده فى هذه الأماكن دون سواها لا كما يدعى البعض بأن هذا التعظيم و التبرك شرك و كفر بالله عزّ و جل.

فقوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ تشعير من الله عزّ و جل و جعل بأن هذه المقامات مقدسه و وقف خاص و تسبيل دينى من الله عزّ و جل و أنها أحب المواضع التى يريد الله أن يعبد فيها كالسعى بين الصفا و المروه و الوقوف بعرفات و إنها حقا لله عزّ و جل.

كما هو المشهور عند فقهاء الإماميه (قدس الله أنفسهم): بأنه

ص: ١٢٠

يشترط في صحه إحياء الأرض الميتة أن لا تكون الأرض المقصوده من الأراضى التى جعلت فى دين الإسلام مشعرا من مشاعر العباده للمسلمين مثل أرض عرفات و المزدلفه و منى فلا يصح إحياء الأرض من هذه الأوديه إذا كانت ميتة.

هكذا أفادوا،و فى صحه هذا الاشتراط إشكال،بل الظاهر منع ذلك،فإن عظمه شأن هذه المواقع فى دين الإسلام و جعلها فيه حقا مقدسا لله سبحانه و حقا ثابتا معظما لعموم المسلمين،لأداء مناسكهم فى مر الأزمان و العصور قد أبعد هذه الأمكنه أشد البعد و أعلى مقامها أعظم العلو و الارتفاع عن اعتبارها أرضا مواتا أو مباحه كسائر الأراضين فتحجر أو تحاز و يملكها الأفراد أو تجرى عليها الاعترابات المتعارفه فى المعاملات بين الناس(١).

أهل البيت عليهم السلام أنوار إلهيه:

قال تعالى: *اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فى بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) (٢).

القرآن الكريم يشير فى هذه الآيات القرآنيه بأن هناك بيوت مقدسه

ص: ١٢١

١- (١) كلمه التقوى: ج ٥ كتاب إحياء الموات ص ١٥٩.

٢- (٢) سورة النور، الآيات: ٣٥-٣٧.

مباركه أذن الله أن ترفع و تعظم و يذكر فيها اسمه، و فى تلك البيوت يسبح لله عزّ و جلّ و تقبل العباده فيها و يسمع الذكر، و تحت قبتهما يرفع الدعاء و تفتح أبواب السماء و تحصل القربه إلى الله تعالى، فهى بيوت مباركه و مقدسه جعلها الله تبارك و تعالى وسيله و واسطه و محلا لقبول العباده و الذكر و التسبيح آناء الليل و أطراف النهار، و هذه البيوت هى بيوت خاصه تحيطها و تصدر عنها القداسه.

و الشاهد على ذلك أن الجار و المجرور فى قوله تعالى: فى بيوتٍ متعلق بذلك النور الذى ضربه الله عزّ و جلّ مثلا للناس، فالنور فى بيوت أذن الله أن ترفع، و قد ذكرت الآيه المباركه أن هذا النور نور السماوات و الأرض، أى محيط بهما و مهيمن عليهما و أشرف منهما فى الخلقه و الرتبه الوجوديه.

ثم إن ذلك النور مخلوق من مخلوقات الله تعالى، أضيف إليه عزّ و جلّ فى الآيه إضافه الفعل إلى فاعله، و هو عباره عن أنوار خمسّه شامخه، ضرب الله تعالى لكل واحد منها تشبيها و مثلا حسيا لتقريب الفكره و تنزيل الحقيقه إلى صوره يفهمها البشر، و ليس هذا النور عين الذات الإلهيه، لأنها آحاديه المعنى لا تعدّد و لا تكّثر فيها، و النور المذكور فى الآيه المباركه متعدّد و متشعب إلى خمسّه أنوار، مستقل بعضها عن البعض الآخر.

و الأنوار الخمسه التى ضربت مثلا هى:

أولا: المشكاه.

ثانيا: المصباح.

ثالثا: الزجاجه.

ص: ١٢٢

رابعاً:الكوكب الدّرى.

خامساً:الشجره المباركه.

ثم تقول الآيه الكريمة بعد ذلك: نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ و فى اللغة العربيه يقول علماء البلاغه كل تشبيه جمله مستقله برأسها،و تفيد معنى و مغزى مستقلا،فالآيه بصدد التعرض إلى خلقه النور،و أن أحد مراحل الخلقه الإلهيه هى المخلوقات النوريه،و هى أنوار خمسسه،تعظم فى الخلقه على الملائكه و الروح و الجن و الإنس و مطلق الموجودات الأخرى،و هى أنوار مشتق بعضها من بعض، و مرتبط بعضها بالبعض الآخر كما هو ظاهر الآيه المباركه.

و هذه الأنوار المباركه المحيطه بالسموات و الأرض،هى الأسماء و الكلمات التى لم تعلم بها الملائكه،مع أن الملائكه ملأت أركان السموات و الأرض؛لأنها هى التى تدبرها و تدير شؤونها،و هذه الأنوار الخمسه هى الأسماء المشار إليها فى تعليم آدم الأسماء و عرض الله تعالى لها على الملائكه،فلم يعلموا بها،فأنبأهم آدم بها،إذ قد وصفها الله بأنها غيب السموات و الأرض(١)،و كما ورد هذا المعنى فى روايات الفريقين(٢).

و لو كانت تلك الأسماء من عالم السماء و الأرض لعلمت بها الملائكه،و من ذلك يعلم أن الأسماء التى علمها الله عزّ و جل آدم و جهلتها الملائكه،كانت مخلوقات محيطه بعالم السموات و الأرض و ينطبق هذا المعنى مع الأنوار الخمسه فى سوره النور.

ص: ١٢٣

١- (١) سوره البقره،الآيه: ٣١-٣٣.

٢- (٢) بصائر الدرجات:ص ٨٩،المعجم الأوسط:الطبرانى:ج ٤ ص ٤٤.

و هذا نوع من أنواع التشاهد بين الآيات القرآنيه، فالأنوار الخمسه المذكوره فى سورہ النور هى الأسماء التى خفيت عن الملائكہ و علمها اللہ تعالى آدم، و هى كما سيأتى موجودات حيه عاقله شاعره من عالم النور، كما عبر عنها فى سورہ البقره بضمير (هم) و اسم الاشاره (هؤلاء) و هما لفظتان لا تستعملان فى الذوات الجامده، بل فى الذوات الحيه الشاعره العاقله.

و يتحصّل من ذلك وجود مخلوقات خمسہ نوريه محيطه بالسموات و الأرض، أفضل من الملائكہ و لا- تحيط الملائكہ بها علما، بل إن اللہ تعالى شرّف آدم على جميع مخلوقاته، بما فيهم المقربين من كبار الملائكہ، كجبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل بفضل تلك الأنوار، و بفضلها أيضا استحق مقام الخلافه الإلهيه، و سجد له الملائكہ كلهم أجمعون.

و من ذلك يتضح أن هذه الأنوار الخمسه هى باطن (غيب) و ملكوت السموات و الأرض؛ لأن نور كل شىء بمنزله الروح له، و من دونه يكون ظلمانيا، و النور فى المقام ليس هو النور الحسى الذى يظهر الصفات العارضه على الشىء، بل هو نور الخلقه الذى يوجد الشىء و يكونه و يظهره من كتم العدم إلى الوجود، فنور السموات و الأرض أى ملكوتها و باطنهما و مظهرهما من ظلمه العدم إلى نور الوجود، و هو اسم اللہ الأعظم الذى هو غير المسمى، يفوق فى قدره و العظمه كافه المخلوقات فى السموات و الأرض.

و سيأتى أن تلك الأنوار الخمسه المباركه و هى الأسماء التى علمها اللہ تعالى آدم و تاب بفضلها عليه من خطيئته، و ابتلى بها إبراهيم لنيل مقام الإمامه-هم خمسہ أصحاب الكساء و أهل آيه المباحله،

محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم و على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام، فهم أهل البيت، و هم النور الإلهي الذي حلّ في بيوت أذن الله أن ترفع، لتكون محلاً للذكر و التسييح و العبادة و التوجه إلى الله عزّ و جل و تشييد معالم الدين.

و لذا أخرج السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه عن أنس بن مالك و بريده، قال قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم هذه الآية: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ فِصَامٌ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّ بَيْوتِ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَيْوتِ الْأَنْبِيَاءِ»، فِصَامٌ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا؟ وَ أَشَارَ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: «نَعَمْ مِنْ أَفْضَلِهَا» (١).

و عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ في بَيْوتِ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ قال: «هي بيوت النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم» (٢).

كذلك عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام، في قولهِ بَيْوتِ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ قال: «هي بيوت الأنبياء و بيت عليّ منها» (٣).

و قد أخرج الحاكم في المستدرک (٤) أن من الكلمات التي تاب الله بها على آدم، و هي الأسماء التي شرف آدم بها على الملائكة كخليفه، لأن الكلمات أعظم مقاما من آدم؛ إذ بها تاب الله عليه، أن من أعظم تلك الكلمات و الأسماء هو خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم، و أنه لولاه لما خلق آدم و لا الجنة و لا النار (٥).

ص: ١٢٥

١- (١) الدر المنثور: سورة نور ج ٥ ص ٥٠.

٢- (٢) الكافي: ص ٣٣١ ح ٥١٠ ج ٨.

٣- (٣) تفسير القمي: ج ٢ تفسير آية النور ص ١٠٣.

٤- (٤) المستدرک للحاكم النيسابوري: ج ٢ ص ٦١٥.

٥- (٥) المستدرک للحاكم النيسابوري: استغفار آدم عليه السّلام بحق محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم ج ٢.

و ينص هذان الحديثان النبويان على أن أول الأنوار الخمسة و الأسماء التي تعلمها آدم و توسل بها هو خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

هذا بالنسبة إلى الأنوار الخمسة المباركة.

الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام في آية النور:

و أما قوله تعالى: نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ فهو إشارة إلى استمرار و ديمومه قانون الإمامة و الخلافة الإلهية بعد تلك الأنوار الخمسة إلى يوم القيامة، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و(على) أى على إثر و عقب لغه فى أحد المعانى المستعمله فى لفظ(على) بالتضمين لمعنى الإثر.

و الشاهد على ذلك ما تقدم من أن الهداية هى الإيصال إلى المطلوب، و قد جاء ذكر الهدايه تفسيرا و بيانا لمقام الإمامه و الولاية، كما فى قوله تعالى: وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، فالتعبير بالهدايه فى الآيه المباركه يراد منه الإمامه و هو مقتضى معنى النور أيضا؛ إذ هو الهادى إلى صراط الله تعالى.

و لذا ورد عن الإمام محمد بن على بن الحسين عليه السلام فى قوله تعالى نُورٌ عَلَى نُورٍ قال: «يعنى إماما مؤيدا بنور العلم و الحكمة فى إثر إمام من آل محمد عليهم السلام، و ذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة»(١).

و عن الفضيل بن يسار عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قلت:

(نور على نور)؟ قال: «الإمام فى إثر الإمام عليه السلام»(٢).

ص: ١٢٦

١- (١) توحيد الصدوق: بيانه فى قوله تعالى الله نور السماوات و الأرض ص ١٥٨ ح ٤.

٢- (٢) نفس المصدر: بيانه فى قوله تعالى الله نور السماوات و الأرض ص ١٥٧ ح ٣.

و ورد أيضا عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام في قوله تعالى:

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ قَالَ: «يَهْدِي اللَّهُ لَوْلَايَتِنَا مَنْ أَحَبَّ»^(١) وفي روايه لولايتنا من يشاء.

بيان آخر للآيه المباركه:

هناك بيان آخر للآيه الكريمه التي نحن بصدد الاستدلال بها، أدق و أعمق و أدل على المطلوب من البيان الأول، و هو:

بعد أن تبين أن قوله تعالى: فِي بُيُوتٍ مُتَعَلِقٍ بِالنُّورِ، و أن النور في بيوت أذن الله أن ترفع، نقول: إن الآيه الثالثه التي ذكرناها في المقام، و هي قوله تعالى: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ^(٢) هذه الجملة من المبتدأ و الخبر كلها بدل من قوله تعالى ذكره (في بيوت)، أي أنها في محل جر بدل من البيوت.

و يكون المعنى على ذلك «أن البيوت رجال لا تلهيهم تجاره، و ليست هي بيوت حجاره و لا طين.

و الشواهد على ذلك من نفس الآيات المباركه كثيره نشير إلى بعضها:

أ- قوله تعالى: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ لَيْسَ فاعلا- لقوله عزّ و جليسيّ بفتح و ذلك طبقا لقراءه أهل البيت عليهم السلام، حيث إن قراءتهم لكلمه (يسبح) بفتح الباء مبني للمجهول، و بناء على هذا لا تكون كلمه رجال فاعلا

ص: ١٢٧

١- (١) مناقب ابن المغازلي: ص ٣١٦/ البحار: باب الثالث تأويل آيه النور ج ٤، و فيه سبعة أحاديث.

٢- (٢) سورة النور، الآيه: ٣٧.

ل(يسبِّح)و إنما تكون مبتدأ و الجملة التي بعدها خبر،و الجملة بتمامها عطف بدل على بيوت،فاليوت هي رجال لا تلهيهم تجارته ولا بيع، و إلى ذلك يشير قول الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام إلى قتاده البصرى فقيه أهل البصره عندما سأله قائلاً:

(أصلحك الله و الله لقد جلست بين يدي الفقهاء،و قدام ابن عباس،فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام:«ويحك أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي في بيوتِ أذنِ الله أن ترفعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)رجالاً لا- تلهيهم تجارته ولا بيع عن ذكرِ الله وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ .فأنت ثم ونحن أولئك،فقال له قتاده:صدقت و الله جعلني الله فداك و الله ما هي بيوت حجاره و لا طين»(١).

و كذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام،حيث قال«إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى،و من أخذ من غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعه ولى أمره بطاعه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و طاعه رسوله بطاعته،فمن ترك طاعه و لاه الأمر لم يطع الله و لا رسوله،و هو الإقرار بما نزل من عند الله عزّ و جل خذوا زينتكم عند كل مسجد و التمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه،فإنه أخبركم أنهم رجالٌ لا- تلهيهم تجارته ولا بيع عن ذكرِ الله وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ(٣٧)»(٢).

فاليوت البشرية التي أذن الله أن ترفع و تعظم و يذكر الله عندها كما أمر بالاستغفار و هو ذكر الله عند المجرى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَاؤَكَ

ص: ١٢٨

-
- ١- (١) الكافي:باب ما ينتفع به من الميتة ج ٦ ص ٢٥٦ ح ١.
 - ٢- (٢) الكافي:باب معرفه الإمام و الرد إليه ج ١ ص ١٨١ ح ٦.

فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ فَهَذِهِ الْبُيُوتُ الْبَشَرِيَّةُ هِيَ مَسَاجِدُ عَظِيمِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَ مَوَاطِنُ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهَا وَ يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ الزِينَةُ تَكُونُ الْإِيمَانَ وَ الْإِقْرَارَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ طَاعَتِهِمْ وَ وِلَايَتِهِمْ.

ثم إن تلك القراءة بفتح الباء في (يسبح) قرأ بها أيضا ابن عامر و أبو بكر و ابن شاهی عن حفص (1) «إذن يتحصل أن النور في بيوت هي رجال منعوتون بالعصمه و هي «لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ».

و لا شك بأن الرجال الذين اختصهم الله عزّ و جل بنوره هم أهل البيت عليهم السّلام، و هم البيوت التي أذن الله أن ترفع و تعظم و يتوسل بها إلى الله عزّ و جل، و يذكر في حضرته اسمها، و يسبح له بالغدو و الآصال.

و لا يتبادر إلى الذهن أن من أهل البيت فاطمه عليها السلام، فكيف تكون من الرجال المقصودين في الآية المباركة؟

فإن الجواب: عن ذلك واضح؛ لأن كلمة الرجل و الرجال في الآية المباركة بمعونه القرائن و الشواهد التي احتفت بها يراد منها الشخصيه العظيمة، الثابته الأقدام في المقامات الشامخه، فيراد من الرجال في الآية المباركة تلك الشخصيات التي تسنمت بأرجل القدره المقامات العاليه و الدرجات الرفيعه في مجال العصمه و التقوى، و قد جاء التعبير القرآني بالرجل عن الأعم من الذكر في آيات عديده، كقوله تعالى لإبراهيم عليه السّلام: وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (2)، فالمراد في هذه الآية الكريمة الإقدام

ص: ١٢٩

١- (١) لاحظ التبيان للطوسي: سورة النور ج ٧ ص ٤٣٩/ و زاد المسير ابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٦٤.

٢- (٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

بأرجل الإيمان إلى دعوه إبراهيم عليه السّلام للحج أعم من كون القادم ذكرا أو أنثى، ونظير ذلك أيضا قوله تعالى: صِدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (١) فوصفهم بالرجولية هنا للثبات والاستقامه والصدق.

ولا شك أن هذا كله مع القرينه لا مطلقا، والقرائن الداله على إرادته الأعم من الذكر والأنثى فى الآيه التى هى محل بحثنا كثيره جدا، منها ما ذكرناه سابقا من القرائن الداله على أن المقصود بالرجال فى الآيه هم أهل البيت عليهم السّلام و منهم فاطمه الزهراء عليها السّلام.

خلقه أهل البيت عليهم السّلام النوريه:

ونختم الحديث فى هذه النقطه بذكر بعض الشواهد الداله على أن الله تعالى خلق أهل البيت أنوارا مضافا إلى ما تقدم فى آيه النور:

الأول: قوله تعالى لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢)؛ فهذه الآيه صريحه فى أن الله عزّ وجل أوحى إلى نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نورا وهو الروح من أمره، ولا شك أن الإيحاء الخفى إنما هو إلى ذات و حقيقه النبى الأكرم المباركه، فيتحد ذلك النور بشخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذا قالت الآيه المباركه أن من آثار ذلك النور نهدي به من نشاء من عبادنا ثم جعلت ذلك الأثر بعينه لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قالت: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) و هذا صريح فى اتحاد الذات النبويه الطاهره مع ذلك النور فى الحقيقه و الأثر.

ص: ١٣٠

١- (١) سورة الأحزاب، الآيه: ٢٣.

٢- (٢) سورة الشورى، الآيه: ٥٢.

و إذا كانت ذات النبي الأكرم نورا يهدى إلى صراط مستقيم، فكذلك أهل بيته عليهم السّلام الذين هم نفس النبي صلّى الله عليه وآله و سلم بنص آيه المباهله و آيه التطهير، بل و بنص هذه الآيه المباركه نفسها فى المقام، حيث ذكر فيها أن هذا الروح الأمرى الذى أوحى إلى النبي صلّى الله عليه وآله و سلم يهدى به الله و يوحيه إلى من يشاء و يجتبيه من عباده، فلم يخص ذلك بالأنبياء أو بكونهم أنبياء أو رسل، و نظير ذلك قوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (١).

فذكر لفظ العباد و لم يخص بلفظ الأنبياء أو الرسل و يدل ذلك على أن الذين يشأهم الله و تتعلق مشيئته بهم و يجتبيهم غير منحصرين بالأنبياء و الرسل، بل يعم من يصطفيهم للعصمه و الطهاره و الوصايه، و هكذا الأحاديث المتواتره فى كون فاطمه عليها السّلام بضعه منه صلّى الله عليه وآله و سلم (٢)، و كون الحسن و الحسين عليهما السّلام من النبي صلّى الله عليه وآله و سلم و هو منهم (٣)، و كذا قوله صلّى الله عليه وآله و سلم:

«على منى و أنا منه» (٤).

الثانى: قول النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله و سلم: «كنت أنا و على بن أبى طالب نورا بين يدى الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعه آلاف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين، جزء أنا و جزء على بن أبى طالب» (٥).

الثالث: الروايات المتضافره التى دلت على أن النبي صلّى الله عليه وآله و سلم كان نورا ينتقل من الأصلاب الشامخه إلى الأرحام المطهره، و قد أضاء منه صلّى الله عليه وآله و سلم

ص: ١٣١

١- (١) سورة النحل، الآيه: ٢.

٢- (٢) لاحظ فضائل الصحابه لابن حنبل: ص ٧٨.

٣- (٣) مسند أحمد: ج ٤ حديث عبد الله بن زبير بن العوام، حديث قطبه بن مالك.

٤- (٤) فضائل الصحابه: ص ١٥.

٥- (٥) نظم درر السمطين للزرندى الحنفى: ص ٧/الخصال الصدوق: ص ٦٤/تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٤٢ ص

٦٧/ميزان الاعتدال للذهبي: ج ١ ص ٥٠٧.

نورا عند ولادته ملاء الخافقين، كما نقلت ذلك آمنه بنت وهب (سلام الله عليها) أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين ولادته، قالت: (إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام) (١).

إلى غير ذلك من الشواهد الدالة على الخلقه النوريه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

والحاصل: بأن هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع شعرت من قبله تعاليفي بيوت أذن الله أن ترفع إلى يوم القيامة، وذلك بأن تعمّر و تشاد بالعباده بأمر إلهي نظير قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ و يتخذ الموضع و المكان للعباده حتى و لو استخرج نفس هذا المقام و الحجر عن الكعبه و هذه إضافة تشرifiه بإبراهيم عليه السلام و إحياء لذكر الأنبياء و هذا هو التحليل الذي نريد أن نستخلصه من هذه الآيات الكريمه.

التوجه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته شرط في قبول العباده:

العباده التوحيديه لا بد أن تتوفر فيها الشروط اللازمه لكي تقبل و إلا هذه العبادات تكون عبثيه لا فائده فيها، بل تكون هذه العباده و ثنيه جاهليه لأنها عباده لم يأمر الله بها و ليست طاعه لله عزّ و جل، فالمعرفه و الإيمان القلبي بالله عزّ و جل هي من صميم العبادات، بل أعظم الفرائض الإلهيه لأنها التسليم و الخضوع لله عزّ و جل، به يحصل التوجه و اللقاء للباري عزّ و جل و الوفود على الحضرة الربوبيه، و هذه العباده التوحيديه القلبيه العظيمه و هي معرفه الله تعالى ممتنعه بلا واسطه، و ذلك لعظمه الله عزّ و جل،

ص: ١٣٢

١- (١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٤ ص ٢١٥، تفسير ابن كثير: تفسير سورة الصف ج ٤ ص ٣٨٤.

فلا إحاطه و لا مماسه و لا ملامسه و لا مواجهه جسميه أو عقليه أو نفسيه؛ إذ لا يجابه الجسم إلا ما يماثله فى الجسميه، و لا يجابه النفس أو العقل إلا ما يماثلها، و الله تعالى منزه عن كونه جسما أو نفسا أو عقلا؛ لكونها من الممكنات المحدوده بحدود الماهيه و الفقر و الحاجه.

إذن لابد من الوسيله و الواسطه فى الإيمان و معرفه الله تعالى، الذى هو أعظم العبادات و أعظم أنواع التوجه إلى الله تعالى، و الواسطه هى الإيمان بالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و الإقرار بالشهاده الثانيه فى مقام الإدلاء بالشهاده التوحيديه المقبوله عند الله تعالى، و الموجه للخروج من حظيره الشرك إلى التوحيد الإسلامى الخالص؛ لأنه أعظم آيه للحق سبحانه.

و هذا عكس ما يدعيه أولئك المارقون حيث يزعمون بأن العباده التوحيديه يجب أن لا تتجلى فى الآيات و الأسماء المخلوقه و لا تكون مقترنه بها، فالواسطه شرك بالله عزّ و جل حتى و لو كان ذلك المقترن نبي أو وصى، و هو عين ما كان تدعيه قریش فى الجاهليه الأولى، حيث كانوا لا يدينون الله تعالى بطاعه و ولايه نبيه الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم.

فإذا كان إقحام الشهاده الثانيه فى الشهاده الأولى شرك بالله عزّ و جل؟ فبماذا يحصل التوحيد و العبوديه للبارى عزّ و جل و الوفود على الله عزّ و جل، فلا يتحقق التوحيد و لا يكون المرء مؤمنا، إلا إذا توجه بقلبه إلى الله تعالى بالشهاده الأولى و الثانيه، و من ينفى أى اسم أو واسطه ظهور و تجلى لله تعالى عند التوجه إليه فهو واقع فى مغبه الشرك و الوثنيه، و إذا كان حال الإيمان و المعرفه كذلك فكيف بباقي العبادات التى هى أقل شأنًا و خطوره؟».

و الحاصل: أن المعرفه و الإيمان و التوحيد الذى يتضمن الدين بأجمعه لا يحصل إلا بالتوسط و التوسل بآيات الله الكبرى، و مزواجه

الشهادة الثانيه بالشهاده الأولى، و هذا يعنى أن أى شأن من الشؤون الدينيه كالتوبه أو العباده أو نيل مقام من المقامات الإلهيه لا يمكن أن يتحقق إلا- بالمحافظه على الشهاده الثانيه، والإقرار بها و بمعطياتها و تداعياتها و مقتضياتها فى كافه أصول و فروع المعارف التوحيديه، و لا شك أن الإيمان بالشهاده الثانيه توجه قلبى بالنبى الأكرم إلى الله عزّ و جل، إذ الإيمان كما أسلفنا طلب و زلفى للقاء الله تعالى، و هذا القرب إنما يتحقق بتوسيط الشهاده الثانيه، و هى شهاده أن محمدا رسول الله و وليه و خليفته فى أرضه.

فالإسلام يدعو إلى التوجه بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم فى الإيمان و الاعتقاد و هو أعظم و أفضل عبادته، فضلا عن بقيه العبادات الأخرى، و الإبقاء عن التوجه فى العباده بخاتم الأنبياء إنكار للشهاده الثانيه، و دعوه إلى الشرك باسم التوحيد، و هذا ما أخفق فيه السلفيون، حين جحدوا التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم، فلا- تراهم يقرنون لون الشهاده الثانيه و مؤداها و معطياتها بلون الشهاده الأولى فى رسم بناء التوحيد فى أدبيات كتبهم، فيقتصرون على تفسير الشهاده الأولى فى التوحيد، من دون أن يهتدوا إلى كيفيه ركنيه مؤدى الشهاده الثانيه فى أركان التوحيد، و كيفيه ضروره الربط و الارتباط بين مؤدى كل من الشهادتين فى رسم أصل التوحيد، و منه يظهر أن التوسل و التوجه بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم ضروره و ليس مجرد خيار مشروعيه.

اقتران اسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته بأعظم العبادات:

لقد قرن البارى تعالى اسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى مجمل العبادات، لعظيم شأنه و جلالته و قربه عنده، كما ذكرنا فى الفصل السابق بأن التقرب و التوجه لله عزّ و جل لا يتم إلا بالشهاده الثانيه و الإقرار به و إنه شرط فى قبول العبادات، و نشير فيما يلى إلى بعض تلك الشواهد فى هذا المجال:

الشاهد الأول: الإتيان باسم النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَشْهَدِ الصَّلَاةِ، حَيْثُ إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ رَاجِحَةٌ يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ (١).

و هي شرط واجب في الصلاة عند بعض المذاهب الإسلامية، كالمذهب أهل البيت عليهم السلام (٢) و بعض فقهاء المذاهب الأخرى (٣)، تمسكا عندهم بما روت عائشه من الوجوب، حيث روت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«لَا تَقْبَلُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِطَهْوَرٍ وَ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ» (٤) وَ قَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا، فَقَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» (٥)، كَذَلِكَ يَسْتَحِبُّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْقَنُوتِ فِي الصَّلَاةِ، جَزَمَ بِذَلِكَ النَّوَوِيُّ تَبَعًا لِلْغَزَالِيِّ فِي الْمَهْذَبِ وَ نَسَبَهُ إِلَى الْجُمْهُورِ (٦).

وَ لَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَوْعٌ مِنَ الدَّعَاءِ لَهُمْ وَ التَّحِيَّةِ وَ السَّلَامِ، وَ نَوْعٌ التَّوَجُّهِ لَهُمْ وَ الدَّعَاءِ.

وَ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمُصَلِّيَّ فِي صَلَاتِهِ الَّتِي هِيَ الرُّكْنُ الرَّكِيْنُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَ الْمَوْجِبَةُ لِلْعُرُوجِ وَ الْقُرْبَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنْ قَبِلَتْ قَبْلَ مَا سِوَاهَا وَ إِنْ رَدَّتْ رَدَّ مَا سِوَاهَا، إِنَّمَا تَقْبَلُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ مَفَادُهَا أَنَّ يَتَوَجَّهُ بِالدَّعَاءِ وَ إِقْلَاءِ التَّحِيَّةِ وَ السَّلَامِ لِلنَّبِيِّ وَ آلِهِ،

ص: ١٣٥

١- (١) لاحظ المجموع للنووي: استحباب الإشارة بالمسبحة و تعيين لفظ التشهد ص ٤٦٠ ج ٣ و ما بعد.

٢- (٢) النهاية للشيخ طوسي: باب فرائض الصلاة و من ترك شيئا ص ٨٩.

٣- (٣) فتح العزيز للرافعي: ج ٣ ص ٥٠٤، المجموع للنووي: ج ٣ ص ٤٦٧ و غيرهم.

٤- (٤) سنن الدارقطني: باب ذكر وجوب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ج ١ ص ٣٤٨.

٥- (٥) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ج ٤ ص ١١٨، الوسائل: باب كيفية الصلاة على محمد ج ٧ ب ٣٥.

٦- (٦) المجموع: السنة في صلاة الصبح إن يقنت ج ٣ ص ٤٩٩.

لكى تقبل صلاته و توجب مزيدا من القرب إلى الله تعالى، فالصلاة التى هى من دعائم الدين مقرونه بالوسائط و الأبواب الإلهيه، لكى تكون صحيحه مقبوله عند الله تعالى أو موجه لمزيد القرب منه، و إذا كانت الصلاة كذلك فكيف بباقي العبادات الأخرى؟».

فإقران اسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام فى الصلاة و التوجه إليهم بالقلب موجبا لتوحيد الله فى العباده و من ثم كان الأمر بها فيها على هذه الحال، فالفرق بين صلاة المشركين حول البيت الحرام و صلاة الموحدين فى أن صلاة المشركين تفتقد لذكر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم فيها، بخلاف صلاة المسلمين، حيث يقرن فيها اسم النبى الأكرم إلى جانب ذكر الله تعالى.

اقتران الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى بقية العبادات:

و قد قرن وجوب أو استحباب بعض العبادات الأخرى غير الصلاة باستحباب الصلاة على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، كاستحباب الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم إذا فرغ الحاج من التلبيه فى الحج (١)، و استحباب الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم عند ذبح الهدى أو الأضحية (٢)، و قد جعلت الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم أحد أركان الخطبه فى صلاة الجمعة (٣).

كذلك من أركان صلاة الميت الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم (٤).

و يستحب أيضا الصلاة على النبى و آله قبل الأذان و الإقامه

ص: ١٣٦

١- (١) الأم: للشافعى: باب ما يستحب من القول فى أثر التلبيه ج ٢ ص ١٧١.

٢- (٢) المجموع: للنووى: فرع فى مذهبه فى مسائل مما سبق ج ٨ ص ٤١٢، ٤١٠.

٣- (٣) روضه الطالبين للنووى: الشرط السادس (الخطبه) ج ١ ص ٥٣٠.

٤- (٤) روضه الطالبين للنووى: الدعاء للميت بعد التكبيره الثالثه ج ١ ص ٦٤٠.

و بعدهما، كما نص على ذلك عبد العزيز الهندي نقلا عن النووى فى شرح الوسيط- فى كتابه الفقهى فتح المعين (١)، إلى غير ذلك من الموارد التى لا تحصى فى الفقه، و التى قرنت فيها جملة وافر من العبادات باسم النبى المبارك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ و أهل بيته الطاهرين، و ليس ذلك إلا توجهه و توسل بهم عليهم السَّلام لقبول العباده و حصول القرب من الله تعالى، و لفتح أبواب السماء لصعود العمل و هو مفاد قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٢) و هذا ما ورد النص عليه فى روايات عديدة و متضافره من طرقنا و طرق السنه، حيث نصت على أن الدعاء محجوب عن السماء ما لم يصل على النبى و آله:

منها: ما ورد عن الإمام على عليهم السَّلام قال: «الدعاء محجوب عن السماء حتى يتبع بالصلاه على محمد و آله» (٣).

و منها: ما ورد عن أبى ذر عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ قال: «لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصل على و على أهل بيتى» (٤).

و منها: ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ: «صلاتكم على إجابته لدعائكم و زكاه لأعمالكم» (٥).

و منها: ما ورد أيضا عن الإمام الصادق عليه السَّلام، حيث قال: «إن رجلا أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إنى جعلت ثلث صلواتى

ص: ١٣٧

١- (١) فتح المعين: فصل فى الأذان و الإقامه ج ١ ص ٢٨٠.

٢- (٢) سوره الأعراف، الآية: ٤٠.

٣- (٣) لسان الميزان ابن حجر ج ٤ ص ٥٣/شعار أصحاب الحديث ابن إسحاق الحاكم: ص ٦٤.

٤- (٤) كفايه الأثر- الخزاز القمى: ماجاء عن أبى ذر الغفارى من النصوص ص ٣٨.

٥- (٥) الأمالى الطوسى: فضل الصلاه على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ص ٢١٥.

لك؟ فقال له خيراً، فقال له: يا رسول الله إني جعلت نصف صلواتي لك، فقال له: ذاك أفضل، فقال: إني جعلت كل صلواتي لك، فقال:

إذن يكفيك الله عزّ وجل ما أهمك من أمر دنياك و آخرتك، فقال له رجل:

أصلحك الله كيف يجعل صلاته له؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسأل الله عزّ وجل شيئاً إلا بدأ بالصلاة على محمد وآله^(١).

ومنها: ما رواه فضالة بن عبيد، حيث قال: (سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عزّ وجل والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء»^(٢).

وعن ابن مسعود قال: (إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدح والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح)^(٣)، قال الهيثمي في زوائده: رواه الطبراني و رجاله رجال الصحيح^(٤).

ومنها: ما عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معالقه، وملاً قدحا ماء، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ توضأ، وأن يشرب شرب، وإلا أهرق فاجعلوني في وسط الدعاء، وفي أوله، وفي آخره»^(٥).

ص: ١٣٨

- ١- (١) الكافي: باب الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ج ٢ ص ٤٩٣.
- ٢- (٢) سنن أبي داود: باب الدعاء ج ١ ص ٣٣٣ ح ١٤٨١.
- ٣- (٣) المعجم الكبير الطبراني: ج ٩ ص ١٥٦.
- ٤- (٤) مجمع الزوائد: باب فيما يستفتح به الدعاء ج ١٠ ص ١٥٥.
- ٥- (٥) المصنف عبد الرزاق الصنعاني: باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ج ٢ ص ٢١٦.

و منها: ما أخرجه القاضي عياض عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «كل دعاء محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة على سعد الدعاء» (١).

و من الروايات التي من طرقنا أيضا ما في موثقه السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من دعا و لم يذكر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم رفرغ الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم رفع الدعاء» (٢).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسأله الصلاة على النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم ثم سل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما و يمنع الأخرى» (٣).

كذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، فإن الصلاة على النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم مقبولة، و لم يكن الله ليقبل بعض الدعاء و يرد بعضا» (٤).

و عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «إن الله سبحانه يقول: عبادي من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبون أحبتم دعاءه، ألا فاعلموا أن أحب عبادي إلى و أكرمهم لدى محمد و علي حبيبي و وليي، فمن كانت له حاجة إلى فليتوسل إلي بهما،

ص: ١٣٩

١- (١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى/الباب الرابع: فصل في المواطن التي تستحب فيها ج ٢ ص ٦٦. و قال ابن عطاء: للدعاء أركان و أجنحة و أسباب... و أسبابه الصلاة على محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

٢- (٢) وسائل الشيعة: باب استحباب الصلاة على محمد و آله في أول الدعاء ج ٧ ص ٩٣-٩٤ ح ٨٨٢٨.

٣- (٣) وسائل الشيعة: باب استحباب التوسل في الدعاء ج ٧ ص ٩٧ ح ٨٨٤٠.

٤- (٤) وسائل الشيعة: باب استحباب الصلاة على محمد و آله ج ٧ ص ٩٦ ح ٨٨٣٦.

فإني لا- أرد سؤال سائل يسألني بهما وبالطيبين من عترتهما، فمن سألني بهم فإنني لا أرد دعاءه، وكيف أرد دعاء من سألني بحبيبي و صفوتي و وليي و حجتي و روحى و نورى و آيتى و بابى و رحمتى و وجهى و نعمتى؟ ألا- و إنى خلقتهم من نور عظمتى، و جعلتهم أهل كرامتى و ولايتى، فمن سألني بهم عارفا بحقهم و مقامهم أوجبت له منى الإجابة، و كان ذلك حقا على»(١).

و هذه الروايات بمجموعها و الأحكام التى سبقت للصلاة على النبى و آله فى الصلاة و غيرها من العباده كاشفه عن اقتران اسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته الطاهرين بأعظم العبادات بل معظمها، و هذا يعنى أن الله عزّ و جل جعل تلك الأسماء المباركه واسطه لفيضه و شرطا حقيقيا للتوسل إليه فى التوبه و فى سائر العبادات القريبه و المقامات الإلهيه، و أن أبواب السماء مغلقه إلا عن سبيلهم عليه السلام و طريقهم، الذى نصبه الله تعالى منارا لعباده و محجه واضحه لخلقه.

هذا كله فى الشاهد الأول و هو اقتران الصلاة على النبى صلى الله عليه و أهل بيته عليهم السلام بالصلاه و غيرها من العبادات.

الشاهد الثانى: و هو كذلك اقتران اسم النبى المبارك صلى الله عليه و آله و سلم بالصلاه، و ذلك بالإتيان به فى جزء التسليم من الصلاه، و هو قول المصلى:

السلام عليك أيها النبى و رحمه الله و بركاته، فإن التسليم الذى هو جزء من أجزاء الصلاه و لا تتم الصلاه إلا بإتمامه و الفراغ منه جعل شرط منه التسليم على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، فقبل إتمام الصلاه و فى حاقها يستحب للمصلى أن يسلم على نبى الإسلام باتفاق فرق المسلمين.

ص: ١٤٠

ولا شك أن هذا التسليم بالكيفية المذكوره نوع زياره للنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخطاب ونداء عن قرب ب(أيها) وتوسل واستغاثه وتوجه إليه و به إلى الله عز وجل؛ وذلك لأن الله تعالى عندما شرع التسليم والتحية للنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة التي شرعت لذكره عز وجل والتقرب منه والعروج إليه، فإن ذلك يعني أن ذكر النبي هو ذكر الله تعالى ونداء نداء للباري عز وجل، وليس ذلك إلا لكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآيه العظمى والوسيله المحموده بين الله وبين خلقه في الصلاة التي هي من عظيم العبادات والقربات عند الله تعالى.

إذن طبيعه الزياره والنداء والندبه والاستغاثه والتوجه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنيل مقامات القرب في الصلاة التي هي قربان كل تقى موجوده في نفس الصلاة التي هي أكبر العبادات التوحيديه ويمارسها الفرد المسلم في يومه عدة مرات.

والحاصل: إذا كانت الصلاة التي هي من دعائم الدين مقرونه بذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنيل مقامات القرب عند الله تعالى فكيف هو الحال بباقي العبادات والقربات الأخرى في الدين؟

و على هذا كيف يقال: إن ذكر النبي وآله هو غير الله تعالى في التوجه إليه عز وجل وشرك؟ «و هل هذا إلا طمس لمعالم الشهاده الثانيه في عقيدته التوحيد والإسلام؟».

الشاهد الثالث: وهو اقتران أهل البيت عليهم السّلام بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَنجعل لغنت الله على الكاذبين** (١).

ص: ١٤١

فلم ينزل أحد كنفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وقرن الله تعالى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهل بيته عليهم السَّلَام في الحجية، فالخمس عليهم السَّلَام معا حجج على جميع الأديان السماوية والبشرية عموما إلى يوم القيامة، فهم عليهم السَّلَام شركاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في رسالته؛ لأن المباهلة نوع محالفه ومقاضاه إلهيه أخرويه، و في الحلف لا بد أن يحلف الأصيل ولا- وكاله في الحلف، وهذا يعني أنهم عليهم السلام شركاء في رسالته أصاله، ولكنهم تابعون في ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو سيدهم وبشفاعته نالوا الأصالة في الحجية.

والحاصل: إن أهل البيت عليهم السَّلَام مقرونون بسيد الأنبياء في المقامات تبعا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ماعدا مقام الوحي بالنبوه، وهذا يعني أن الإيمان بأهل البيت والتولى لهم من الدين الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته لأجل نيل المقامات العاليه عند الله تعالى.

هذا تمام الكلام في شرطيه التوجه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته لصحة الإيمان وللتوبه وسائر العبادات ولنيل مقامات القرب.

«برهان آخر»

طاعه الله ورسوله وأولى الأمر:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) حيث تشير هذه الآية القرآنيه بأن إطاعه ولى الله من طاعه الله سبحانه وتعالى فلا- بد من التوجه إليه بقلبك وجوارحك والخضوع له والتسليم له بأمر من الله تعالى فمن عصاهم عصى الله سبحانه وتعالى كما ذكر هذا المعنى الكليني في كتاب الحجية:

ص: ١٤٢

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) قال: جعل منهم الرسل و الأنبياء و الأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم عليه السلام و ينكرونه في آل محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم؟ قال: قلت: وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)؟ قال:

الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة؛ من أطاعهم أطاع الله، و من عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم.

لكي تتضح الصورة نقول بأن الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و الجهاد و غيرها، هي فرائض إلهية في أصل وجوبها في الدين، و أما تفاصيلها و أجزاءها و شرائطها و أقسامها فهي سنن نبويه وصلتنا عن طريق أمر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم لكل المسلمين بتلك التفاصيل و التشريعات الخاصة، و من أمثله ذلك ما ورد في روايات الفريقين من أن الصلوات كان فرضها من الله تعالى ركعتين لكل صلاة و ما زاد عليها في كل صلاة كان من سنه النبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أمره و فرضه (٢) و هكذا بقيه التفاصيل و التشريعات القانونية النبويه ضمن الفرائض الإلهية، و كتب الحديث مليئه بالأوامر النبويه في مجمل الأبواب الفقهية و غيرها.

إذن فيكون الإتيان بالصلاة و الزكاة و الحج و غيرها طاعة لأمر الله و أمر رسوله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و لا تستعلم طاعة الله عزّ و جل من دون طاعة الرسول الأكرم في أوامره و نواهيه، فهو صَلَّى الله عليه و آله و سلم باب طاعته تعالى؛ لأنه هو الدال

ص: ١٤٣

١- (١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

٢- (٢) وسائل الشيعة: أبواب القراءة في الصلاة ج ٦ ب ١ ح ٤ ٧٢٨٣/مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٤١ مسند عائشه/مجمع الزوائد الهيثمي: باب فيما لا سجود فيه ج ٢ ص ١٥٤.

والمبين و الناطق الرسمي عن أوامر الله عزّ وجل و نواهيه، وهذا البيان جارى فى جملة الأبواب العباديه أيضا بلحاظ تفاصيل الشروط و الاجزاء فإنها بأوامر من عتره النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و سنن منهم مفصله و مبينه لفرائض الله تعالى و سنن نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم فيكون الإتيان بالعبادات التي هى خضوع لله تعالى بتوسط طاعه أوامره تعالى و أوامر رسوله و أوامر أولى الأمر من عترته عليهم السّلام.

و هذا ما كنا نعبر عنه بتداعيات و مقتضيات الشهاده الثانيه و الثالثه؛ إذ هى تستدعى الإتيان و الالتزام بجملة الدين طاعه لله و لرسوله.

و هذا ما تكاثرت و دلت عليه جملة من الآيات القرآنيه، كما فى قوله تعالى:

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١).

ثم إن الله عزّ وجل حذر المسلمين من المخالفه لأوامر الرسول الأكرم، و بين فى آيات عديده العواقب الوخيمه التى تترتب على مخالفه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أوامره: كما فى قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢).

كذا قوله تعالى: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا (٣).

و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٤).

ص: ١٤٤

١- (١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

٢- (٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

٣- (٣) سورة المائدة، الآية: ٩٢.

٤- (٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

وقوله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (١).

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي جاءت في ضمن السلك العام و السنه الإلهيه الشامله لطاعه الرسل كافه، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢).

و من يريد أن يفصل في صلّاته و حجّه و صومه طاعه لله عن طاعه الرسول يكون على الوثنيه الجاهليه التي ينشأها الله عزّ وجل و عبر عنها في قرآنه الكريم بالشرك و النجس، و طاعه كل من لم يأمر الله بطاعته و ثن من الأوثان، بل حتى صلّاته تصبح و ثنا إذا كانت صادرة عن طاعه غير من أمر الله بطاعته، و إن كان ذلك المطاع هو الهوى و تحكيم سلطان الذات على سلطان الله عزّ وجل، كما في الوثنيه القرشيه التي ذمها القرآن الكريم.

و من ذلك يتضح أن أى عباده من العبادات أو قربه من القربات أو نيل المقامات القريبه أو الفوز بحضوه عند الله تعالى لا يمكن أن تتحقق من دون طاعه النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم في تلك العباده، لكن هذه الشرذمه لم يزدادوا من الله إلا بعدا، و زين لهم الشيطان أعمالهم فهم في غيهم و ضلالهم يعمهون.

ففى مقام التقرب و النيه و القصد جعلت القبله المعنويه هى طاعه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و التدوين بولايته و الخضوع له، الذى هو خضوع لله عزّ وجل، كخضوع الملائكه لآدم لأنه باب الله تعالى.

ص: ١٤٥

١- (١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

٢- (٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

هذا كله فى مقتضيات الشهاده الثانى و ضروره اقترانها بالشهاده الاولى.

كذلك اكدت الايات القرآنيه على ضروره الشهاده الثالثه و اقترانها بالشهاده الثانى تبعا للشهاده الاولى، و الشهاده الثالثه عبارته عن طاعه اولى الامر، الذين امر الله بطاعتهم فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَمَنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (١)، حيث قرن طاعتهم بطاعته و طاعه رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

و قد بين الله تبارك و تعالى فى قرآنه الكريم المراد من اولى الامر الذين تجب طاعتهم، بعد أن بين تعالى المقصود من الامر الذين هم اولياءه، و أنه امر ملكوتى من عالم كن فىكون، كما فى قوله تعالى:

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢)، و كذا قوله عز و جل:

وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٣)، و كذا قوله عز و جل وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا (٤)، و قوله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥)، ثم أفصحت الايات القرآنيه عن كون الامر عبارته عن تدبير السماوات و الأرض، قال تعالى: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٦).

ص: ١٤٦

١- (١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢- (٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

٣- (٣) سورة القمر، الآية: ٥٠.

٤- (٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

٥- (٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

٦- (٦) سورة السجده، الآية: ٥.

إِذْ أُولُوا الْأَمْرَ هُمُ الَّذِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، قَالَ تَعَالَى: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥) (١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَصْفِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) (٢).

ثُمَّ بَيْنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ شَرِيْعَةَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي يُفْرَقُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخَاطِبًا نَبِيَّهِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٣).

وَقَدْ صَرَّحَتْ آيَاتٌ أُخْرَى بِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَلَكُوْنِيَّ يَنْزِلُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَنْ تُخَصَّصَ مِنْ لَهُمُ الْأَمْرُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: جَلَّ يَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٤).

وَحَاصِلُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْغَيْبِ، وَأَنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِتَدْبِيرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِ مَخْتَصٍ بِالشُّوْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَادِيَّةِ، وَأَنَّ الشَّرَائِعَ وَهَدَايَةَ النَّاسِ وَإِنْذَارَهُمْ مُرْتَبِطَةٌ بِهِ، وَأَنَّهُ شَامِلٌ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْأَصْفِيَاءِ الْمُجْتَبِينَ وَلَيْسَ خَاصًّا بِمَقَامِ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَذَلِكَ لِارْتِبَاطِهِ الْمُبَاشَرِ بِمَقَامِ الْهَدَايَةِ وَالْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَهُوَ مَقَامُ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ كَمَا تَقَدَّمَ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ

ص: ١٤٧

١- (١) سورة القدر، الآيات: ٣-٥.

٢- (٢) سورة الدخان، الآيات: ٣-٦.

٣- (٣) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

٤- (٤) سورة النحل، الآية: ٢.

بَأْمَرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِفُونَ (١) والصبر واليقين للأئمة من أولى الأمر في هذه الآية المباركة إشاره إلى العصمة في مقام العلم والعمل.

ولا يوجد أولو أمر في هذه الأمة بعد رسول الله تجب طاعتهم غير أهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لأن الأمر الملكوتي المنزل في ليله القدر الليلة المباركة المرتبط بنزول ما في القرآن كما في سورة القدر والدخان هو مرتبط بمقامات القرآن الغيبية ولا يمس تلك المقامات إلا المطهرون كما في قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) (٢).

إذن الطاعة في الدين بطاعة الله، وطاعة الله بطاعة النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأولى الأمر، فالولى بعد الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعد الرسول أولى الأمر، الذين لهم حق استنباط الدين وبيانه وتفصيله، قال تعالى:

وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَوْا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (٣) و الذى يتضح مما ذكرناه أن طاعة أولى الأمر على حد طاعة رسول الله مقترنه بها و شامله للدين كله، كما أن ولايه الله تعالى و طاعته كذلك غير مختصه ببعض الشؤون السياسيه أو الاجتماعيه.

فالإتيان بجميع العبادات و الطقوس الدينيه طاعه لأمر الله و أمر رسوله و أولى الأمر من بعده و هم أهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالعبد ينقاد و يفد على الله تعالى و يتقرب و يتوجه إليه بطاعه الرسول و طاعه أولى الأمر، و هذا

ص: ١٤٨

١- (١) سورة السجده، الآية: ٢٤.

٢- (٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧-٧٩.

٣- (٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

يعنى أن الشهاده الثانيه و الثالثه مأخوذتان واسطتان فى عبادہ اللہ تعالیٰ بما فیہا عبادہ المعرفه،التی هی أعظم العبادات.

و من ثم كان الدين عبارہ عن ولايہ اللہ و ولايہ الرسول و ولايہ أولى الأمر و الطاعه لهم،قال تعالى: **إِنَّمَا وَتِيكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُوْلُهُ وَ الَّذِيْنَ آمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُوْنَ (٥٥) وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهُ وَ رَسُوْلَهُ وَ الَّذِيْنَ آمَنُوا فَمَّا نَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمْ الْغَالِبُوْنَ (٥٦) (١).**

و الولايه و الطاعه أصاله للہ و بالتبع للنبي و أولى الأمر بإذن و أمر من اللہ تعالیٰ، كما أخضع اللہ عزّ و جل ملائكتہ و من خلق من الجن و غيرها لولى اللہ و خليفته آدم، بما هو النموذج و المصدق لخليفته اللہ فى الأرض، فكل من يتسنم مقام الخلافة الإلهيه لابد من الإنقياد و الخضوع و الطاعه له.

و حيث إن التوجه و القربه و الزلفى لا- تحصل إلا بالطاعه للہ و للرسول، كذلك لا تحصل إلا بطاعه أولى الأمر مقترنه مع طاعه اللہ و رسوله، فلا يمكن قصد القربه فى العباده و لا يحصل القرب إلى اللہ تعالیٰ فى العبادات إلا بالخضوع و الطاعه لولى الأمر و الإتيان بالعباده امتثالا لأمره، تبعاً لأمر اللہ و الرسول صلّى اللہ عليه و آله و سلّم، حيث يستعلم أمرهما بأمره.

و الحاصل: من ذلك البيان أيضا أن جميع العبادات فرائض من اللہ تعالیٰ و سنه من نبيه و منهاج و هدى من أهل بيته عليهم السلام و على جميع المستويات الاعتقاديه و العباديه.

كذلك تبين أن من يعبد اللہ من دون التوجه بحجه اللہ و وليه،

ص: ١٤٩

بطاعته و امتثال أمره عمله هباء؛ إذ لا تتحقق منه القربه لعدم الطاعه فى مقاماتها الثلاث و عدم ضم الشهادات الثلاث إلى بعضها البعض، فلا- يصار إلى التوجه إلى الله تعالى إلا عن طريق آياته و بيناته، و هم الوسيله إليه فى المقامات الثلاث التى ذكرناها فى صدر البحث، بل فى الدين كله.

إقران اسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و ذكره و التوجه إليه و إلى أولى الأمر موجبا للتوحيد فى العباده و إلا لما قرن الله تعالى طاعته بطاعتهم، فليس إنكار التوسط و الواسطه إلا دعوه إلى التفريق بين الله و رسوله و أولى الأمر، و فصل الشهادات الثلاث و بتر بعضها عن البعض الآخر، و الفصل هو عباده الشرك التى آمن بها إبليس الذى أراد أن يفرق بين طاعه الله و طاعه خليفته، بخلاف الملائكة أهل عباده التوحيد الذين خضعوا لله و لوليه آدم عليه السلام.

ثم إن مورد هذه الآيه و هى: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)** التى حكمت بوجوب الطاعه فى الدين كله، فكما أن طاعه الله عزّ و جل فى الدين كله، كذلك ما اقترن بها من طاعه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أولى الأمر من أهل بيته عليهم السلام.

إذن التوجه إلى الله تعالى من دون التوجه إليه بطاعه نبيه و وليه نجس و شرك و وثنيه قرشييه، و نيه القربه إذا لم تكن على هذا المنوال فى العباده لا تقبل؛ لعدم التوجه إلى الله بآياته و أبوابه التى أمر الله بها.

ص: ١٥٠

١- التوسل آيه للزلفى و القربى إلى البارى تعالى:

و التوسل على ضوء القرآن الكريم و السنه المطهره على أربعة جهات:

الجهه الأولى: حقيقه التوسل فى اللغه و الاصطلاح.

الجهه الثانيه: أنه عباده توحيديه.

الجهه الثالثه: الأدله العقليه و التاريخيه على العباديه.

الجهه الرابعه: الأدله التحليليه.

و هنا سوف نتعرض إلى خلاصه ذلك ضمن النقاط التاليه:

النقطه الأولى:

بأن الواسطه التى جعلها الله سبحانه و تعالى و نصبها لخلقها هو عين التوحيد و الربوبيه للبارى، و القطيعه و الإباء و الاستكبار على إرادته البارى تعالى كفر و شرك، و الوسائط و الحجج الإلهيه هى أبواب التوحيد لأنها خضوع و انصياع و تذلل و تقرب إلى البارى سبحانه و تعالى بطاعه أو امره فى ذلك كقولهم لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَّهُوا إِلَيْهِ تَوَابًا رَحِيمًا (٦٤) و قوله تعالى إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَتْهُمْ يَبْصُرُ بَصَرَهُمْ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) و غيرها من عشرات الأوامر فى السور و الآيات و الأحاديث الشريفه، و التوجه و الانشداد إلى الآيات الإلهيه و الوسائط و الوسائط الربانيه تقرب العبد إلى خالقه تعالى.

النقطه الثانيه:

التواضع و الخضوع فى التوجه و الوفود على الله تعالى، سبب لزياده الرفعه و القرب الإلهى، و العبد إذا أنكر الواسطه التى نصبها الله تعالى بينه و بين عبيده، لا- يبقى له طريق لاستعلام أوامر الله و نواهيه، كما إن التواضع حاله استثنائيه و توحيديه خالصه، و رفض التوسل استكبار و جفاء لا يناسب الأدب التوحيدى، بل إن الله سبحانه و تعالى ذم الذين يصدون عن الوسائط و يطلبون الاتصال المباشر و الارتباط بالسماء مع عدم أهليتهم لذلك كما فى قوله تعالى: *وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَمْ نُؤْتِ الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (١) و قوله تعالى يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً (٢) و هذا لقصور فى القوابل و الاستعدادات فى تقرب العبد بذاته المنفردة من ذاته تعالى المقدسه بل لابد من شفاعه المتوسل بالمتوسل به.

النقطه الثالثه:

لا شك أن التقدم فى الرتبه الوجوديه بين المخلوقات معناه أن المخلوق الأسبق رتبه أشرف و أكرم و أقرب إلى الله تعالى من المخلوق اللاحق، و هذا البيان العقلى واضح دال على ضروره التوجه و التوسل بالمقربين و بالمخلوقات الكريمه على الله تعالى و هم «أولياء الله» من الأنبياء و الرسل.

النقطه الرابعه:

قطع الصله بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و عدم الرجوع إليه و الابتعاد عنه و التخلي عن

ص: ١٥٢

١- (١) سوره الفرقان، الآية: ٢١.

٢- (٢) سوره المدثر، الآية: ٥١.

ولايته، وعدم الخضوع و الطاعة له، وعزل الشهادة الثانيه و فصلها و بترها عن الشهاده الأولى، فإن ذلك كله يجعل العبادات و المناسك بأجمعها شركا و وثنا و جاهليه، كالطواف حول الكعبه مثلا و طاعه و عباده لغير الله عزّ و جل فيما إذا افتقد الشهاده الثانيه و التولى لنبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

من أهم الفروق بين حج المشركين و حج المسلمين هو أن المشركين يأتون بالمناسك من دون الخضوع و التسليم و التولى لخليفه الله تعالى، و أما المسلمون فهم يأتون بمناسك الحج مع خضوعهم لولايه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و إقرارهم بالشهاده الثانيه، و لذا كان حجهم طاعه و عباده خالصه لله عزّ و جل.

و مما لا شك فيه بأن الإنكار للواسطه المنصوبه من الله تعالى هو ما قام به إبليس لعنه الله تعالى الذي يدعى التوحيد في العباده، فإنكار الواسطه يستلزم الاعتراض على الباري سبحانه و تعالى.

٢- شرطيه التوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ في طلب المغفره:

قال تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١).**

هذه الآيه القرآنيه تكشف حقيقه هذه الشرذمه التي تدعى بأن التوسل برسول الله أو بالإمام شرك، حيث تصرح الآيه بأن التوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و الاستشفاع به إلى الله، و طلب الاستغفار منه لمغفره المعاصي، شرط ركني في قبول التوبه و شمول الرحمه الإلهيه.

ص: ١٥٣

فلو كانت الواسطه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شركا، كيف يأمر الله العصاه و المذنبين بمثل هذا الأمر؟

و من البديهي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس من شأنه أن يغفر الذنوب، بل شأنه في المقام أن يطلب من الله المغفره و الصفح، وهذه الآيه دليل مفحم للجاحدين الذين ينكرون مشروعيه التوسل و الواسطه في العباده.

و الطريف في الآيه الكريمة بأن القرآن الكريم لم يقل: استغفر لهم يا رسول الله، بل قالوا: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ الرَّسُولُ و بهذا يستفاد بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يستغفر للعصاه و المذنبين حيث جعل الله له هذا المقام و المنزله.

فالشفيح لا يمكن أن يشفع للآخرين إلا و قد أذن له عزّ و جل بذلك في قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١) و لنا على ذلك من الشواهد الواضحه الداله على مشروعيه التوسط و التوجه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و الإقبال عليه بالاستغفار و التوبه و الأوبه.

الشاهد الأول: استغفار آدم عليه السّلام و توبته أيضا- كانت بالمجىء للنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لكن كان مجيئه إليه في أفق القلب و القصد، فقد ورد في روايات الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه قال: «لما اقترف آدم الخطيئه، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا:

لا- إله إلا- الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ،

ص: ١٥٤

ادعنى بحقه فقد غفرت لك، و لو لا محمد ما خلقتك»^(١) فهذه الروايه داله على أن مجيء آدم إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم و لو اذ به كان بالتوجه القلبي به إلى الله تعالى، وهذا الاقتران بين الشهادتين هو من أعظم و أشرف العبادات التوحيديه.

الشاهد الثاني: «القمي» قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأه على بن الحسين على أبي جعفر عليه السّلام يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر، يغرون الناس و يقولون: شفاعه محمد شفاعه محمد! فغضب أبو جعفر عليه السّلام حتى تربد وجهه» ثم قال: «ويحك يا أبا أيمن أغرك إن عف بطنك و فرجك؟ أما لو قد رأيت إفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعه محمد صَلَّى الله عليه وآله و سلم؟» ويلك، فهل يشفع إلا لمن و جبت له النار؟» ثم قال: ما أحد من الأولين و الآخرين إلا و هو محتاج إلى شفاعه محمد صَلَّى الله عليه وآله و سلم يوم القيامة، ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: إن لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم الشفاعه في أمته، و لنا الشفاعه في شيعتنا و لشيعتنا الشفاعه في أهاليهم ثم قال: و إن المؤمن ليشفع في مثل ربيعه و مضر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه و يقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر و البرد، و هو قوله تعالى:

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا^(٢).

أقول: يعنى من جعل مبدأ ذلك النور و رضى له القول بالولاية.

الشاهد الثالث: هي من روايات كتب الصحاح لدى أهل السنه

ص: ١٥٥

١- (١) المستدرک علی الصحیحین الحاکم النیسابوری: استغفار آدم علیه السّلام بحق محمد صَلَّى الله عليه وآله و سلم ج ٢ ص ٦١٥.

٢- (٢) سورہ طه، الآیہ: ١٠٩ و انظر تفسیر القمی: فرع الأبالسہ يوم الغدير ج ٢، ٢٠١.

الذى تبين بأن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم هو سيد الناس يوم القيامة، فيشفع لهم بعد أن يتوجهوا إليه و يطلبوا منه الشفاعة.

عن أبي هريره: قال كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فى دعوه، فرفع إليه الذراع، و كانت تعجبه، فنهس منها نهسه و قال «أنا سيد القوم يوم القيامة» هل تدرون بمن يجمع الله الأولين و الآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر و يسمعهم الداعى، و تدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس ألا- ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا- تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم... فى (فى) حديث طويل) فيأتون آدم عليه السلام يقول لهم اذهبوا إلى غيرى، فيأتون نوحا فيقول لهم، نفسى نفسى، اتوا النبى صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم، فيأتونى، فأسجد تحت العرش فيقال يا محمّد ارفع رأسك و اشفع تشفع، و سل تعطه». قال محمّد بن عبيد لا أحفظ سائره (1).

منها: عن أنس بن مالك، عن النبى صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا عزّ و جلّ فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله عزّ و جلّ بيده و أسجد لك ملائكته و علّمك أسماء كلّ شىء فاشفع لنا إلى ربنا عزّ و جلّ يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم و يذكر ذنبه الذى أصاب فيستحى ربّه عزّ و جلّ و يقول و لكن اتوا نوحا فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم و يذكر لهم خطيئته و سؤاله ربّه عزّ و جلّ ما ليس له به علم فيستحى ربّه بذلك و لكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن عزّ و جلّ

ص: ١٥٦

١- (١) صحيح البخارى: كتاب بدء الخلق باب خلق آدم صلوات الله عليه و ذريته ج ٤ ح ٣٣٧٥.

فيأتون فيقول لست هناكم و لكن ائتوا موسى عليه السّلام عبدا كلمه الله و أعطاه التّوراه فيأتون موسى فيقول لست هناكم و يذكر لهم النّفس التي قتل بغير نفس فيستحيى ربّه من ذلك و لكن ائتوا عيسى عبد الله و رسوله و كلمته و روحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم و لكن ائتوا محمّدا صلّى الله عليه و آله [و سلّم عبدا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر فيأتوني قال الحسن هذا الحرف فأقوم فأمشى بين سماطين من المؤمنين، قال أنس حتّى أستأذن على ربّي عزّ و جلّ فيؤذن لي، فإذا رأيت ربّي وقعت أو خررت ساجدا إلى ربّي عزّ و جلّ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، قال ثمّ يقال ارفع محمّد قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد بتحميد يعلمني ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّه ثمّ أعود إليه الثانيه فإذا رأيت ربّي عزّ و جلّ وقعت أو خررت ساجدا لربّي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثمّ يقال ارفع محمّد قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّه ثمّ أعود إليه الثالثه، فإذا رأيت ربّي وقعت أو خررت ساجدا لربّي عزّ و جلّ فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثمّ يقال ارفع محمّد و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّه ثمّ أعود الرّابعه فأقول يا ربّ ما بقي إلا من حبسه القرآن (١).

و منها: ما أخرجه النووي عن العتبي قال: «كنت جالسا عند قبر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعَفَرُوا اللَّهَ

ص: ١٥٧

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١) وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بكم إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

قال: ثم انصرف، فحملتني عيناي فرأيت النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم في النوم، فقال لي: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له (٢).

و منها: ما أخرجه البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال: (حج أعرابي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر و وقف بحذاء وجه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم فقال:

بأبي أنت و أمي يا رسول الله جئتكم مثقلا بالذنوب و الخطايا مستشفعا بكم على ربك لأنه قال في محكم كتابه: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) و قد جئتكم بأبي أنت و أمي مثقلا بالذنوب و الخطايا استشفع بكم على ربك أن يغفر لي ذنوبي و أن يشفع في) (٣).

منها: قال القسطلاني (ت ٩٢٣): «و قد روى أن مالكا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي ثاني خلفاء بني العباس -يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو، أم أستقبل رسول الله؟ فقال (مالك): و لم تصرف وجهك عنه و هو و سيلتك و وسيله أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم

ص: ١٥٨

١- (١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

٢- (٢) الأذكار النووية النووي: كتاب أذكار الجهاد باب استحباب سؤال الشهادة ص ٢٠٦/ كذلك في تفسير ابن كثير: باب لا يكون الرجل مؤمنا حتى يرضى بما حكم به رسول الله ص ٥٣٢ ج ١.

٣- (٣) الدر المنثور: سورة البقرة ج ١ ص ٢٣٨.

القيامه؟ بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله تعالى»(١).

و لا- يمكن لقائل أن يخصص هذا المجيء و الاستغفار بحياه النبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم، لأن مفاد تعاليم القرآن خالده بخلود القرآن و السيره دلت على الشمول و العموم و عدم الاختصاص بالفترة الزمنيه التي عاشها النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، فطلب المغفره و المجيء ليست مختصه بحياته صَلَّى الله عليه و آله و سلم الدنيويه و إلا- عطل العمل بهذه الآيات، و تقوضت أركان التوبه في الدين.

و المقامات الإلهيه و القربى و الزلفى لرب العالمين لا تكون إلا بالتوجه بالنبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و هذه شرط في قبول العباده و صحه الإيمان.

شرطيه التوسل بالنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم:

و هذه الآيه كشفت النقاب عن شرطيه التوسل بالنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، جاءت بشكل رتبي ترتيبي، حيث أخذت المراتب بعين الاعتبار و هى كالتالى:

الشرط الأول: قبول الأعمال و صحه الإيمان هو بالمجيء إلى الحضرة النبويه و الالتجاء إليه، و اللوذ به، و الاستعاذه و الاستجاره به صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و المجيء إلى النبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم هو عين التوجه إليه و التوسل به في قبول التوبه.

الشرط الثانى: إبرار الندامه و الاستغفار و إعلان التوبه و الخشيه الرجوع إلى الله تعالى و الاقتراب منه و قصد التوجه إليه.

الشرط الثالث: إمضاء النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم توبه التائبين و عباداه العابدين لله تعالى و شفاعته في توبه مذنبى الأمه عند الله.

ص: ١٥٩

١- (١) شرح المواهب: ج ٨ ص ٣٠٤-٣٠٥ و المدخل: ج ١ ص ٢٤٨، ٢٥٢ و وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٧١ و ما بعدها و الفواكه الدوانى: ج ٢ ص ٤٦٦ و شرح أبى الحسن على رساله القيروانى ج ٢ ص ٤٧٨ و القوانين الفقيهيه: ص ١٤٨.

و أول شرط لقبول توبه المذنب و الظالم لنفسه ليس إظهار الندامه من العبد أمام الله تعالى مباشره و ابتداء، بل الشرط الأول هو المجيء إلى الحضرة النبويه و الالتجاء إليه، و اللواذ و الاستعاذه و الاستجاره به صَلَّى الله عليه و آله و سلم، فأولا لا بد أن يأتي العبد إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و يلوذ به، ثم بعد ذلك يظهر الندامه و الاستغفار لله عزّ و جل؛ إذ الترتيب للشروط في الآيه المباركه ترتيب رتبي، حيث أخذت بعين الاعتبار، لا أنه ذكرى فقط بقريته العطف بالفاء.

ثم إنه سبحانه ترك باب التوبه و الإنابه-عقيب تلك الآيه-مفتوحا للعصاه و المذنبين حيث جعل الله تعالى الملاذ و الملجئ هو النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، فلا بد من الكينونه في الحضرة النبويه ثم إظهار عباده الاستغفار، لأنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم باب الله تعالى الذى منه يؤتى، فيكون اللواذ بالله عزّ و جل باللواذ بنبيه الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم؛ و لذا بعد الاستجاره بالنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال تعالى: لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا (٦٤) و اللجوء و الإنابه إلى الله بنبيه أخذ شرطاً في أعظم المواقف للعبد مع ربه و هو التوبه و غفران الذنوب فكيف بما دونه من العبادات التى هى ذخيره أخرويه خالده فكيف بالحاجات الدنيويه الزائله التى هى متاع قليل فى جنب متاع الآخره.

إذن استغفارهم لأنفسهم عند الله تعالى لا يغنيهم عن التوجه بالنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و معنى ذلك أن للمجئ عند النبي ثم الاستغفار موضوعيه فى حصول المغفره.

و لا شك أن الاستغفار و طلب المغفره عباده من العبادات و نوع خاص من أنواع الدعاء و حاله من الارتباط بين العبد و ربه، و للكون عند النبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله و سلم و المجئ عنده دخاله فى قبول تلك العباده و توثيق الدعاء و الارتباط بين العبد و ربه و الإقبال على الله تعالى.

و هذا هو معنى أنّ لله عزّ و جلّ مواضع و مواطن مشرفه يقبل الدعاء بالكون فيها و المثل تحت قبّتها، كما فى الكون فى عرفه و تحت الميزاب عند الكعبه و عند الملتزم و المستجار و غيرها، و كما ورد من أنّ الصلاه فى البيت الحرام تعدل كذا ألف ركعه، و هذا يعنى أنّ للكون فى البيت الحرام دخاله فى توثيق الارتباط بين العبد و بين الله تبارك و تعالى.

و من الواضح أيضا أنّ الظلم المذكور فى الآيه المباركه ليس مختصا بالذنوب الفرديه التى بين العبد و ربه، و إنما هو شامل للظلم الاجتماعى السياسى أو النظام الاقتصادى المعاشى أو التعدى على المنظومه الحقيقه و الأخلاقه، و معنى ذلك أنّ استعلام و معرفه تلك الأمور الفرديه و الاجتماعيه لا- يمكن أنّ يتحقق إلا- عن طريق الالتجاء و اللواذ بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، فكل حيف أو زيغ يحصل من الفرد أو المجتمع فى تلك الأمور لا بد من الرجوع فيها إلى الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و فى مقابل تعدد أنواع الظلم يتعدد أنواع اللجوء و التولى و التوجه للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

ثم إن ذكر التوبه و الاستغفار فى الآيه الكريمه لا لخصوصيه فيها، و إنما ذكرت بما هى عبادته من العبادات، لكونها أوبه و رجوع إلى الله تعالى و اقتراب منه و قصد و توجه إليه، فليست الآيه فى ذكرها لشرطيه التوسل بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم خاصه بالتوبه، بل هى شامله فى ذلك لكل العبادات.

خصوصا و أنّ التوبه هى الأوبه، من آب يؤوب، و الأوبه الرجوع إلى الله تعالى، أى الاقتراب و الزلفى منه عزّ و جلّ، و لا شك أنّ العبادات بمجموعها طلب الأوبه و القرب و الزلفى إلى الله تعالى، فهى نوع من أنواع التوبه، و بناء على ذلك لا تكون التوبه عملا منحاذا و منفصلا عن سائر العبادات كالصلاه و الحج و غيرهما، بل هى عمل عام و شامل لكافه العبادات.

و هذه الآيه الكريمة الداله على شرطيه التوجه و التوسل و ضرورته فى جميع المقامات ليست خاصه بحياه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ؛ إذ ليس المراد من المجرىء الحضور الجغرافى الجسمانى لبدن المذنب عند النبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فقط، بل المجرىء الفيزيائى و البدنى المكانى أحد المصاديق المقصوده فى الآيه الكريمة، و التعبير بالمجرىء كنائى، يراد به مطلق الاستغاثه و التوسل و التوجه القلبى إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

و الحاصل: إن هذه الآيه المباركه جاءت لبيان ماهيه التوبه و شرائطها العامه، التى يشترك فيها كافه المسلمين و فى جميع الأزمنه، فلا- يمكن أن تكون مختصه بالفتره التى عاشها النبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أو بمن زامن و عايش تلك الفتره، فالمراد من المجرىء مطلق الارتباط بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، بالتوجه إليه و الكينونه فى حضرته المباركه، ثم الإتيان بعباده الاستغفار، و هذا المضمون متطابق مع مفاد قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ، إذ معنى ذلك أن حضره الأنبياء و محضرهم مشاعر شعرها الله تعالى ليتقرب بها إليه.

و يتضح هذا الشاهد أكثر إذا علمنا أن النبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بعث رحمه للعالمين، و هذه من الرحمات العامه للنبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ على هذه الأمه، و غير مختصه بمن حضر الحضور الفيزيائى البدنى عند النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

كما إنه نفس التعبير فى قوله تعالى (جاؤوك) يتضمن معنى اللواذ و اللجوء و الاستغاثه و التوسل و التوجه القلبى، و ليس فيه دلالة على الاختصاص بالحضور الجسمانى.

كذلك لا- بد أن يعلم أن الآيه الخاصه فى المقام غير مختصه بالرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، بل هى سنه إلهيه جاريه فى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ على أهل بيته فالآيه عامه؛ كما يشير هذا التعميم إلى عتره النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ آيه

عرض الأعمالِ قَبْلَ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، حيث شملت الذين آمنوا و هم أولوا الأمر من أهل البيت عليهم السّلام، كما نص على ذلك قوله تعالى: هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) إذ هم الأمه المسلمه من ذريه إبراهيم و إسماعيل المجتباة الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ جعلهم الله شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ على أعمالهم و عقائدهم، و يدل على العموم أيضا الآيات المتقدمه التي نصت على وجوب المجيء إلى إبراهيم في الحج و وجوب الصلاه عند مصلاه و هوى القلوب إلى ذريته.

إذن التوجه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أهل بيته عليهم السّلام في التوبه و العباده و نيل المقامات شرط و مشارطه إليه لا بد من توفرها لنيل ما يبتغيه العبد.

التوسل بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ميثاق الأنبياء:

قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٢).

هذه الآيه توسعه لمضمون الآيه السابقه من سوره النساء، فالميثاق المذكور في هذه الآيه المباركه معناه أن هناك تعاقدًا بين الله تعالى و الأنبياء عليهم السّلام، و الطرفان اللذان وقع عليهما التعاوض في الميثاق و التعاقد هما النبوه و المقامات الغيبه التي أعطاه الله تعالى للأنبياء في مقابل أمر مهم و خطير لا بد أن يؤمنوا به، و هو قوله تعالى: جَاءَكُمْ

ص: ١٦٣

١- (١) سوره الحج، الآيه: ٧٨.

٢- (٢) سوره آل عمران، الآيه: ٨١.

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ فَالْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَ الْمَنَحِ الرَّبَّانِيَّةِ إِنَّمَا تُعْطَى لِلْأَنْبِيَاءِ بِشَرَطِ الْإِيمَانِ بِخَاتَمِهِمْ وَ نَصْرَتِهِ، وَ لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَكُونُ نَاصِرًا إِنَّمَا هُوَ تَابِعٌ لِلْمَنْصُورِ وَ الْمَنْصُورُ قَائِدٌ لَهُ، فَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ مَأْمُومُونَ وَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ إِمَامُهُمْ، وَ الْأَنْبِيَاءُ سَبَقُوا النَّاسَ بِالْإِصْطِفَاءِ الْإِلَهِيِّ الْخَاصِّ وَ حُبِّهِمُ بِالنَّبُوَّةِ وَ الرِّسَالَةِ وَ الْمَقَامَاتِ الْغَيْبِيَّةِ بِتَوْسُطِ إِيْمَانِهِمْ بِوَلَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ تَعَاهَدَهُمْ بِنَصْرَتِهِ وَ مُؤَاوَزَتِهِ، وَ هُمْ أَسْبَقُ النَّاسَ شِيعَةً وَ إِسْلَامًا لِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

وَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقًا لئن بَعَثَ مُحَمَّدٌ وَ هُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَ لِيَنْصُرَنَّهُ، وَ أَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِيثَاقَ لئن بَعَثَ مُحَمَّدٌ وَ هُمْ أَحْيَاءٌ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَ لِيَنْصُرَنَّهُ وَ لِيَتَّبِعَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بَشَرُوا وَ أَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ (١)(٢).

فَلذَلِكَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرِّسْلَ عَلَى الْإِيمَانِ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ نَصْرَتِهِ وَ التَّبَشِيرِ بِهِ، وَ دَعْوَهُ أَمَّهُمْ إِلَى تَصَدِيقِ دَعْوَتِهِ وَ الْإِقْرَارِ بِهَا.

الأنبياء على دين النبي الأكرم صَلَّى الله عليه وآله وسلم:

وَ مِنْ ثَمَّ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ هُمْ آمَنُوا بِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَ بِمَشَايِعَتِهِ وَ بِمُؤَاوَزَتِهِ، فَالْأَنْبِيَاءُ كَانُوا عَلَى دِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ هُوَ الْإِسْلَامُ.

ص: ١٦٤

-
- ١- (١) البدايه و النهايه لابن كثير: ج ٢ باب مبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا.
 - ٢- (٢) و هذا لا يخص طائفه من الأنبياء دون غيرهم، بل بمن فيهم من أولى العزم من الرسل صلوات الله عليهم.

قال تعالى فى الآيه المباركه: مُصِِّدٌ لِّمَا مَعَكُمْ معناه أن النبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس تابعاً للأنبياء و التعبير بمصدق و ليس التعبير بمؤمن أى أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مشرف على مقامات الأنبياء، و ليست مقاماتهم غيب بالنسبه إليه ليقال مؤمن بهم و هذا بخلافهم مع مقامه فإنهم يؤمنون به لأن مقامه غيب لهم و ليسوا بمشرفين مستعلين على مقامه، بل تابع للوحى الإلهى جملة، الذى هو فعل الله تعالى؛ و لذا لم يأمر الله عزّ و جل نبيه الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالاعتداء بالأنبياء و إنما بالهدى الذى هم عليه، قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ (١)**.

فالنبى الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس على هدى نبى من الأنبياء و ليس هو تابعاً لأحد من الرسل، بل هو على هدى الله عزّ و جل، و هو أول المسلمين، و الفاتح الأول للهدى الإلهى و الدين الإسلامى الواحد هو خاتم الأنبياء، و لم يعبر عن نبى من الأنبياء فى القرآن الكريم بأنه أول المسلمين على الاطلاق سوى النبى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ذلك فى قوله تعالى: **قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** (٢) و قوله تعالى: **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (١١) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) (٣)**.

و أما سائر الأنبياء فقد عبر عنهم فى القرآن الكريم بأنهم من المسلمين، بما فيهم الأنبياء من أولى العزم، فقد حكى الله عزّ و جل على لسان نوح قوله:

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ

ص: ١٦٥

١- (١) سورة الأنعام، الآيه: ٩٠.

٢- (٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

٣- (٣) سورة الزمر، الآيتان: ١١-١٢.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١) ولم يعبر عنه بأنه أول المسلمين، ولا شك أن الدين عند الله عز وجل واحد، قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٢)، ولا يتقبل من أى مخلوق من المخلوقات غير الإسلام، قال تعالى: وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣)، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أول المسلمين وأول من نطق بالميثاق الذى أخذه الله على الأنبياء والمرسلين كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته، و يبشروهم به، و يأمرهم بتصديقه (٤) و فى الهداياه الكبرى للخصيبي فى حديث له صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: وقد علمتم أن الميثاق أخذ لى على جميع النبيين، و أنا الرسول الذى ختم الله بى الرسل، و هو قولهُرَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ (٥).

«فكنت و الله قبلهم و بعثت بعدهم و أعطيت ما أعطوا و زادنى ربي من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيرى، فمن ذلك إنه أخذ لى الميثاق على سائر النبيين و لم يأخذ ميثاقى لأحد، و من ذلك ما نبأ نبيا و لا أرسل رسولا إلا أمره بالإقرار بى و أن يبشر أمته بمبعثى و رسالتى» (٦).

فهو بذلك أفضل الأنبياء و الرسل و هو الإمام المتبوع و هم المأمومون التابعون له فى دين الإسلام، فضلا عن غيرهم من

ص: ١٤٤

١- (١) سورة يونس، الآية: ٧٢.

٢- (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٣- (٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٤- (٤) بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٥ باب ٢ البشائر بمولده و نبوته.

٥- (٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

٦- (٦) الهداياه الكبرى/الحسين بن حمدان الخصيبي: ٣٨٠.

المخلوقين، ولذا ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: (أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأى شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين: (و أشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى) فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله» (١).

فمن خلال هذه الأحاديث يعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له منزله عظيمه عند الله سبحانه وتعالى فهو سيد ولد آدم عليه السلام فلماذا بعث لجميع الأمم والأزمنة والعصور، بعكس الأنبياء والرسل حيث بعث لأجل قومه والمدينه التي كان يعيش فيها وبعضهم أرسل لبعض الأمم دون سواها، فإقرار الأنبياء بنبوه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونصرتة لإعلاء كلمه واحده وهى التوحيد، فلذلك آمن به حتى من لا يدين بدين الإسلام كاليهود والنصارى فى حياته ومماته لصراحه بالبشائر الكثيره فى التواره والأنجيل.

فالنبي الأكرم هو على هدى الله سبحانه وتعالى، ومصداق لما مع الأنبياء، أى شاهد على ما هم عليه من دينه الحنيف و بامضائه يصدق ما هم عليه، أما الأنبياء فهم يؤمنون بخاتم الأنبياء لثبوتهم به لا أنهم يؤمنون بما معه، فإيمانهم بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم شاهد مطلع مصداق على ما عندهم، وأما هم فيؤمنون به، وهذا يعنى أنه لا يوجد فى مقامات الأنبياء و درجاتهم عند الله تعالى ما هو غيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الذى يؤمن بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم سائر الأنبياء عليهم السلام فهو يؤمن بأمر غيبى، فمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبه إلى باقى الأنبياء غيب الغيوب، وأما مقامات سائر الأنبياء فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مطلع عليها ويعلمها ويشهد لها

ص: ١٤٧

على صدقها، والأنبياء في أصل نيلهم لمقام النبوه إنما استأهلوه بعد أن آمنوا بخاتم الأنبياء قبل سائر الأرواح في عالم الأرواح و شرطوا على أنفسهم التولى لسيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لذا فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شفيع الكل، والأنبياء لم ينالوا ما نالوا إلا بالديانته لخاتم الأنبياء، فهو الشفيع لقبول الأعمال، وهو باب رحمه الله العامه قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١).

و من ذلك كله يتضح ان هذه الآيه المباركه نص في المقام الثالث، و أن التوجه إلى الله لنيل أى مقام أو قربي أو زلفى لا يتم إلا بالتوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و بالتشفع به، و بالتشفع به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعطى للبعد أعظم الأرزاق بعد إيمانه بسيد الأنبياء و المرسلين.

ثم إن الآيه الكريمة رسمت خطوره الأمر في ضمن تأكيدات مغلظه، حيث جاء فيها قوله تعالى: أَوْفِرُّنَاكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي وَ بَعْدَ أَنْ تَمَّ الْإِقْرَارُ وَ الْمَعَاهِدَةُ وَ الْمَعَاهِدَةُ الْمَشْدَدَةُ أَشْهَدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكُمْ، حيث قال: فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٢).

أهل البيت عليه السلام شركاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في دائره الميثاق:

من خلال البحث السابق تبين لدينا بأن الأنبياء لم ينالوا ما نالوا من مقام النبوه إلا بالديانته لخاتم الأنبياء و المرسلين و نصرته و الإيمان بما معه، و تترتب على هذا بأن أهل بيته يشتركون مع النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في دائره الميثاق و الدين الحنيف، الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به و الدعوه إليه.

ص: ١٤٨

١- (١) سورة الأنبياء، الآيه: ١٠٧.

٢- (٢) سورة آل عمران، الآيه: ٨١.

و إن كان أهل البيت عليهم السّلام تابعين للنبي صلّى الله عليه وآله و سلّم و هم يتوجهون به إلى الله تعالى، و بشفاعته يكونون معه صلّى الله عليه وآله و سلّم في مقامه، و هو مقام الشفاعه العظمى في يوم القيامة.

و هناك وجوه عديده على اشتراك أهل البيت عليهم السّلام مع النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم في دائره الميثاق ما دل على الذى أخذ على الأنبياء لينصروه و يدعون إليه و إليك بعضها مضافا إلى الآيات الداله على شراكه المقامات كآيه المباهله في الحجيهو أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ و آيه التطهير و آيه الطاعه و آيات أخرى هذا مضافا إلى ما في الروايات:

١- من هذه الوجوه بأن الأنبياء و المرسلين سوف يقاتلون بين يدي إمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف كما نصت على ذلك الروايات المتظافره في ما يختص برجعه الأئمه عليهم السّلام، حيث جاء فيها أن عيسى عليه السّلام و إدريس و الخضر عليهما السّلام و غيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدي الإمام المهدي عليه السّلام عند قيامه بدوله الحق و العدل.

و هذا من طرق الفريقين، بل إن بعض الروايات الصادره عن أهل البيت و رساله نصت بأن جميع الأنبياء و المرسلين سوف يقاتلون مع الأئمه عليهم السّلام عند رجوعهم و قيام الدوله العالميه المباركه.

و نشير فيما يلي إلى بعض تلك الروايات التي وردت في هذا المجال:

منها: الروايات التي دلت على أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام ينزل لنصره المهدي عليه السّلام، و يبايعه و يصلّى خلفه.

عن حذيفه بن اليمان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: «يلتفت المهدي عليه السّلام و قد نزل عيسى ابن مريم عليه السّلام كأنما يقطر من شعره الماء» (١).

ص: ١٦٩

١- (١) أى إن شعر رأسه يلمع كأنما دهن شعره.

فيقول المهدي: تقدّم وصل بالناس، فيقول عيسى ابن مريم: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي عيسى خلف رجل من ولدي، فإذا صليت قام عيسى حتى جلس في المقام فيأبعه» (١).

منها: عن الإمام الصادق عليه السّلام: أتى يهودى إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النّبي الذى كلمه الله تعالى، وأنزل عليه التوراه والعصا و فلق له البحر و أظله بالغمام؟ فقال له النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكن أقول: إنّ آدم عليه السّلام لما أصاب الخطيئه كانت توبته أن قال: اللّهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد لما غفرت لي فغفر الله له، وأن نوحا عليه السّلام لما ركب فى السفينه و خاف الغرق، قال: اللّهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمد (لما أنجيتنى) من الغرق، فنجاه الله منه، و إنّ إبراهيم عليه السّلام لما ألقى فى النار قال: اللّهم إني أسألك بحق محمد وآل محمّد لما أنجيتنى منها، فجعلها الله عليه بردا و سلاما، و إن موسى عليه السّلام لما ألقى عصاه فأوجس فى نفسه خيفه، قال: اللّهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد (لما آمنتنى) منها، فقال الله جل جلاله:

لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٢).

يا يهودى: إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى و بنوتى ما نفعه إيمانه شيئا، و لا نفعته النبوه، يا يهودى من ذريتى المهدي، إذا خرج نزل عيسى ابن مريم لنصرته، فقدمه و صلى خلفه (٣).

ص: ١٧٠

-
- ١- (١) عقد الدرر ص ٢٢٩-٢٣٠، طبع مصر ١٣٩٩ هـ، و قال بعد ذكر الحديث: أخرجه الحافظ أبو نعيم فى (مناقب المهدي) والطبرانى فى معجمه.
 - ٢- (٢) سورة طه، الآية: ٦٨.
 - ٣- (٣) الإرشاد للمفيد: ج ٢ ص ٣٦١.

و ذكر الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن العزيز في قصه أصحاب الكهف قال: و أخذوا مضاجعهم و صاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي عليه السلام يقال أن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله عز و جل ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة(١).

و جاء في بعض الروايات بأن أهل الكهف هم من أعوان المهدي و وزرائه، كما يمد الله الإمام بثلاثة آلاف من الملائكة، و روى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة و عشرون رجلا، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق و به يعدلون، و سبعة من أهل الكهف، و يوشع بن نون، و سلمان، و أبو دجانة الأنصاري، و المقداد، و مالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا و حكاما(٢)).

نصره عيسى عليه السلام و الأوصياء للإمام المهدي عليه السلام و أعوانه نصره للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإنه بنصر الإمام عليه السلام كما هو مقتضى التكليف بذلك استأهل النبي عيسى عليه السلام النبوه، فتسليم الأنبياء لهؤلاء الحجج هو تسليم لغيبه تعالى، و هذا من أعظم ما ابتلى به الأنبياء من أخذ الميثاق لهم).

منها: الروايات الواردة التي دلت على أن نصره الأنبياء للرسول صلى الله عليه و آله و سلم إنما تحصل بالنصره لوصيه و ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

فعن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «و على ذلك أخذت ميثاق الخلائق و موثيق أنبيائي و رسلي، أخذت موثيقهم لي بالربوبية،

ص: ١٧١

١- (١) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان العلامة المتقى الهندي ص ٨٧ مطبعة الخيام بقم.

٢- (٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢: باب سيره القائم عليه السلام عند قيامه.

ولك يا محمد بالنبوه، ولعلي بن أبي طالب بالولاية..»(١).

وكذلك الروايات الداله على نصره أمير المؤمنين عليه السلام و القتال بين يديه فى دولته المباركه، نظير ما أخرجہ سعد بن عبد اللہ القمى عن فيض بن أبى شيبه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، و تلا هذه الآية: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ: «ليؤمنن برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لتصرن عليا أمير المؤمنين عليه السلام».

قال: نعم و الله من لدن آدم فهلم جرا، فلم يبعث نبيا و لا- رسولا- إلا- رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي على بن أبى طالب»(٢).

و عن أبى سعيد الخدرى قال: (كنا جلوسا ننظر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فخرج إلينا قد انقطع شمع نعله فرمى به إلى على رضى الله عنه فقال: إن منكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبو بكر:

أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال لا، و لكن خاصف النعل(٣) الترغيب فى نصره على رضى الله عنه).

فمن الواضح بأن نصره أمير المؤمنين عليه السلام نصره لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا تتعلق بالقرايه التى هى متصله بالرسول بل هذا أمر إلهى جاء من عند الله سبحانه تعالى، كما إن ولايه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام أخذت من جميع الملائكه و سائر الكائنات، لأنها لا تختص بالموجودات الأرضيه فقط، بل هم سفراء الله بينه و بين خلقه فى كل المقامات العلميه و التكوينييه.

ص: ١٧٢

١- (١) البحار ج ١٥: بدء خلقه و ما جرى له فى الميثاق ص ١٨.

٢- (٢) مختصر بصائر/الحسن بن سليمان الحلبي: ص ٢٥.

٣- (٣) خصائص أمير المؤمنين النسائي: الترغيب فى نصره على رضى الله عنه ص ١٣١.

اقتران أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطهارة:

قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١)، حيث قرنت هذه الآية المباركة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته عليهم السلام وجعلتهم شركاء له تابعون في الطهارة، وهي تعنى درجة العصمة التي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء و يفوق الكل في درجة العصمة و الطهارة، إلا أن سنخ العصمة التي لأهل البيت عليهم السلام متقاربه مع سنخ عصمته صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الوقت الذي قرن الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته في العصمة و الطهارة، لم يقرن أحدا من الأنبياء في نمط التطهير و العصمة الذي له صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك في قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٢)، فلم ينزل أحد كنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا على عليه السلام، و قرن الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته عليهم السلام في الحجية، فالخمس عليهم السلام معا حجج على جميع الأديان السماوية و البشرية عموما إلى يوم القيامة، فهم عليهم السلام شركاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسؤوليه الرسالة؛ لأن المباهلة نوع محالفه، و في الحلف لابد أن يحلف الأصيل و لا وكاله في الحلف، و هذا يعنى أنهم عليهم السلام شركاء في الرسالة أصاله، و لكنهم تابعون في ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو سيدهم و بشفاعته نالوا الأصاله في الحجية.

و الحاصل: إن أهل البيت عليهم السلام مقرونون بسيد الأنبياء في المقامات تبعا له صلى الله عليه وآله وسلم، و هذا يعنى أن الإيمان بأهل البيت و التولى لهم من الدين

ص: ١٧٣

١- (١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

٢- (٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

الذى أخذ على الأنبياء و من الإيمان به و نصرته لأجل نيل المقامات العاليه عند الله تعالى.

و هذا هو المستفاد من الآيات المباركه الداله على عموم شرطيه التوسل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام لصحه الإيمان و للتوبه و سائر العبادات و لنيل مقامات القرب.

النبي و أهل بيته هم كلمات الله التامات «صلوات الله عليهم

أجمعين»:

قال الله تعالى: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ اورد لفظه الكلمه و الكلمات فى عده سور من الآيات الكريمه، و الكلمه مقاربه فى معناها لمعنى لفظ الآيه، حيث إن معناها العلامه الداله على معنى و مدلول ما، و قد أطلق لفظ الآيه على الوجودات التكوينية فى موارد عديده من القرآن الكريم.

كما أن لفظه (الاسم) قريبه من معنى (الكلمه و الآيه) التى هى بمعنى السمه و هو العلامه أيضا الداله على شىء أو معنى ما.

و هناك شواهد كثيره فى القرآن الكريم على معنى لفظه (الكلمه) و إليك بعضها:

منها: ما أطلق تعالى على عيسى ابن مريم عليه السلام فى قوله: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ و هذا الإطلاق ليس مجازيا، بل حقيقيا؛ لكون الأصل فى معنى الكلمه هو الشىء الموجود

ص: ١٧٤

لأجل الدلالة على المعنى الخفى، و أى دلالة أعظم على صفات الله من أنبيائه و رسله و الأوصياء و الحجج الذين يقتدى و يهتدى بهم كما يهدى الله بكلماته، و الآيه الكريمة ناظره إلى هذا المعنى.

منها: إذ امتحن الله إبراهيم الخليل عليه السلام بالعهود و المواثيق و الأوامر و أعظم ما ابتلى به إبراهيم من أخذ الميثاق لهم عليهم أفضل الصلوات و السلام قال الله تعالى: **وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (١)** حيث جاءت الكلمات بمعنى الامتحان و الاختبار الذى تتعلق بشؤون (الإمامه) و التى أشرف مصاديقها على الإطلاق و أكرمها عند الله عزّ و جل هم محمد و آل بيته الطاهرون عليهم أفضل الصلاه و السلام و قد مرت آيه أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان بسيد الرسل كشرط لنيل النبوه و كل مقام غيبى كالإمامه و غيرها.

فهذه الكلمات هى ميثاق إبراهيم عليه السلام لما أتمها و آمن و أسلم بواسطتها لله رب العالمين استحق مقام الإمامه الإلهيه، فامتحن إبراهيم بالإيمان و التصديق بها نظير ما ورد فى شأن مريم أنها صدقت بكلمات ربها، فهذه الكلمات هى حجج الله الناطقه من نبي أو رسول أو وصى و كان إتمامها سببا لنيل المقامات العاليه و هى محمد صلى الله عليه و آله و سلم الطاهرين عليهم السلام.

منها: ما أطلق على حجج الله تعالى (الكلمات) من باب تشبيههم بكلمات الله التى يهتدى بها المهتدون، و قد أطلق عليهم كلمات الله «التامه» فى كثير من الأخبار لدى الفريقين و الزيارات الخاصه بهم عليهم الصلاه و السلام.

و قد ورد فى جملة من هذه الأحاديث عن الكلمات التى تلقاها

ص: ١٧٥

آدم عليه السلام فى مناقب ابن المغازلى الشافعى، بإسناده عن ابن عباس:

(سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال:

سأله بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين إلا تبت على فتاب عليه) (١).

و جاء فى ينايع الموده للقندوزى الحنفى عن المفضل قال: سألت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله عزّ و جل: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ: هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، و هو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين إلا- تبت على، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت: يا بن رسول الله فما يعنى بقوله: «فأتمهن»؟ قال: يعنى أتمهن إلى القائم المهدي اثنى عشر إماما تسعه من ولد الحسين عليهم السلام (٢).

و هذه الأسماء هى التى كانت فى باطن عالم الملكوت لم يكن يعلم بها الملائكة، تلقاها آدم من ربه و هى أعظم الكلمات الحيه العاقله الشاعره قال الله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا و من تلك الأسماء هو خاتم النبیین صلوات الله عليه، و قد ورد فى المستدرک أنه لولاه لما خلق آدم و لا الجنة و لا النار (٣).

و إذا كان أبرز مصاديق الأسماء هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم فبقية الكلمات و الآيات هم أهل بيته عليهم أفضل السلام بقريته الروايات الواردة

ص: ١٧٦

١- (١) مناقب ابن المغازلى: ٦٣ الحديث ٨٩، و عنه: ينايع الموده ٢٨٨: ١ الحديث ٤، و انظر تفسير الدر المنثور ١: ٦٠-٦١ ذيل الآيه عن ابن النجار.

٢- (٢) ينايع الموده للقندوزى الحنفى: ج ١ باب الرابع و العشرون فى تفسير قوله الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى.

٣- (٣) المستدرک: ج ٢ ص ٦٧١ و ٦٧٢.

و الآيات القرآنيه المقرنه أهل البيت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سيما أن العقائد الإسلاميه ليست خاصه ببعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل بعث به كافه الأنبياء والرسل.

و الميثاق الذى تحمله آدم و آمن به و نال بواسطته مقام الخلافه هو الولاية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و أهل البيت عليهم السلام، و هو شرط لنيل المقامات العظيمه عند الله تعالى كالنبوه و الرساله.

و بذلك كل ما هو داخل فى دائره الدين يكون من الميثاق الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به و نصرته و التسليم له، و من الدين ولاية أهل البيت عليه السلام بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (١)** حيث نصت روايات الفريقين على أن هذا المقطع من الآيه المباركه نزل عند تنصيب الله عز و جل أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الخلافه و الإمامه بعد رسول صلى الله عليه وآله وسلم و ذلك فى واقعه غدیر خم (٢) و بهذا تكون الإمامه و الولاية داخله فى منطلق الدين و ليست داخله فى فروع الشريعة، بل هى تتلو أصل النبوه، و الذى كمل به الدين أمر بنيوى و محورى.

و من ثم كان (الدين) عبارته عن ولايه الله و ولايه الرسول و ولايه أولى الأمر و الطاعه لهم، قال تعالى: **إِنَّمَا وَثَّقْتُكُمْ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَأِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) (٣)**.

و الولاية و الطاعه أصاله لله و بالتبع للنبي و أولى الأمر بإذن و أمر الله

ص: ١٧٧

١- (١) سورة المائده، الآيه: ٣.

٢- (٢) كتاب الغدير للإمينى: من ج ١- ج ١١/ و شرح إحقاق الحق ج ٥ الحديث الثالث و الستون، حيث تتبع الروايات فى هذا المجال.

٣- (٣) سورة المائده، الآيتان: ٥٥-٥٦.

تعالى، كما أخضع الله عزّ وجل ملائكته و من خلق من الجن و غيرهم لولى الله و خليفته آدم.

إذن الولايه و الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الدين الذى بعث به جميع الأنبياء، و هم مخاطبون بآيات الولايه و القربى و الموده عند رجوعهم للنصره، و مأمورون بطاعه أولى الأمر و الموده للقربى و التوجه بهم إلى الله تعالى.

فيعسى عليه السلام عند نزوله من السماء يعمل بالقرآن الكريم و يشمله الخطاب فى قوله تعالى: **إِنَّمَا وَكَّلْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)** و يصلى خلف ولى الله الحجه المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف و يشمله خطاب آيات الفىء و الخمس، كما فى قوله تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِدَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ (١)**.

فإن الآيه المباركه تبين أن أولياء الخمس الذين لهم حق التصرف و الولايه على ضريبه اقتصاد الدوله الإسلاميه هم الله تعالى و رسوله و ذوى القربى، بقربينه الاشتراك ب(اللام) الداله على ملكيه التصرف فى أموال الدوله الإسلاميه، و أما اليتامى و المساكين و ابن السبيل فهم موارد مصرف الخمس؛ و لذا تغير التعبير فيهم بحذف اللام.

فعلى الأنبياء نصره ولى الله و الإيمان بذات الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، لأنها من المواثيق و العهود الذى أخذه الله على أنبيائه، و تسليمهم بما أنزل إليهم مظهرا تاما من مظاهر العبوديه لله سبحانه و تعالى فعن أبى عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «و على ذلك أخذت ميثاق الخلائق و مواثيق

ص: ١٧٨

أنبيائي ورسلي، أخذت موثيقهم لى بالربوبيه، و لك يا محمد بالنبوه، و لعلى بن أبى طالب بالولايه...»(١) و هذا يعنى بأن ولايه على عليه السلام بعث بها جميع الأنبياء و الرسل.

كذلك بنفس البيان مفاد ما ورد فى قوله تعالى:

ما أفاء الله على رسوله من أهيل القرى فليله و للرسول و لىدى القرى و التامى و المساكين و ابن السبيل كنى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (٢) و الفىء هو ثروات كل الأرض، فلاقامه العدالة المالىه و الاقتصاديه على الأرض لابد أن تدار الأموال العامه التى ترجع إلى بلاد الإسلام بولايه الله و رسوله و ذوى القربى، و هم قربى الرسول الأكرم الذين جعلت مودتهم أجرا و عدلا لما جاء به النبى الأكرم من الدين الحنيف، و ذلك فى قوله تعالى: قُلْ لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى (٣).

فموده ذوى القربى أمر عظيم إذا سلم سلمت بقيه أصول الدين كما يشير إلى ذلك تقابل المعادله فى الآيه أى العدلية بين الموده و كل الدين الحنيف، و لا يوجد قربى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم بهذا الشأن الخطير سوى المعصومين من أهل بيته، فولايته عاصمه من الضلال و هى ركن ركين فى الدين الذى بعث به الأنبياء كافة.

كما تقدم فى الأبحاث السابقه بأن الولايه دين الله الذى بالتسليم به استحق الأنبياء مقام النبوه كل بحسب ما بلغه من درجه التسليم، فإن للولايه و التسليم درجات و بحسب درجه التسليم لكل نبى يعطى ذلك

ص: ١٧٩

١- (١) البحار ج ١٨:١٥ باب الأول بدء خلقه و ما جرى له فى الميثاق.

٢- (٢) سورة الحشر، الآيه: ٧.

٣- (٣) سورة الشورى، الآيه: ٢٣.

النبي مقام الحظوه عند الله تعالى و يستحق مقام النبوه، و إذا ازدادت درجه التسليم كان ذلك النبي من أولى العزم، فتفضيل الأنبياء الوارد في قوله تعالى: **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١)**، كذلك تفضيل الرسل، كما في قوله تعالى: **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ (٢)**، كل ذلك التفضيل بحسب درجه التسليم و التولى لدين الله عزّ و جل، و ذلك بعد الولاية لله تعالى بالولاية للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته، فالتسليم للنبي و أهل بيته و الإيمان بولايتهم نوع توجه قلبي إلى الله عزّ و جل بهم، و هو شرط لنيل المقامات العظيمة عند الله تعالى كالنبوه و الرساله، فضلا عن غيرها من العبادات و قبول التوبه و استدرار الأرزاق الإلهيه.

و المسؤوليات التي وضعها الله على عاتق الأنبياء هي عبارته عن اختبار من قبله سبحانه و تعالى، و هذا المقام العظيم لا يناله إلا الطاهرون و المعصومون من ذريته لكي يمنحه الله الوسام الكبير: **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٣)** من ثم لم يبعث نبي من الأنبياء إلا بعد أن آمن وسلم بالدين الذي هو ولايه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ولايه أهل بيته و من ثم كان التعبير في الآيه بالكلمات و هي التي يصدق بها كما ورد في شأن مريم **«وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا»** أي آمنت بها و أطلقت الكلمه على حجج الله تعالى من البشر كالنبي عيسى عليه السلام فلا محاله تلك الكلمات التي امتحن بها النبي إبراهيم عليه السلام من الحجج هم أفضل مقاما من إبراهيم و عيسى و هو سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم و عترته عليهم السلام و الإمامه في ذريه إبراهيم أبرزهم سيد

ص: ١٨٠

١- (١) سورة الإسراء، الآيه: ٥٥.

٢- (٢) سورة البقره، الآيه: ٢٥٣.

٣- (٣) سورة البقره، الآيه: ١٢٤.

الأنبياء ثم عترته المطهرين فأشير إليهم في الآية (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي).

قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١) فولايه الله و ولايه الرسول و أولى الأمر و التسليم لهم فيها درجات، لكل نبي يعطى ذلك المقام على قدر درجه التسليم.

قال أبو عبد الله عليه السلام «عليكم بالتسليم».

و فيه (٢) بإسناد صحيحه عنه عليه السلام قال: (إنما كلف الناس ثلاثة:

معرفة الأئمة، و التسليم لهم فيما ورد عليهم، و الرد إليهم فيما اختلفوا فيه).

فنقول بأن «التسليم» هو عبارته عن زياده الخضوع القلبي الباطني، فإذا كان كذلك تتحقق العباده الخالصة لله سبحانه و تعالى وحده من دون استكبار النفس، و بهذه المرتبه الإيمانيه تصح بها الأعمال العباديه، و تفتح بها أبواب السماء كما يشير إليه قوله تعالى: الَّذِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٣) فلا بد في الامتثال لأوامر الله من التوجه بالنبي و أهل بيته الطاهرين و التمسك بولايتهم.

التسليم زياده للنبي صلى الله عليه و آله و سلم

قد اتفقت أيضا- كلمه جمهور مذاهب المسلمين على رجحان التسليم على النبي صلى الله عليه و آله و سلم بلفظ: «السلام عليك أيها النبي و رحمه الله

ص: ١٨١

١- (١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

٢- (٢) الكافي: ج ١ ٣٩٠ باب التسليم ح ١.

٣- (٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

و بركاته»و ذلك قبل التسليم المخرج من الصلاة،أى أن التسليم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي بِهِ الْمُصَلِّي وَ لَمَّا يَخْرُجُ بَعْدَ مِنَ الصَّلَاةِ.

و مؤدى هذا التسليم من المصلى و هو فى صلاته أنه زياره من المصلى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ الْأَمَّةِ، مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُسْلِمٍ، فِى الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، بَلْ فِى كُلِّ صَلَاةٍ يَأْتِي بِهَا، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَارَةُ وَ التَّسْلِيمُ لِلنَّبِيِّ يَنْطَوِي عَلَى مَخَاطَبِهِ النَّبِيِّ ب(كاف)الخطاب، كما ينطوى على نداء النبي و مخاطبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ب(ياء)النداء القريب:«أيها».

و هذا كله من التسليم و الزياره للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ مَخَاطَبَتِهِ بِالنِّدَاءِ الْقَرِيبِ وَ الْمُصَلِّي فِى صَلَاتِهِ وَ نَجْوَاهُ لِرَبِّهِ وَ خُطَابِهِ مَعَ بَارئِهِ، فَفِي مُحَضَّرِ الْوَفَادَةِ الرَّبَّانِيَةِ وَ الضِّيَافَةِ الْإِلَهِيَةِ يَتَوَجَّهُ الْمُصَلِّي بِالْإِلْتِفَاتِ لِنَبِيِّهِ؛ إِذْ هُوَ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَكَمَا بَدَأَ صَلَاتَهُ بِالْإِقْرَارِ بِالرَّسَالَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ فِى الْأَذَانِ وَ الْإِقَامَةِ وَ تَوَجُّهُ بِهِ فِى بَدْوِ الصَّلَاةِ، عَاوَدَ وَ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ عَمُودُ الدِّينِ وَ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ إِلَى رَبِّهِ وَ نَجْوَاهُ مَعَ خَالِقِهِ يَزْدَلِفُ إِلَى رَبِّهِ بِالْوِلَايَةِ لِنَبِيِّهِ وَ التَّعْظِيمِ لَهُ وَ تَوْقِيرِهِ.

قَالَ تَعَالَى:الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

حبط الأعمال و قبولها:

و قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا

ص: ١٨٢

تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)

(١).

فهذه الآيه الشريفه تبين بأن الخضوع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والإقبال عليه والتوجه إليه وتوقيره وتعظيمه وحفظ الأدب في حضرته سبب وواسطه في قبول الأعمال، وأن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وآله وسلم والجهر له بالقول من سوء الأدب وقله الاحترام والتوقير الموجب لحبط الأعمال؛ وذلك لأن الخضوع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم له بما هو آيه كبرى من آيات الله عز وجل وشعيره من شعائره ومعلما من أعلام دينه، كما في قوله تعاليدلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٢).

وفي ذلك دلالة واضحه على عظمه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبأنه أكرم الخلق على الله سبحانه وتعالى، فهذا المقام والتقديس من البارى هدايه منه تعالى إلى بابيه الذى منه يؤتى، والصد عن هذا الباب الأعظم وعن الالتجاء إليه من صفات المنافقين قال تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٣).

الحاصل: تبين مما مر أن التصديق بالآيات و«الكلمات» والتوجه والخضوع لها عباره عن التسليم لولايتهم والانقياد والتعظيم لهم سلام الله عليهم، وقد تقدم أن الكلمات التى تلقاها آدم من نصوص الفريقين منها اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٨٣

١- (١) سورة الحجرات، الآيات: ٢-٤.

٢- (٢) سورة الحج، الآيه: ٣٢.

٣- (٣) سورة المنافقون، الآيه: ٥.

و مقتضى التعبير أن هناك أسماء أخرى توجه بها آدم ليتوب الله بها عليه، كذلك في الكلمات التي امتحن بها إبراهيم لنيل مقام الإمامه، الامتحان كان بكلمات، لا بكلمه واحده، و أن هناك جناس في لفظ (الكلمات) في قصه آدم و إبراهيم عليه السّلام و أن أبرز تلك الكلمات هي اسم النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كما في روايات الفريقين، فهناك أسماء مقرونه مع اسم النبي، و ولايتها مقرونه بولايه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

التكذيب بآيات الله تعالى موجب لحبط الأعمال:

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١) هذه الآيه المباركه تتعرض لبعض الأحكام المترتبه على التكذيب بآيات الله تعالى.

و المقصود من الآيات هي الحجج الإلهيه، حيث أطلق الله عزّ و جل لفظ الآيه على مريم و عيسى عليهما السّلام وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً (٢)، و إذا كان عيسى عليه السّلام لم ينل ما ناله إلا بولايته و إقراره و إيمانه بسيد الأنبياء فكيف بنفس النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم، فهو أعظم آيه لله تعالى؟ و إذا كان عيسى عليه السّلام من وزراء الإمام المهدي عليه السّلام و تابعا له في دولته، فكيف لا يكون أهل البيت عليه السّلام من أعظم آيات الله تعالى؟ خصوصا و أن الله تعالى قرن بالنبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم أهل بيته عليهم السّلام في الطهاره و العصمه و الحجيه و الولايه و غيرها من المقامات التي تقدم تتعرض لها آنفا، فلا شك أن

ص: ١٨٤

١- (١) سورة الأعراف، الآيه: ٤٠.

٢- (٢) سورة المؤمنون، الآيه: ٥٠.

النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمَصْدَاقُ الْبَارِزُ لِلآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِ بَيَانِهَا، فَهَمَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْضَحَ وَأَبْرَزَ وَأَعْظَمَ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَصُدُّونَ وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْهَا - كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، فَلِكِي تَفْتِاحَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْعَقَائِدِ وَجَمِيعِ الْمَقَامَاتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

إِلَيْهِ يَصِيرُ مَعْدُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ (١) وَالْكَلِمِ الطَّيِّبِ هُوَ الْعَقِيدَةُ، فَبَيَّنْتَ الْآيَةَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَقِيدَةَ لَا بَدَلَ لَهُ أَنْ يَصْعَدَ فِي مَسِيرِ قَبُولِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّعُودُ إِلَى السَّمَاءِ لَا بَدَلَ أَنْ تَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَقَدْ بَيَّنْتَ الْآيَةَ السَّابِقَةَ أَنَّ مِفْتَاحَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ هُوَ كُلُّ مَنْ التَّصَدَّقَ بِالْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْخُضُوعَ لَهَا وَاللَّجُوءَ إِلَيْهَا وَعَدَمَ الصَّدِّ عَنْهَا، وَمَنْ أَجَلَ الرَّقَى وَالْعُرُوجَ إِلَى السَّمَاءِ، لَا بَدَلَ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّجُوءَ إِلَيْهَا وَالتَّصَدِّقَ بِهَا وَعَدَمَ الصَّدِّ عَنْهَا، فَالْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ التَّوْبَةَ وَالْعِبَادَةَ وَأَيَّ قَرْبَى أَوْ زَلْفَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَفْتَقِرُ إِلَى تَفْتِاحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَأَنَّهَا لَا تَفْتَحُ أَبَدًا مَعَ الْاِسْتِكْبَارِ عَلَى الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فَلَيْسَ الْإِيمَانُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَحَسْبُ كَافٍ فِي قَبُولِ الْعِبَادَاتِ وَرَقَى الْمَقَامَاتِ، بَلْ لَا بَدَلَ مِنَ الْمُودَةِ وَالصَّلَةِ وَالْإِقْبَالِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْآيَاتِ وَالتَّوَسُّلِ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَعَدَمَ الصَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ وَالْاِسْتِكْبَارِ عَنْهَا، لِأَنَّ الْآيَةَ جَعَلَتْ شَرْطِينَ لِفَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ:

الأول: عدم التكذيب، أي التصديق والإيمان والمعرفة بآيات الله الحجج.

ص: ١٨٥

و الثاني: عدم الاستكبار عنها، وهذا الأمر يتضمن شيئين:

أحدهما: عدم الاستكبار أى الخضوع و التواضع، و ثانيتهما: عدم الصد الذى قد ضمن فى فعل الاستكبار بقريته (عن)، نظير ما ذكرته الآيات فى سبب كفر إبليس (أبى و استكبر) فالإباء هو الجحود مقابل التصديق، و الاستكبار مقابل الخضوع و الاتباع.

و نظير ذلك ما ورد فى سورة المنافقين فى قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (١).

و هذه الآيه الكريمة صريحه فى أن الاستغفار و قبول التوبه متوقف على المجيء إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و أن صفه المنافق الصد عن الآيات الإلهيه و الاستكبار عليها و الابتعاد عنها و عدم اللجوء و اللواذ إليها، و هذا نوع من التشاهد بين الآيات القرآنيه، فالآيه تدل على أن الأوبه إلى الله تعالى و القرب إليه لا بد فيه من التوجه أولاً إلى الحضرة النبويه و التوسل و الاستشفاع بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم شفاعته.

فالتوسل خيار حصرى لا بدى شرطى منحصر بالمجىء و اللجوء إلى الحضرة النبويه و اللواذ بها و الاستغاثه به صلى الله عليه و آله و سلم، ثم إبداء التوبه و الاستغفار و إمضاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم له باستغفاره و شفاعته لهم من أجل تحقق التوبه و مقام المغفره و قبول العباده التى منها عباده التوبه و نظير هذه الآيات أيضا قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢).

و من الشواهد أيضا على أن المراد من الآيات هنا هم الأنبياء

ص: ١٨٦

١- (١) سورة المنافقون، الآيه: ٥.

٢- (٢) سورة الأعراف، الآيه: ٣٦.

و الخلفاء الأوصياء الحجج هو التعبير ب(كذبوا) فإنه مقابل التصديق فيما يزعمون من مناصب و فيما لهم من دعوى، و أما الآيه الكونيه فليس فيها تكذيب أو تصديق، بل إنما يقع الغفله و الإعراض عنها؛ إذ لا يوجد فيها زعم أو دعوى معينه كى يصدق فى حقها التصديق أو التكذيب، فالتصديق أو التكذيب إنما يكون للحجج الإلهيه التى تدعى مقاما إلهيا وكذا فيما تبلغه عن الله تعالى، فالمراد بالآيه و الآيات فى المقام الحجج الإلهيه من الأنبياء و الرسل و الأصفياء و الأوصياء، الذين أسندت إليهم المقامات الإلهيه.

و الحاصل: إن هذه الآيات المباركه تبين أن مفتاح أبواب سماء الحضرة الربويه هو الإقرار بالحجج و الآيات و التوجه إليها و التوسل و التشبث بها و الانقطاع إليها لا عنها، و أبرز و أعظم تلك الآيات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام، فهم مفاتيح أبواب السماء فى قبول و صعود التوبه و العباده و المعرفه و الإيمان و العقيده و نيل المقامات، فلا ترتفع أى عباده و لا ينال مقام و لا تتحقق التوبه مع عدم التصديق بالآيات و صلتها و مودتها و التوجه إليها و التوسل بها، و الإعراض عنها يوجب حبط الأعمال و امتناع دخولهم الجنه فى الآخره كما فى قوله تعالى: **وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١)**، و يضيف تعالى للمزيد من التأكيد قائلا **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)**، فشرط النجاه يوم القيامه هو الارتباط بالآيات الإلهيه و الانتماء إليها و التوسل بها، لكونها قنوات غيبه توجب القرب إلى الله تعالى.

فالتوجه إليهم عليهم السلام شرط فى تفتح الأبواب لقبول و صحه الإيمان و التوبه و قبول الأعمال و سائر المقامات.

ص: ١٨٧

القرآن الكريم يحكى لنا فى آيات عديده كيفيه خلق آدم عليه السّلام و أمر الملائكه بالسجود له، و هذه الآيات التى تحمل معان عظيمه تختص بمقام الإمامه و الخلافه، و من المعلوم إن الأمر بسجود الملائكه و خضوعها و انقيادها ليس خاصا بآدم عليه السّلام، لأنها معادله دائمه فى عالم الخلقه لكل من يتحلى بمقام الخلافه الإلهيه، فمن يتحلى بهذا المقام يطوع الله عزّ و جل له الملائكه و يدينون بأجمعهم لله تعالى بطاعته بما فيهم كبار الملائكه المقربين، و هم فى كل ما يقومون به من أدوار عظيمه فى عالم الإمكان و الكون خاضعون لولى الله، و هو خضوع حقيقى قائم على أساس العلو الرتبى التكوينى لخليفه الله تعالى.

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) (١) حيث عبر البارى تعالى (فقعوا) و لم يكتف بذكر ماده السجود بل عبر بالوقوع الفورى، و هذا فيه نوع من التشديد و التأكيد لمعنى الخضوع و التعظيم الخاص بشؤون الخليفه.

فإذا كل خليفه لله هو الباب الأعظم لملائكته، و حيثئذ يكون الأمر بالسجود و الخضوع للخليفه شامل للأنبياء، و خصوصا أولى العزم منهم كنوح و إبراهيم و موسى و عيسى و الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم و أوصيائه عليهم السّلام، فالملائكه المقربون و غيرهم بابهم إلى الله تعالى خليفه الله الذى ينبئهم بالأسماء و المقامات.

كما عقب الباري تعالى بعد هذه الآية بقوله فَسَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ (١) على أن الأمر بالسجود كان لجميع الملائكة و لم يكتف بدلاله الجمع المحلى بأل(الملائكة) بل أردف بالتأكيد ب (أجمعون) و(كلهم) للدلاله على الاستغراق، و بذلك شامل لجبرائيل و إسرافيل و ميكائيل عليهم أفضل الصلاه و السلام الذين لهم دور فى شؤون الخلقه و الوحي النبوى.

ففى عالم الغيب الذى هو خال عن نشأه التشريع الأرضى، و ليس خال عن الدين الإلهى، كما قال تعالى: وَ لَهُ أَسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (٢)، افتقرت الملائكة إلى أن يكون بينهم و بين الله تعالى واسطه فى الخضوع و الإنباء و المعرفه و العباده و التقرب إلى الله تعالى، و هذه الواسطه هو خليفه الله آدم عليه السّلام و وليه حيث أمرهم الله التوجه إليه و الخضوع له، و هو شرط أوبتهم و قبول عبادتهم و حظوتهم بالمقامات العالیه، فما بالك بالنشآت الأخرى؟

و إذا كان أبو البشر نبي الملائكة و قناه الإنباء و الفيوضات العلميه و غيرها عليهم من الله تعالى، و هو وليهم و هم طائعون له لا يتمردون عليه و لا ينبغى لهم ذلك، فكيف بسيد البشر؟ «ألا تكون الملائكة منقاده و طائعه له؟».

و من هنا تكون الملائكة مشموله بقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٣) من غير اختصاص بالنشأه الأرضيه، و هذا لوحده الدين و شموله لجميع المخلوقات.

فالخليفه نبي الملائكة و له مقام إنبائهم و تعليمهم؛ لأنه مزود بالعلم

ص: ١٨٩

١- (١) سورة الحجر، الآية: ٣٠.

٢- (٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

٣- (٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

اللدنى الأسمائى،فهو نبى المعارف و إن لم يكن نبى شريعته للناس فى الأرض.

فإن السجود لآدم هو تعبير عن الهدايه الإيصاليه و المتابعه العمليه التى بدونها لا يحصل لهم أى كمال،و هذا الانقياد لم يكن لمجرد مخلوق بل إنما هو لمقام الخلافة الذى جعله الله تعالى لآدم فلازم مقام الخلافة عند الله هو متابعه و انقياد الملائكة و الجن(بناء على المشهور أن إبليس من الجن)و هذا هو مفاد الإمامه و هى المتابعه العمليه و العلميه و الهدايه الإرائيه و الإيصاليه،و ثبت بذلك أن شؤون الإمامه ليست للناس فقط و إنما هى تشمل الملائكة و الجن.

و بهذا نعلم بأن لآدم عليه أفضل الصلاه و السلام الولايه التكوينييه على الملائكة،و تكون شؤون الملائكة كلها تحت يده و فى تصرفه.

و النتيجة:

بأن الخلافة ليست محدوده فى الأرض و غير مقيده بهذه النشأه و إن كان المستخلف ذى بدن و سنخه أرضيا،كما أن ولايه النبى عليه أفضل الصلاه و السلام و أهل بيته الطاهرين أخذت على جميع الملائكة و سائر الكائنات،و ذلك لكونها من الديدن غير الخاص بنشأه من النشآت.

إذن فنبوّه خاتم الأنبياء و ولايه سيد الأوصياء لا تختص بالموجودات الأرضيه،و هذا يعنى أن الشهاده الثانيه و الثالثه لم تؤخذ على أهل هذه الدنيا فحسب،لأن الإنبياء و نيل الفيوضات عموما يحتاج إلى وجود خليفه الله و لا بد من التوجه إليه لنيل المقامات و قبول الطاعات فى جميع النشآت؛لأنه واسطه الله و سفيره بينه و بين خلقه فى كل المقامات العلميه و التكوينييه.

ص: ١٩٠

النشآت:

فمفاد الشهاده الثانيه و الثالثه إقرار بالواسطه الأبدية غير الخاصه بالنشأه الأرضيه، و هذه هي تداعيات و مقتضيات الشهاده الثانيه و الثالثه، التي لا يتم التوحيد بدونها، و من دونها لا يتحقق قرب المخلوق إلى ربه، ذلك المخلوق البعيد عن المقامات الربويه و عظمه الصفات الإلهيه.

و الخليفه كما ذكرنا له مقام الإخبار و التعليم، في سائر النشآت و ليس هو نبي الشريعه للناس في الأرض بل معلم إلهي للمعارف و سفير الله بينه و بين خلقه و لا يمكن الاستغناء عن هذا الوسيط الإلهي بالنشأه الأرضيه كما اعتقد قائلهم: (لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله) (١).

و فسر البعض هذا القول بأنه أراد التخفيف عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين غلبه الوجع، لكن الهدف الحقيقي وراء ذلك محو آثار و أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و برر هذا الهدف بقوله: (إني كنت أريد أن أكتب السنن، و إني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا، فأكبوا عليها و تركوا كتاب الله!! و إني و الله لا أشوب - و في روايه لا ألبس - كتاب الله بشيء) (٢) ثم قال: (أمنيه كأمنيه أهل الكتاب رأى حتى لا ينشغل الناس بالسنه عن القرآن) (٣) و هذا لعدم المعرفه بمقام النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و أهل بيته.

و ذكرنا في الأبحاث السابقه بأن مؤدى الشهاده الثانيه و مقتضياتها

ص: ١٩١

١- (١) ابن حديد في شرح النهج: ج ١١ فصل فيما وضع الشيعة و البكريه من الأحاديث / الغدير: سلسله الموضوعات في الخلافه ج ٥ ص ٣٤١.

٢- (٢) كنز العمال: باب في آداب العلماء ج ١٠ ح ٨٩٤٧٤ ص ٢٩٢ / و تدوين القرآن ص ٣٧١.

٣- (٣) تقييد العلم ص ٥٣ / الأحكام لابن حزم ج ١ ص ١٥٩.

مفقوده عند هذه الفئه تحت ذريعه أنها تدل على التوسل و التوسط و التوسل بغير الله شرط و إلحاد.

و الذين يكذبون بآيات الله تعالى و أسمائه و كلماته و يستكبرون عنها كما فعل إبليس لا تفتح لهم أبواب السماء، فلا يمكنهم أن يدعوا الله أو يتقربوا إليه، و لا يستجاب لهم دعاؤهم قال تعالى: **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً (٥٢) (١).**

فالآيات القرآنيه صريحه بأن البشر لا يمكنهم أن يتقربوا إلى البارى أو يوحى إليهم بصوره مستقله من دون الواسطه الربانيه قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ﴾ (٢) فالنبي و أهل بيته سفراء الله قبل الخلق و بعد الخلق، فالملائكه محتاجه إلى واسطه علميه بينها و بين الله و إن كانت من عالم السماوات و الغيب و الدلائل كثيره فى ذلك.

و قد نقح فى المباحث العقليه بأن الموجود الإنسانى حقيقته ليست جهته البدنيه التى يحيى بها على هذه الأرض بل إن له مدى أعمق من ذلك، و أن وراء تلك الحقيقه البدنيه الأرضيه حقيقه بعيده عن عالم البدن هى الروح التى تكون سابقه على الوجود الأرضى مخلوقه قبل خلق البدن، فلذلك نحتاج إلى ولى يتوجه به إلى الله تعالى و وسيط يخبرنا عن الله، و من يأبى ذلك يحصل له العتو و الاستكبار فى نفسه و التعظيم لها، مع أن نفسه صغيره فقيره بعيده عن ساحه عظمه الصفات الإلهيه قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَمْ نُؤْتِ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾ (٣).**

ص: ١٩٢

١- (١) سورة المدثر، الآية: ٥٢.

٢- (٢) سورة الشورى، الآية: ٥١.

٣- (٣) سورة الفرقان، الآية: ٢١.

نستفيد من آيات السجود لآدم بأن مؤدى رساله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و مقتضياتها مرتبطه بالمعارف الدينيه الأبدية الشامله للملائكه و الجن و الإنس و البرزخ و الجنة و النار و الآخره، فضلا عن النشأه الأرضيه، كذلك الوساطه و الشهاده الثانيه و الثالثه شامله لعالم العقول و الأرواح، و لذا نجد أن مجرى الفيض فى تكامل عقول علماء هذه الأمه و مستوياتها العلميه فى الدين هو النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و أهل بيته عليهم السَّلام، حيث تم بجهودهم المباركه تشييد المعارف الصحيحه و رفض الجبر و التفويض و التجسيم و التشبيه و التعطيل و غيرها من العقائد الفاسده، فهم عليهم السَّلام و سائط الفيض و سفراء الأرواح و العقول.

و هذا بيان عقلى لمعطيات الشهاده الثانيه و الشهاده الثالثه يضاف إلى البيانات السابقه المعتمده على الآيات القرآنيه المباركه.

فنشير إلى القاعده التى نحن فيها و نقول: بأن التوجه و التقرب فى المقامات الثلاثه المذكوره تعم جميع الأنبياء و الرسل و كل المخلوقات من الملائكه و غيرها.

أهل الكهف آيات للعالمين

حيث بنى على قبورهم و عندها مسجدا تقام فيه الصلاه و العباده لله تعالى.

قال تعالى: وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ

مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفَ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١).

الآيه المباركه تشير إلى قصه أصحاب الكهف الذين وصفهم الله سبحانه و تعالى فى القرآن المجيد فقال لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) لوجود آيات عديده أكثر عجبا هى موجوده فى السماوات و الأرض، و المعجز التى تتعلق بالنبي الأكرم لهى خير مثال فى ذلك.

ذكر المفسرون: أن أصحاب الكهف لما بعثوا بأحدهم إلى المدينه بورقهم لجلب الطعام عثر عليهم أهل المدينه و علموا بأمرهم جاؤوا إلى الكهف، فلما دخل الذى هو من أصحاب الكهف دعا الله تعالى مع أصحابه أن يميتهم لئلا يكونوا فتنه للناس، فأماتهم الله تعالى، و خفى على أهل المدينه مدخل الكهف، فلم يهتدوا إليه (٢).

حيث دلت الروايات بأنه كان لهم فى ذلك الزمان ملك يقال له:

دقيانوس، يعبد الأصنام فبلغه عن الفتية خلافهم إياه فى دينه، فطلبهم فهربوا منه حتى انتهوا إلى الكهف (٣) فأرقدتهم قرونا ثم ابتعثهم من رقدتهم بعدما رفع المسيح، فى فتره بينه و بين النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، حيث تعرض المسيحيون فى زمانه إلى تعذيب شديد.

و قد أيقظهم الله عزّ و جل بعد هذه الإنامه الطويله لكى يرسخ البارى عقيدته المعاد فى قلوب المؤمنين التى تقوم على أساس عوده الناس إلى الحياه مره أخرى عند البعث.

ص: ١٩٤

١- (١) سورة الكهف، الآيه: ١٩.

٢- (٢) لاحظ البيان الشيخ الطوسى: فهرس المواضيع سورة الكهف ج ٧ ص ٢٦/جامع البيان الطبرى: سيقولون ثلاثه رابعهم كلبهم ج ١٥ ص ٢٨١.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ذكر الخبر عن أصحاب الكهف ج ١ ص ٣٧٣.

قال الأندلسي في تفسيره لهذه الآية:

«و كما أنمناهم تلك النومه، كذلك بعثناهم: إذ كارا بقدرته على الإماتة و البعث جميعا، ليسأل بعضهم بعضا و يتعرفوا حالهم و ما صنع الله بهم، فيعتبروا و يستدلوا على عظم قدره الله، و يزدادوا يقينا و يشكروا ما أنعم الله به عليهم و كرموا به» (١).

فالذى انتدب منهم ليحضر الطعام الحلال هو رئيسهم تمليخا المخول بهذا الأمر، و هو أحد وزراء (دقيانوس) الذى أنكر عبادة الأصنام و أزال الشك عن قلوب الفتيه و ألبسهم ثوب التوحيد و أعلن للناس جهرا عبادته لله الواحد القهار ليعلنها ثوره باعتزالهم و رفضهم دين الشرك و الظلم و الحصول على محيط أكثر استعداد لغرس التوحيد حيث اختار الله لهم حياه أخرى و مكان آخر قال تعالى: وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومٌ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (٢).

و بعد أن استيقظوا من نومهم توهم لهم أنهم باتوا ليله واحده أو بعض يوم و أحسوا بالجوع و العطش قال تعالى: فَلْيَنْظُرُوا أَيْهَا أَرْكَى طَعَامًا قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَحَلَّ ذَبِيحَهُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ بَلَدِهِمْ كَانُوا يَذْبَحُونَ عَلَى اسْمِ الصَّنَمِ، وَ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَخْفُونَ إِيمَانَهُمْ (٣) و طلبهم لطيب الطعام دلالة على اهتمامهم بمأكلهم و مشربهم و التجنب عن النجاسات المعنويه فضلا عن النجاسات و القذرات الظاهرية التى نحرض اليوم على تجنبها،

ص: ١٩٥

١- (١) تفسير البحر المحيط للأندلسي: ج ٦ ص ١٠٦.

٢- (٢) سورة الكهف، الآية: ١٦.

٣- (٣) تفسير القرطبي: ج ١٠ ص ٣٧٥ قوله تعالى و كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم.

فإن الأكل المشبوه و الحرام له تأثير عظيم على صفاء النفس و الإقبال على البارى تعالى و استجابته الدعاء، فبعد دخولهم فى مرحله أخرى و صفحات أخرى تتعلق بعوالم نورانيه لابد من تهيئه المقدمات الكثيره تؤهلهم لهذا المقام و المنزله العظيمة.

البعث و المعاد الجسمانى:

ذكر الطبرى فى تاريخه: (بأن أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فنفردوا بدينهم، و اعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سمخانهم. فلبثوا دهرا طويلا، حتى هلكت أمتهم، و جاءت أمه مسلمه، و كان ملكهم مسلما، و اختلفوا فى الروح و الجسد، فقال قائل: تبعث الروح و الجسد جميعا، و قال قائل: تبعث الروح، و أما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئا، فشق على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المسوح، و جلس على الرماد، ثم دعا الله عزّ و جل، فقال: يا رب، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم ما يبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف) (١).

قال تعالى: وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَمُوا أَنْ وَعِيدَ اللَّهُ حَقًّا وَ أَنْ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢) لا شك بأن هذه الحادئه كانت آيه من آيات الله سبحانه و تعالى، التى بينت لهم بأن البعث بعد الموت يوم القيامة حق لا ريب فيه و أن الله يبعث من فى القبور و يحيى العظام و هى رميم كما حصل مع عزيز الذى أحياه الله بعد

ص: ١٩٦

١- (١) ذكر الخبر عن أصحاب الكهف: ص ٤٥٧ ج ١.

٢- (٢) سورة الكهف، الآية: ٢١.

مائة عام قال تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١).

و روى أن ابن الكوا قال لعلى عليه السلام: (يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم أولئك ولد عزير حيث مر على قرية خربه، و قد جاء من ضيعه له تحته حمار و معه شنه (٢) فيها تين (٣) و كوز فيه عصير فمر على قرية خربه فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام فتولد ولده و تناسلوا ثم بعث الله إليه فأحياه فى المولد الذى أماته فيه فأولئك ولده أكبر من أبيهم (٤) و قولها أنى يحيى هذه الله بعد موتها لم يكن هذا القول منه إنكارا للبعث، لكن أحب أن يرى كيف يحيى الله الموتى فيزداد بصيره فى إيمانه، فنام على تلك الحالة.

فما ذكر فى آيه الكهف فى البعث بعد الممات يأتى هنا لتعريف المنكرين قدره الله عزّ و جل على إحياء خلقه بعد مماتهم، و إعادتهم بعد فنائهم، و أنه بيده الحياه و الموت و إنه على كل قدير.

ص: ١٩٧

١- (١) سورة البقره، الآية: ٢٥٩.

٢- (٢) الشنه: القرية الخلق.

٣- (٣) و فى نسختى البحار و البرهان «قتر» و هو مصحف.

٤- (٤) تفسير العياشى: قوله تعالى إذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى ج ١ ص ١٤١/البحار: قصص أرميا و دانيال و عزير و بخت ج ١٤ ص ٣٧٤.

قد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عام و تسعه ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجّتهم و ليريهم قدرته و ليعلموا أن البعث حقّ إذ يَنَازِعُونَ أعثرنا عليهم حين يتنازعون بئبئهم أمرهم دينهم و كان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة و بعضهم يقول تبعثان معا ليرتفع الخلاف و يتبين أنهما تبعثان معا(١).

فهذا الاطلاع و العثور لم يزد على سويغات ليستعلم الناس حالهم و استخبارهم عن قصتهم و إخبارهم بها، فتبين للقوم الحقيقة الثابتة لدى المؤمنين الذين يؤمنون ببعث الروح و الجسد معا في يوم القيامة فيثيب المطيعين و يعذب العاصين، فالمعاد الجسماني هو إعادته كيان الإنسان في يوم البعث ببدنه بعد الخراب، و إرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميما.

و الظاهر بأن الشكوك التي تثار في المعاد الجسماني تعود إلى قصور الإنسان عن إدراك هذه الأمور الغائبة و الخارجة عن محيط وجودنا لأنها تتعلق بالخلق النوراني اللطيف و ذلك فوق مستوانا الأرضي الكثيف قال تعالى: أَلَلَّنَّ نَجْمَعِ عِظَامَهُ (٣) بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٤) (٢) لا شك بأن المشككين و المنكرين لهذه العقيدة لن يؤمنوا بهذه الحقيقة الثابتة حتى بعد أن ظهر لهم هذه الآيات العظيمة في أهل الكهف و هذا ما عليه هذه الشذمه الضالة في زماننا.

ص: ١٩٨

١- (١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٨٨ فيما احتج الصادق عليه السلام على الزنديق و بيان مذهب التناسخ.

٢- (٢) سورة القيامة، الآيتان: ٣-٤.

وقد حكى ابن كثير عن ابن جرير فى المتنازعين و القائلين ذلك قولين: أحدهما إنهم المسلمون منهم. و الثانى: أهل الشرك منهم (١).

قال ابن عباس: تنازعوا فى البنيان و المسجد، قال المسلمون:

نبى عليهم مسجدا، لأنهم على ديننا و قال المشركون: نبى عليهم بنيانا؛ لأنهم من أهل سنتنا (٢).

تنبه الشوكانى (٣) إلى روايه عنهم عليهم السلام التى تلفت إلى عنوان المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، و قيل هم أهل السلطان و الملك من القوم المذكورين فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم، و الأول أولى.

و الظاهر بأن المتنازعين اتفقوا على تكريم الفتيه الذين هجروا أوطانهم لنشر عقيدته التوحيد فى البلاد و نبذ الوثنيه، غايه الأمر اختلفوا فى كيفية تكريمهم، فالذى قال بالبناء لجدار أراد طمس حقيقه البعث و المعاد كى يسلبوا أنصار المعاد هذا الدليل القاطع، و أن تغلق فتحه الغار لكى يكون الكهف خافيا إلى الأبد، و تدرس معالم هذه الآثار فقالوا ابثوا عليهم بُنيانا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ أى اتركوهم على حالهم ينقطع عنهم الناس فلم يظهر لنا من أمرهم شىء و اتركوا الحديث فى قصتهم، و هذا الفكر يتناسب مع قول الذين لا يؤمنون بعقيدته البعث.

و نقول: بأن الآيه فى سياق المدح و لم تأت بدم عملهم و فعلهم، مما يشير إلى أنه من سنن الملة الإبراهيميه اتخاذ مسجد على قبور الصالحين، لذلك لم يصف القرآن الكريم ما فعلوه بأنه عباده وثن، و لا

ص: ١٩٩

١- (١) تفسير ابن كثير: ج ٣ باب قصه أصحاب الكهف ص ٨٢.

٢- (٢) تفسير الثعلبى: ج ٦ ص ١٦٢.

٣- (٣) فتح القدير للشوكانى: ج ٣ باب قصه أهل الكهف و هى من بدائع القرآن ص ٢٧٧.

سيما بأنه لو كان في شرع الله حرمه بناء المسجد على قبور الصالحين لأنه عين الوثنيه كما تدعى هذه الشرذمه لنادى القرآن الكريم بأن هذا نقض للغرض، لا سيما بأن الغرض من هذه الحادته زياده في الهدايه للتوحيد بالله عزّ و جل لا للوثنيه، وإلا كان فعل الله عزّ و جل خلافا للمطلوب و العياذ بالله على مدعى هذه الفئه.

و الروايات الوارده في تحريم القبور(١) لا- يمكن الاغترار بظاهرها بل الواجب هو التدبر في حقيقه المراد منها و إن النهى لكون أصحاب القبور هم المشركون و المقابر في أول عهد الإسلام كانت قبورا للمشركين من ذوى أرحام المسلمين، و الذين يستدلون بتلك الأحاديث غرضهم هدم شعيره الزياره و التقرب إلى الله تعالى، لأنها مخالفه للأحاديث الوارده و السنه الشريفه عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم من قوله (ما بين قبري و منبري روضه من رياض الجنه)(٢) و كذلك عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم (من زار قبري و جبت له شفاعتي) أو (حلت له شفاعتي) و قوله (من زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي)(٣) و كذلك في زياره قبر أمه فبكي و أبكي من حوله و قال:

استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن و استأذنت ربي أن أزورها فأذن لي (مع أنها غير مؤمنه كما يزعمون) و سوف نستدل لهذه الروايات في قول أدله وجوب عماره قبر النبي و أهل بيته.

و بذلك يظهر أن ما ذكره القرآن الكريم من ضمن المعالم و المآثر

ص: ٢٠٠

١- (١) كروايه التي تقول: «لعن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اليهود و اتخذهم القبور مساجد بعد قتلهم للأنبياء الصالحين».

٢- (٢) من لا- يحضره الفقيه الصدوق: إتيان المنبر ج ٢ ص ٥٦٨، مسند أحمد: مسند أبي سعيد الخدرى ج ٣ ص ٦٤، صحيح البخارى: باب فضل الصلاه في مسجد مكه و المدينه ج ٢ ص ٥٧.

٣- (٣) نيل الأوطار للشوكاني: باب فائده في حكم زياره قبر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم ج ٥ ص ١٧٩.

المشيده لأصحاب الكهف أنهم بنى عليهم مسجداً، وأصبحوا علما و رمزا، وأن بناء المساجد على القبور إشاده لصالح الصالحين، وإشاده فى الآيات التى صنعها الله فى أصحاب الكهف.

فالذين قالوا: إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا أَرَادُوا إطفاء هذا المعلم و هدم تلك الآيه التى أعطاه الله لهؤلاء الفتيه، و إلا البناء عليها إبقاء لتلك الآيه و إبقاء لنور الله عزّ و جل، كما أن البناء على قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم تخليد للدين و شريعته سيد المرسلين.

كما أن المقرر شرعا ليس فقط قبر النبى و أهل بيته صلوات الله عليه أجمعين بل بيان بأنها ركن من معالم الدين، و أن طمس تلك المعلم طمس للعقيده قال الله تعالى: **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَمًّا (١)** فيبقى هذا المقام خالدا من قبل الله عزّ و جل لدى كل أتباع الديانات السماويه، و اتخاذه مصلى يتقرب به إلى الله سبحانه.

و أن عماره قبر النبى و أهل بيته بالبناء و الزياره هى شعائر يتقرب بها إلى الله و بأنها ركن من معالم الدين و هذا بنفسه اعتقاد بنوه خاتم الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه و آله و سلم.

تعظيم النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأنه من الشرك:

فى هذا البحث نستعرض نفاثاتهم المسمومه التى ينادون بها باسم التوحيد، كقولهم بأن تعظيم النبى الأكرم من الشرك فى حين أن القرآن الكريم عظم خاتم الأنبياء و المرسلين فى سور عديده، فإن تعظيم النبى الأكرم من تعظيم الله عزّ و جل كما أن تعظيم خلقه الله تعظيم لله إذ هى بيان لكون الخالق لهذه الخلقه عظيم خلق الخلق على نظم عظيم وصفه

ص: ٢٠١

عظيمه، و تصغير خلقه الله هو تهوين و تصغير لعظمه الله قال تعالى في تعظيم الله له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١).

و قد ذكر صاحب البيان فيما يتعلق بتعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بأنه التعظيم الذى ليس يقاربه تعظيم و لا يدانيه، فقال: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ معناه إن الله يصلى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و يثنى عليه بالثناء الجميل و يبجله بأعظم التبجيل و ملائكته يصلون عليه و يثنون عليه بأحسن الثناء و يدعون له بأزكى الدعاء.

و جاء عن أبى حمزه الثمالى حدثنى السدى و حميد بن سعد الأنصارى و بريد بن أبى زياد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد، و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد» (٢) و قد أجمع على هذا التفسير علماء الأئمة قاطبه بلا استثناء.

لكن هذه الفئة استكبروا على ذلك و لم يسترشدوا بأهل البيت عليهم السلام و أخذوا بآرائهم الفاسده القاصره و قد قال تعالى: وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) (٣).

ص: ٢٠٢

١- (١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢- (٢) بحار الأنوار للمجلسى باب العشره معه و تفخيمه ج ١٧ ص ١٩/مسند أحمد بن حنبل ج ١ باب مسند أبى محمد طلحه بن عبيد الله رضى الله عنه ص ١٦٢/سنن النسائى ج ٣ ص ٤٨ باب كيفية الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ/المعجم الطبرانى ج ١٩ ص ١٢٣.

٣- (٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٦.

و هذه التعبيرات الواردة هي موجوده حتى فى بعض شاذ من وسطنا الداخلى، حيث يعتقدون بأن الانشداد بشده إلى أولياء الله هي صنميه و العياذ بالله، و الحال بأن الانشداد إليهم انشداد إلى آيات الله العظمى و هم الطريق إلى الله.

و هذه الدعوه مغلفه بهذه التعبير الشيطانيه هي الدعوه إلى الصده عنهم، و الإهانه لآيات الله هو نوع من الاستهانه و الهتك لنفس حرمه الذات الإلهيه.

و القرآن الكريم يذكر لنا فى سورة الأ-حزاب مقامات عظيمه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم هي فوق إدراك البشر قال تعالى: *يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا- تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) (١) فإن رفع الصوت على صوت النبي صلى الله عليه و آله و سلم موجب لحبط الأعمال على وجه الاستخفاف به صلى الله عليه و آله و سلم، لأن الخضوع للنبي صلى الله عليه و آله و سلم تعظيم له بما هو آيه كبرى من آيات الله عزّ و جل و شعيره من شعائره و معلما من اعلام دينه، قال تعالى: ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٢) و أما الذين لا يخضعون للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و لا يحافظون على التزام الآداب فى ساحه الحضرة النبويه، برفعهم الأصوات فوق صوته، و التعامل معه كأحدهم، فقد توعدهم الله تعالى بحبط أعمالهم؛ لأن ذلك يوجب الإعراض عن الآيات الإلهيه.

و فى عمده القارى: عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن

ص: ٢٠٣

١- (١) سورة الحجرات، الآيتان: ١-٢.

٢- (٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.

نبينا نكن أسعد الناس، وإن يكن ملكا نعش في جنبه، فجاؤوا إلى حجره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤).

(فهى نزلت على قوم من بنى تيم لما قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهم من أعراب أجلاف الذين لا يراعون الأدب و الحشمة، فاجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد إخرج إلينا و قد تأذى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من هذا الأمر).

و أما ما يتعلق بالآيه الأولى من هذه السوره* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) فقال القرطبي فى تفسيره: أى لا تقدموا قولاً و لا فعلاً بين يدي الله و قول رسوله و فعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين و الدنيا. و من قديم قوله أو فعله على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد قدمه على الله تعالى؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما يأمر عن أمر الله عزّ و جل ٣.

و من جملة الروايات التى ذكرها عن الواحدى من حديث ابن جريح قال: حدّثنى ابن أبى مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره: أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد. و قال عمر: أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا - خلافى. و قال عمر: ما أردت خلافك. فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل فى ذلك: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ - إلى

قوله -وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ. رواه البخارى عن الحسن بن محمد بن الصباح؛ ذكره المهدوى أيضا(١).

وقد ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث بلفظ آخر عن ابن مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا(٢) والمقصود بهما(أبو بكر و عمر) حتى ارتفعت أصواتهما عند محضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذا ما جاء فى سنن الترمذى: قال حدثنا محمد بن مثنى أخبرنا مؤمل بن إسماعيل أخبرنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى قال حدثنا ابن أبى مليكة قال «حدثنى عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه، فقال عمر: لا- تستعمله يا رسول الله، فتكلمما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى. فقال عمر: ما أردت خلافك. قال فنزلت هذه الآية الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (٣) قال: و كان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه(٤).

ذكر المؤرخون فى صلح الحديبيه عندما بعثت قريش عروه بن مسعود الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه؛ لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق

ص: ٢٠٥

-
- ١- (١) تفسير القرطبى: ج ١٦ ص ٣٠٠/ تفسير ابن كثير: تفسير سورة الحجرات ج ٤ ص ٢٢٠/ تفسير الثعالبى ج ٩ ص ٧٠.
 - ٢- (٢) مسند أحمد بن حنبل: حديث قيس أبى عرزه ج ٤ ص ٦.
 - ٣- (٣) سورة الحجرات، الآية: ٢.
 - ٤- (٤) سنن الترمذى: ج ٥ ص ٦٣.

بصافاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه؛ ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم (١) وهذا ما كان عليه المؤمنون والحواريون من أصحابه في تعظيم النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء في صحيح ابن حبان بلفظ آخر في باب استحباب استعمال الإمام المهاده: (أن عروه جعل يرمق أصحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعينه فوالله ما يتنخم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نخامه إلا - وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم انقادوا لأمره وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له) (٢).

ومن هنا يفهم بأن رفع الصوت فوق صوت النبي موجب لحبط الأعمال بما فيه العقيدة، وأن تعظيم النبي من تعظيم آيات عز وجل قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣).

ومن هنا نقول: بأن الطلب والنداء إنما يكون عباده للمدعو إذا اعتقد الداعي أن المدعو مستقل بالقدره غنى بالذات، وأما إذا اعتقد الداعي أن المدعو لا مستقل بالقدره، بل يستمد القدره من البارئ تعالى

ص: ٢٠٦

١- (١) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٠٢ باب قريش تبعث عروه بن مسعود الثقفي.

٢- (٢) صحيح ابن حبان: استحباب استعمال الإمام المهاده بينه وبين الأعداء ج ١١ ص ٢٢٠.

٣- (٣) سورة الحجرات، الآية: ٣.

و أن الحول و القدره التى لديه هى من البارى تعالى و أن المدعو إنما حصل عليها لمكان حظوته و قربه عند البارى و أن الداعى إنما يدعوه نظرا لقربه و وجاهته من البارى و أن تكريم الله له بالقرب و الوجاهه حفاوه منه تعالى و إذن منه للاستشفاع و التوسل و التوجه به إليه عزّ و جل، فإن دعاء ذلك الغير يعد حينئذ توجها و قصدا إلى الحضرة الإلهيه، لأن قصد القريب من الحضرة الإلهيه قصد للحضرة، كما أن الصد و الإعراض عن القريب ابتعاد عن الحضرة الإلهيه، فدعاء ذلك الغير هو دعاء لله بآياته العظيمة و دعاء له بأسمائه الحسنى التى يظهر بها.

ولم يدع أحد بأن ذلك يوجب كفرا و شركا إلا هذه الفئة حيث يدعون بأن الطلب و الاستغاثه بالميت فضلا عن الحى شرك بالله عزّ و جل يجب قتله و هو مهدور الدم.

الحاصل: «بأن الله عزّ و جل بكل شىء محيط و قيوم على كل شىء، و هو المالك لما ملكهم و القادر لما عليه أقدرهم، بل إن التملك بعينه مخلوق من المخلوقات و المعطى و العطيه كلها قائمه بالله تعالى حدوثا و بقاء، فكيف يستقل المخلوق فى فعله و هو محتاج فى ذاته و مفتقر إلى قيوميه البارى تعالى؟».

و نقول بأن الصفات الفعلية تنم و تدل على الصفات الذاتيه، و من يخفق فى فهم الصفات الفعلية يخفق فى الصفات الذاتيه لله عزّ و جل، و لن تعرف عظمه هذه الصفات إلا- إذا عرفت عظمت الخلقه فى المخلوقات، فإن نفس المخلوقات العظيمة هى بنفسها عينات للصفات الفعلية الإلهيه و بالتالى عظمه المخلوق داله على عظمه الصفه الذاتيه التى هى غيب الغيوب.

فالنظر فى هذا المنهج إلى الآيات الإلهية الفعلية من حيث هى مخلوقه للبارى تعالى و مرتبطه به و مفتقره إليه و داله عليه، و أكرم المخلوقات و أعظم الآيات هو النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام؛ إذ حباهم الله عز و جل بالكرامات و المقامات التكوينية.

و بالتالى زياره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته من أعظم أبواب العبادات و القربات إلى الله تعالى التى هى مشاعر إلهيه و الأعراض عن الآيات الإلهيه و ترك و جحد هذه الشعائر موجب لحبط الأعمال و الخسران فى الدنيا و الآخرة، و الولاية بحد ذاتها لا تكفى، فلا بد من ضم شرط آخر لكى تقبل الأعمال و هو التوجه بهم و الإقبال عليهم بزيارتهم و الانشداد إليهم.

الفتاوى الشيطانية فى هدم القبه النبويه:

قال الله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١).

كما قال تعالى فى القلوب المريضة: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٢) التى هى من صفات من يشاقق الله و رسوله، المتبعين لأئمة الضلال المنحرفين حينما يتجرؤون بصريح القول فى فتاؤهم بهدم قبه النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم باسم التوحيد، و هذا من نفثاتهم السامه على الإسلام و المسلمين و للصد عن هذه الشعائر المقدسه التى يوجب تخليد ذكرها تخليد الدين و معالم التوحيد، التى

ص: ٢٠٨

١- (١) سورة البقره، الآية: ٧٤.

٢- (٢) سورة البقره، الآية: ١٠.

شيدها المسلمون بسيرتهم المباركه يقول الألبانى فى كتابه (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد):

(و مما يؤسف له أن هذا البناء قد بنى عليه منذ قرون-إن لم يكن قد أزيل-تلك القبه الخضراء العالیه، و أحيط القبر الشريف بالنوافذ النحاسیه و الزخارف و السجف، و غير ذلك مما لا یرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، بل قد رأیت حين زرت المسجد النبوی الکریم و تشرفت بالسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ سنة ١٣٦٨ هـ رأیت فى أسفل حائط القبر الشمالى محرابا صغيرا و وراءه سده مرتفعه عن أرض المسجد قليلا، إشاره إلى أن هذا المكان خاص للصلاه وراء القبر، فعجبت حينئذ كيف ظلت هذه الظاهره الوثنيه قائمه فى عهد دوله التوحيد!) (١)، حيث يدعى بأن هذه الأفعال من الوثنيه، خلافا لأحاديث النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أن ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه أى يتعبد و يتقرب فيها إلى الله تعالى و فى زياره المشاهد المشرفه التى هى محلا للعباده و نيل القربان و المقامات عند الله تعالى.

و قد أفتى بعضهم: (يجب هدم المشاهد التى بنيت على القبور، و لا- يجوز إبقاؤها بعد القدره على هدمها و إبطالها يوما واحدا) (٢).

و منهم من ختم الله على قلبه و على سمعه و على بصره حيث أعلن على النبى الأكرم الحرب و العدواه و البغضاء حيث يقول:
و إنى أقول إن الناس من ستمائه سنه ليسوا على شىء و إنى أدعى الاجتهاد، و إنى خارج عن التقليد و إنى أقول إن اختلاف العلماء نقمه، و إنى أكفر من توسل بالصالحين، و إنى أكفر البوصيرى لقوله يا أكرم

ص: ٢٠٩

١- (١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألبانى ص ٢٨.

٢- (٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد: لابن القيم، ص ٦٦١.

الخلق، و إنى أقول لو أقدر على هدم قبه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم لهدمتها، و لو أقدر على الكعبه لأخذت ميزابها و جعلت لها ميزابا من خشب، و إنى أحرم زياره قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم و إنى أنكر زياره قبر الوالدين و غيرهما(١).

هذه القلوب القاسيه الميته المتبعون للهوى و موالون للشيطان و حزبه قال تعالى: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(٢).

قال الحافظ تقي الدين السبكي: (و لم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع فى كل شؤونهم و يرشدونهم إلى السنه فى الزياره و غيرها إذا صدرت منهم بدعه فى شىء، و لم يعدوهم فى يوم من الأيام مشركين بسبب الزياره أو التوسل، كيف و قد أنقذهم الله من شرك و أدخل فى قلوبهم الإيمان، و أول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيله هو ابن تيميه و جرى خلفه من أراد استباحه أموال المسلمين و دمائهم لحاجه فى النفس(٣).

الحاصل: فالإسلام يدعو إلى التوجه بالنبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم فى الإيمان و الاعتقاد و هو أفضل عبادته، فضلا عن بقيه العبادات الأخرى، و الإيذاء عن التوجه فى العباده بخاتم الأنبياء إنكار للشهاده الثانيه، و دعوه إلى الشرك باسم التوحيد، و هذا ما أخفق فيه السلفيون، حين جحدوا التوسل بالنبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم، فلا تراهم يقرنون لون الشهاده الثانيه و مؤداها و معطياتها بلون

ص: ٢١٠

١- (١) المجلد ٦ الرسائل الشخصيه للشيخ محمد بن عبد الوهاب(عقيدته الشيخ و بيان حقيقه دعوته ورد ما ألتق به من التهم)الرساله الأولى:رساله الشيخ إلى أهل القصيم لما سأله عن عقيدته ص ٧.

٢- (٢) سورة الجاثيه، الآية: ٢٣.

٣- (٣) السيف الصقيل: ص ١٧٩.

الشهادة الأولى فى رسم بناء التوحيد فى أدبيات كتبهم، فيقتصرون على تفسير الشهادة الأولى فى التوحيد، من دون أن يهتدوا إلى كيفية ركنيه مؤدى الشهادة الثانية فى أركان التوحيد، و كيفية ضروره الربط و الارتباط بين مؤدى كل من الشهادتين فى رسم أصل التوحيد، و منه يظهر أن التوسل و التوجه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم ضروره و ليس مجرد خيار مشروعيه.

ص: ٢١١

الفصل الثالث وجوب عماره قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الدليل الثاني: البيانات النبويه

ص: ٢١٣

الفصل الثالث: فى أدله القول بوجوب عماره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

إشاره

بعد استعراضنا للدليل الأول فى الفصل الثانى من بيانات قرآنيه، ها نحن نستعرض هنا بيانات نبويه فنقول:

البيان الأول: بأنه أوصى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليا أن يدفن فى بيته الذى قبض فيه، وقد قبض النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى الغرفه الشريفه التى كانت مشتركه بينه وبين فاطمه عليها السلام وهى الغرفه التى نزل فيها هو وابنته أول ما هاجر إلى المدينه المنوره و التى ضمتها عائشه بعد ذلك إلى غرفتها بعد وفاته و وفاه ابنته صلى الله عليه وآله وسلم و أزالته الجدار الذى كان بينها وبين غرفتها.

فإن أمره صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام بالدفن فى الغرفه الشريفه هو بناء حول القبر الشريف و أنه أدل دليل على تشعيره صلى الله عليه وآله وسلم لقبره كمعلم للدين الحنيف.

و هذا أمر قطعى بضروره الدين لا يجحده إلا المكابر و العاتى المتبع للأهواء و البدع إذ جعل مثوى بدنه الشريف منذ اللحظه الأولى لدفنه و قبره فى غرفه خاصه به و بناء جدران الغرفه الشريفه كهيئه أضلاع الضريح المبنى على قبور أهل بيته عليهم السلام و من ذلك يعلم أن عماره قبره

و أهل بيته سنه قطعيه فى الدين لا تجحد إلا بغرض طمس هذا المعلم و محاربه الركن الثانى فى الدين و هو الشهاده الثانيه.

سيره المسلمين فى قبور الانبياء:

وكذا سيره المسلمين اتجاه قبور الأنبياء فى الشام و منها قبر النبى إبراهيم الخليل عليه السلام فإن سيرتهم عندما فتحوا الشام إلى يومنا هذا قائمه على تشييدها و المحافظه عليها، و منها قبر إسماعيل عليهم السلام فى بيت الله الحرام فى الحجر و كذا قبر أمه هاجر مع أن الذى دفن فى الحجر هو إسماعيل و هو الذى بنى الحجر صونا لقبرها عن المشى عليه من قبل الطائفين.

و الذى تشير إليه جملة من الروايات لدى الفريقين تدل على هذا المضمون و هى كالتالى:

١- ما رواه الكافى: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حسين بن سعيد، عن فضاله بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال:

(سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شىء من البيت؟ فقال: لا و لا قلامه ظفر و لكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ فحجر عليه حجرا و فيه قبور أنبياء) (١).

٢- و روى: (أن إبراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه أمره الله - عزّ و جل - بالانصراف، فانصرف، و ماتت أم إسماعيل، فدفنها فى الحجر، و حجر عليه لئلا يوطأ قبرها) (٢).

ص: ٢١٤

١- (١) الكافى ج ٤/ كتاب الحج: باب حج إبراهيم و إسماعيل و بنائهما.

٢- (٢) الفقيه ج ٢ ص ١٤٩.

٣-و بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل) (١).

بل قد ورد بأن هناك سبعين نبيا مدفونين حول الكعبة والتي تشير إلى هذه الشعيرة و السيره القائمه لدى المسلمين فمنها:

٤-عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد شباب الصيرفي عن معاوية بن عمار الدهني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(دفن ما بين الركن اليماني و الحجر الأسود سبعون نبيا، أماتهم الله جوعا و ضرا) (٢).

٥-و روى الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: (صلى في مسجد الخيف سبعمائة نبى و إن ما بين الركن لمشحون من قبور الأنبياء و إن آدم لفي حرم الله عز و جل) (٣).

٦-كما روى القرطبي في تفسيره قال ابن عباس: (في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل و قبر شعيب عليهما السلام، فقبر إسماعيل في الحجر، و قبر شعيب مقابل الحجر الأسود. و قال عبد الله بن ضميره السلولى: ما بين الركن و المقام إلى زمزم قبور تسعه و تسعين نبيا جاؤوا حجاجا فقبروا هنالك، صلوات الله عليهم أجمعين) (٤).

ص: ٢١٧

١- (١) الكافي ج ٤/ كتاب الحج: باب حج إبراهيم و إسماعيل و بنائهما.

٢- (٢) الكافي ج ٤: كتاب الحج/باب حج الأنبياء عليهم السلام.

٣- (٣) الكافي ج ٤/٢١٤.

٤- (٤) تفسير القرطبي ج ٢/تفسير قوله تعالى: ربنا و اجعلنا مسلمين لك.

٧- وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال: (و أول من طاف بالبيت الملائكة و إن ما بين الحجر إلى الركن اليمانى لقبور من قبور الأنبياء و كان النبى إذا آذاه قومه خرج هو من بين أظهرهم فعبد الله فيها حتى يموت) (١).

٨- و روى الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: (و أول من طاف بالبيت الملائكة و أن بين الحجر إلى الركن اليمانى لقبور من قبور الأنبياء كان النبى إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت) (٢).

شعيريه قبور الأنبياء فى المسجد الحرام

و هذه السنه من الأنبياء فى دفنهم عند بيت الله الحرام دليل صريح على رجحان و شعيريه التعبد عند قبور الأنبياء و على رجحان الطواف بها و الإتيان بمختلف العبادات عندها، و منها قبر ذى كفل فى العراق و دانيال فى شوشتر و الذى دفن فى عهد الخليفه الثانى بإشاره من أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و منها قبر عزيز فى العماره جنوب العراق، و كذا قبر زكريا فى حلب و يحيى فى الشام و شعيب فى الأردن و شيث فى لبنان و غيرها من قبور الأنبياء عليهم أفضل الصلاه و السلام المشيده فى العراق و الشام و فلسطين.

حفظ قبور الأنبياء عن الاندراى بعمارتها:

و بعبارة أخرى أن حفظ هذه القبور عن الاندراى و الضياع

ص: ٢١٨

١- (١) المعجم الكبير الطبرانى ج ١١/باب سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٢- (٢) مجمع الزوائد ج ١/باب سبب النهى عن كثره السؤال.

و الطمس لا يمكن إلا بتعهدها المستمر بالزيارة و العمران و هذا ما يعهد من أسلوب عمارتها و هو الملاحظ من تدوين الآثار في الكتب المؤلفة قرنا بعد قرن من مؤلفات علماء المسلمين.

الروضه عند قبره صَلَّى الله عليه و آله و سلم مشعر عند المسلمين:

البيان الثاني: و هو قول النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأسانيد مستفيضه (ما بين قبري و منبري روضه من رياض الجنة) و في لفظ آخر (ما بين بيتي و منبري روضه من رياض الجنة و منبري على حوضي) (١).

و لفظ آخر في مسند أحمد (قال ما بين هذه البيوت (يعنى بيوته) إلى منبري روضه من رياض الجنة و المنبر على ترعه من ترع الجنة) (٢).

كما روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور: و أخرج البيهقي عن محمد بن المكندر: قال رأيت جابرا و هو يبكي عند قبر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و هو يقول هاهنا تسكب العبرات سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم يقول: (ما بين قبري و منبري روضه من رياض الجنة) (٣).

و قد روى هذا الحديث المتواتر من الرواه منهم أمير المؤمنين على عليه السلام و جابر الأنصاري و عائشه و أم سلمه و عبد الله بن عمر و أبو سعيد الخدري و سعد و الزبير و عبد الله بن زيد و عمر بن الخطاب في عمده القاري، و يدل هذا الحديث المتواتر على تشعير قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم معلما للعباده و جعله من المشاعر الدائمه إلى يوم القيامة كما شعّر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم عموم المدينة حرما له.

ص: ٢١٩

١- (١) البخاري/باب الرقاق ج ٧، ج ٢ باب فضل الصلاة على المسجد/باب حرم المدينة.

٢- (٢) مسند أحمد ج ٤/حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

٣- (٣) الدر المنثور ج ١/تفسير سورة البقره الآية ١٧.

و معنى الحرميه هو التشعير و التقديس و التبرك و الملجئ و الملاذ فضلا عن مسجده الشريف و عن ما بين قبره و منبره.

و التشعير فى الشريعه لا يقاس بالوقف إذ التشعير الذى يتم بيد الشارع فى البقاع الخاصه أبدى إلى يوم القيامه، و الذى يضىفى عليه هاله من التقديس و التعظيم و يكون مواطن للعباده بغض النظر عن المسجديه كما هو الحال فى ازدياد ثواب العباده فى سائر بقاع الحرم المكى و إن لم يكن من المسجد الحرام، نعم يتضاعف ثواب العباده فى المسجد الحرام كما تتضاعف فى البقعه المكيه المشرفه.

و الحاصل أن باب التشعير يختلف عن باب الوقف فمسجديه المسجد الحرام من باب المشاعر و لا تختص بالمسجديه كما فى بقية المساجد، بل كما هو الحال فى منى و المزدلفه من حيث تأييد المشعريه.

فضيله المشاهد المشرفه عند جمهور علماء السنه:

و قال الشوكانى فى (نيل الأوطار) و قد استدلل القائلون بأفضليه المدينه (على مكه) بأدله منها حديث: (ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه). و هذا يدل أنهم استظهروا و فهموا من هذا الحديث المتواتر تشعير القبر الشريف مشعرا إلهيا يعظم على حرمه الحرم المكى (١).

و ما جاء فى وفاء الوفا: بأن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمه و الرضوان و الملائكه و له عند الله من المحبه، و لساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه، و ليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟ (٢).

ص: ٢٢٠

١- (١) نيل الأوطار للشوكانى: باب حجج من قال بأفضليه المدينه ج ٥.

٢- (٢) وفاء الوفا للسهمودى ج ١: ٣٠.

تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفه على سائر البقاع:

يذكر السمهودى فى كتابه الوفاء الوفا بأن ما ضم الأعضاء الشريفه أشرف من الكعبه و بأن الكعبه أفضل من المدينه ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفه إجماعاً(١) بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى أن تلك البقعه أفضل من العرش.

كما قال التاج الفاكهى: قالوا لا- خلاف أن البقعه التى ضمت الأعضاء الشريفه أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبه، ثم قال: و أقول أنا: أفضل بقاع السماوات أيضاً بل لو قال قائل إن جميع البقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء شرفاً لكون النبى صلى الله عليه و آله و سلمّ حالاً فيها لم يبعد(٢).

الروضه بين بيوته صلى الله عليه و آله و سلمّ شامله لقبور ذريته الأطهار:

فائده: قد مر أن لفظ الحديث فى مسند أحمد(ما بين هذا البيوت (يعنى بيوته صلى الله عليه و آله و سلمّ) روضه من رياض الجنه) مما يقتضى أن ما بين بيته إلى قبره الشريف روضه من رياض الجنه و قد أدرج فى بيوته فى أحاديث عديده بيوت على و فاطمه و الحسين عليهم السلام نظير ما رواه و أخرجه فى ذيل قوله تعالى: **فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (٣).**

فى الدر المنثور للسيوطى قال و أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد (فى بيوت أذن الله أن ترفع) قال هى بيوت النبى صلى الله عليه و آله و سلمّ، و أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك و بريده قال قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ هذه الآية فى

ص: ٢٢١

١- (١) الوفاء الوفا للسمهودى الباب الأول: ٢٨.

٢- (٢) حاشيه ابن عابدين ج ٢ ص ٦٨٨.

٣- (٣) سورة النور، الآية: ٣٦.

بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ فِقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَى بِيُوتِ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِيُوتِ الْأَنْبِيَاءِ فِقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا (يعنى بيت عليّ) لبيت علي و فاطمه قال نعم من أفاضلها(١).

و غيرها من الروايات فى هذا الصدد فضلا عن الروايات الواردة فى أهل البيت عليه السّلام فى كون بيوت الأئمه عليهم السّلام و مواضع قبورهم و بيوت النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم روضه من رياض الجنه، و أنها قد شعرت للعباده و الزياره لزيارتهم و التوسل بهم لكونها مشاعر إلهيه و هذا الوجه بهذا التعليل هو الوارد فى الآيه الكريمه و بالجمع دون المفرد، و قد مر شرح ذلك فى البحث الأول فى هذه القاعده من المبحث القرآنى.

روى الكافى فى مصحح عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ما بين منبرى و بيوتى روضه من رياض الجنه و منبرى على ترعه من ترع الجنه و صلاه فى مسجدى تعدل ألف صلاه فيما سواه من المساجد إلا- المسجد الحرام»، قال جميل: قلت له: بيوت النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و بيت عليّ منها؟ (يعنى هى أيضا من رياض الجنه من بيوت النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و لا تختص ببيوت أزواجه بل تشمل بيوت قرابته صلّى الله عليه و آله و سلّم الخاصه من أصحاب الكساء كما بين المنبر و البيوت) قال: نعم و أفضل(٢).

فبيوت النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم شامله لبيت علي و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من ذريه الحسين و أنها أفضل بيوت النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فيظهر من ألفاظ الحديث المتعدد أن المراد من قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم (ما بين منبرى و بيوتى روضه من رياض الجنه) هو العموم بنحويه المجموعى

ص: ٢٢٢

١- (١) الدر المنثور ج ٥، سورة النور ٣٦.

٢- (٢) الكافى: باب المنبر و الروضه و مقام النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم ج ٤.

و الاستغراقى، أى تحديد البقعه الواقعه فى البين المحدده بهذه الأطراف المذكوره فى الحديث كما أن المراد كل من الأطراف فى نفسه على روضه من رياض الجنه، فمع كون عنوان بيوته صلى الله عليه و آله و سلم شامله بنحو العموم الاستغراقى لبيت على و فاطمه و ذريته يتم هذا المفاد.

و بعباره أخرى أن لورود الحديث فى ألفاظ أخرى من تخصيص المنبر بكونه على ترعه من ترع الجنه أو على حوض أو على روضه من رياض الجنه كل ذلك يدل على إرادته أن كل طرف من أطراف التحديد هو على روضه من رياض الجنه فعنوان (بيوتى) عموم استغراقى، و أن عنوان (بيوتى) داخله فى حكم المغيبى أى أن الروضه جزء منها المنبر و جزء منها بيوت و جزء منها ما بينهما.

و عنوان (البيوت) كما ورد فى روايات الفريقين فى ذيل قوله: **فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ** أنها بيوت الأنبياء و التى فيها بيوت سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال: (إن بيت على و فاطمه منها و من أفاضلها) كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور فى ذيل الآيه أخرجه عن ابن مردويه عن أنس بن مالك و بريده.

مما يعزز أن بيت على و فاطمه نسبتته إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم أتم من نسبه بيوت و غرف أزواجه إليه و أن اندراج بيت على و فاطمه فى بيوته صلى الله عليه و آله و سلم اندراج فى الحقيقه لا فى التنزيل (1).

و بالتالى يكون عموم بيوته شامل لقبور ذريته المطهره بحسب المفاد الأولى للحديث، و قد ورد عنهم من طرقنا أن بقاع قبورهم من رياض الجنان و أنه يندب الصلاه و التعبد عندها و لا سيما عند الرأس الشريف،

ص: ٢٢٣

١- (١) بالتنزيل و ذلك لأن علاقته القربى لا تنقطع بخلاف علاقته الزوجيه فإنها بالاعتبار.

و من ثم ورد فى النصوص المستفيضة عنهم فى الأذن للدخول فى زياره مشاهدتهم المنيه على قبورهم (اللهم إنى وقفت على باب من بيوت نبيك) وقد روى عنهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إن باب فاطمه بابى و بيتها بيتى فمن هتكه هتك حجاب الله) (١)، كما يستفاد من هذا الحديث الحث العظيم على زياره قبره صلى الله عليه وآله وسلم و أنها مواطن مقدسه شعرها الله عز و جل و جعلها أسبابا و وسائل لنيل القربى و الزلفى إليه تعالى.

و هذا الحديث المتواتر القطعى صدورا و مضمونا متطابق مع قطعى الكتاب فى قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ (٢).

فكيف بمقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم و هو أعظم حرمه من النبي إبراهيم عليه السلام و كيف بجسده الطاهر مع أن مقام إبراهيم ليس مثوى لجسد إبراهيم عليه السلام و إنما لامس قدم إبراهيم عليه السلام، فمفاد هذا الحديث الشريف القطعى متطابق مع قطعى ضرورى من ضروريات المسلمين و اتخاذهم مقام إبراهيم مصلى و منه يستفاد أن عماره قبره الشريف و الصلاه عنده و الدعاء و الأذكار و التبرك بها بالمسح و غيرها من أبواب العباده لله سبحانه و تعالى.

تشعير المدينة من قبل الرسول مضافا إلى تشعير القبر: قال السهوى: كما شعر الحرم المكى من قبل نبي الله آدم و إبراهيم عليه السلام، شعر الحرم المدنى من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كما شعر المسجد الحرام و الكعبه كذلك شعر المسجد النبوى و القبر الشريف من قبل سيد الأنبياء (٣).

ص: ٢٢٤

١- (١) غايه المرام ج ٢: الباب الحادى و العشرون، الباب التاسع و العشرون.

٢- (٢) سوره البقره، الآية: ١٢٥.

٣- (٣) وفاء الوفاء: الفصل الثانى عشر فى حكمه تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم.

فقد روى في باب حرم المدينة: عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث و من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين»(١).

و روى أحمد في مسنده حديث أبي مالك الأشجعي رضى الله عنه عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه ذكر مكة قال إن إبراهيم حرّم مكة و إنى أحرم ما بين لابتيتها(يريد المدينة)»(٢).

و لا يخفى على اللبيب أن تشعير قبر الرسول و المدينة أعظم و أعلى شرفا من بقيه المشاعر بما فيهم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام و من ثم ورد أن مسجد النبي ازدادت حرمة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و بأهل بيته عليهم السلام و من ذلك يعلم أن جحد هذا المشهد العظيم بائنه من بوائق الدين.

ثم إن مفاد هذا الحديث(ما بين قبرى و منبرى)قطعى كما علمت فكيف يتشبهون بهذه الاستظهارات مضافا إلى أن هذا الحديث القطعى الوارد فى قبره الشريف، و كذلك الحديث المستفيض فى زياره قبر والدته الشريفه أى تشريع سنه زياره قبور أهل بيته أخص من عموم الروايات التى يتكلف تظنيها و الخاص مقدم على العام، مضافا إلى أنه لو بنى على التوهم للتعارض بينها، فإن عماره قبره و قبور أهل بيته مطابق للكتاب كما مر فى(البحث القرآنى) و مطابق لضروره الدين من الشهاده الثانيه و الثالثه.

فائده فى حدود الروضه: أن الملاحظ فى أكثر الروايات الوارده عند الفريقين سواء عندنا أو عندهم هو ورود لفظ الحديث النبوى بصيغه(ما بين منبرى و بيوتى روضه من رياض الجنة).

ص: ٢٢٥

١- (١) البخارى ج ٢: باب حرم المدينة ٢٢٠.

٢- (٢) مسند أحمد: حديث أبي مالك الأشجعي، البخارى ج ٤: كتاب بدء الخلق.

و حيث إن بيوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منها غرف أزواجه و هي متوزعه بين جهه القبلة للقبير الشريف و الذى هو ممر للزائرين حاليا و بين خلف القبلة و هي الدكه التى تقع بعد انتهاء بيت على و فاطمه من جهه الشمال (أى الملتصقه بشباك الضريح من الخلف) و فى تلك الدكه تقع غرفه سوده بنت زمعه و فيها محراب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند تهجده و صلاته فى الليل أى مما يكون قبله محرابه بيت على و فاطمه.

و على ضوء ذلك يكون بيت على و فاطمه يقع وسطا متوسطا ما بين بيوت النبي إذ كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يقرب من تسع غرف متوزعه بين الأمام و الخلف، و أما الغرفه التى دفن فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فتلك هى الغرفه التى كانت مشتركه بينه و بين ابنته فاطمه سلام الله عليها و هى الغرفه التى أقام فيها النبي و فاطمه فى المدينه قبل زواجهما السّلام بعلى و كانت فاطمه قد منعت عائشه أن تفتح نافذه فى غرفتها تلك كما ذكر ذلك ابن أبى الحديد فى شرح النهج.

و كذلك ورد فى روايات الفريقين أيضا أن بيت على و فاطمه هى من بيوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و من بيوت الأنبياء كما روى ذلك السيوطى فى در المنثور فى ذيل قوله تعالى: **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** و كذلك ما ورد من طرفنا أيضا عن أبى عبد الله عليه السّلام (1) و على ضوء ذلك ورد بأنها من أفاضلها و أن الصلاه فيها أفضل من الروضه، و على ضوء هذا التعميم لحدود الروضه يتبين أن الروضه الشريفه هى أوسع من التحديد المرسوم فى كتب الفريقين و الظاهر منهم أنهم اقتصروا على التحديد المستفاد من لفظ الحديث الوارد بصيغه (ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه).

ص: ٢٢٤

١- (١) الوسائل: الباب ٥٩ من أبواب أحكام المساجد الحديث ١/٢ من كتاب الصلاه/الكافى ج ٤ باب المنبر و الروضه و مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ح ١٣/١٤.

بينما مقتضى مفاد صيغته الحديث الأكثر ورودا هو اتساع الروضه طولا إلى ما بعد شباك الضريح و إلى حدّ نهايه الدكه المتصله به و يعضد هذا الاستظهار ما ورد في صحيح على بن جعفر من أن الصلاه في بيت على و فاطمه أفضل من الروضه و هو بمعنى أفضل مواضع الروضه لأن البيوت من الروضه و الغايه داخله في المغيى، و يشير إلى هذا المفاد ما رواه السيوطى في در المنثور في ذيل قوله تعاليفى يُبوتِ أذنَ الله أن تُزَفَعَ فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها لبيت على و فاطمه قال: «نعم من أفاضلها» (١).

و يعضد ذلك أن الإمام الجواد عليه السّلام كان يكثر من الصلاه عند الأستوانه التى هى بحذاء بيت فاطمه عليها السّلام و على ضوء ذلك يستفاد من عموم و شمول قوله صلى الله عليه و آله و سلّم (بيوتى) و شموله لقبور الأئمه العتره المطهره من ذريته كقبر الحسن المجتبى عليه السّلام فى البقيع و قبر أمير المؤمنين عليه السّلام و الحسين و الكاظم و الرضا و الجواد و العسكريين من أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و السلام بعد ما ورد من بيانه صلى الله عليه و آله و سلّم أن البيوت التى أذن الله أن ترفع أنها بيوت الأنبياء و هو بيوته صلى الله عليه و آله و سلّم و أن منها بيوت على و فاطمه و ذريته.

و منها: ما ورد فى صحيحه الحسين بن ثوير عن أبى عبد الله عليه السّلام الوارده فى آداب الحسين عليه السّلام قال: فاغتسل على شاطئ الفرات و البس ثيابك الطاهره، ثم امش حافيا فإنك فى حرم من حرم الله و حرم رسوله (٢).

ص: ٢٢٧

١- (١) الدر المنثور ج ٥: سورة النور.

٢- (٢) الوسائل ج ١٤ أبواب المزار باب ٦٢.

ولاحظ ما ورد فى الوسائل من طرق مستفيضه أن قبر الحسين روضه من رياض الجنة(١).

و فى صحيح أبى هاشم الجعفرى قال: سمعت أبى جعفر عليه السّلام محمد بن على الرضا عليه السّلام يقول: إن بين جبلى طوس قبضه قبضت من الجنة، من دخلها كان آمنًا يوم القيامة من النار(٢).

كذلك ما روى فى قدسيه أرض كربلاء فى الوسائل أبواب

المزار:

روايه أبى عامر واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبى عبد الله عليه السّلام فقلت له: ما لمن زار قبره يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام و عمّر تربته؟ فقال: يا أبى أعمار حدثنى أبى عن أبيه، عن جده الحسين بن على عليه السّلام أن النبى صلّى الله عليه وآله و سلّم قال له: «و الله لتقتلن بأرض العراق و تدفن بها»، قلت:

يا رسول الله ما لمن زار قبورنا و عمّرها و تعاهدها؟ قال لى: «يا أبى الحسن إن الله جعل قبرك و قبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة و عرصه من عرصاتها، و إن الله جعل قلوب نجباء من خلقه و صفوه من عباده تحن إليكم، و تحتمل المذله و الأذى فيكم فيعمرون قبوركم، و يكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله، و موده منهم لرسوله، أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى، و الواردون حوضى، و هم زوارى غدا فى الجنة، يا على من عمّر قبوركم و تعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، و من زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجه بعد حجه الإسلام، و خرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر

ص: ٢٢٨

١- (١) الوسائل ج ١٤: أبواب المزار باب ٦٧.

٢- (٢) الوسائل ج ١٤: أبواب المزار باب ٨٢ ح ١٣.

و بشر أوليائك و محبيك من النعيم و قره العين بما لا- عين رأت و لا- أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و لكن حثاله من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي و لا يردون حوضي»(١).

كذلك ما رواه الشيخ الطوسي في التهذيب في كتاب المزار في زياره الامير عليه السلام و فضل الكوفه(٢).

كما وردت لدينا النصوص المستفيضه في آداب الزياره للأئمه من ذريته صلى الله عليه و آله و سلم الداله على أن بقاع قبورهم من حرم الله تعالى و حرم رسوله و إنها من بيوت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كيفية الاستئذان قبل الدخول إلى مشاهدهم المشرفه كما في النصوص التاليه:(اللهم إني وقفت على باب بيت من بيوت نبيك و آل نبيك عليه و عليهم أفضل السلام و قد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيك)(٣) فجعلت قبورهم بيوتا من بيوت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لأجل ذلك و ما مر من الروايات ذهب الشريف المرتضى و ابن الجنيد و بعض من تأخر كالعلامه الشيخ حسين العصفور إلى عموم رجحان الإتمام في السفر عند كل قبورهم عليهم السلام لا خصوص المواطن الأربعة بتقريب أن الإتمام في الأربعة علل بمضاعفه الثواب للصلاه و هذه العله موجوده في بقيه بقاعهم عليهم السلام.

سن النبي صلى الله عليه و آله و سلم إقامه المآتم عند قبور أهل بيته عليهم السلام:

البيان الثالث: و قد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريره

ص: ٢٢٩

- ١- (١) الوسائل: ج ١٤ ب ٢٦ أبواب المزار/تهذيب الطوسي ج ٦: باب فضل زيارته عليه السلام.
- ٢- (٢) تهذيب الأحكام ج ٦: باب فضل الكوفه و المواضع التي يستحب فيها الصلاه.
- ٣- (٣) البحار ج ٩٧: كيفية الاستئذان و زياره النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قال: (زار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي و استأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكرك الموت) (١).

و روى مسلم في صحيحه في باب استئذان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ربه عزّ وجلّ لزيارته أمه: (زار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ) فقال:

استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي و استأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكرك الموت) (٢).

و روى الحاكم في المستدرک قال: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زار قبر أمه في ألف مقنع فما رئي أكثر باكيا من ذلك اليوم.

هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين (٣) و صدر هذه الأحاديث و ان كان ساقط مضمونه لدينا (و هو نهيه عن الاستغفار لأمه) إذ والده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَدِيقُهُ عَظِيمُهُ الْقَدْرُ فِي التَّوْحِيدِ وَ الْإِيمَانِ إِذْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَقَلَّبَ فِي السَّاجِدِينَ مِنَ الْآبَاءِ وَ الْأُمَّهَاتِ مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ وَ الْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، وَ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِذِيْلِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ.

أقول يظهر من أحاديث زيارته النبي لقبر أمه سلام الله عليها و حشرنا الله في زمرتها (المتواتر) أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقام مآتما عند قبر أمه

ص: ٢٣٠

١- (١) مسند أحمد ج ٢: مسند أبي هريره رضي الله عنه، حديث بريده الأسلمي ج ٥.

٢- (٢) صحيح مسلم ج ٣/باب استئذان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ربه عزّ وجلّ في زيارته قبر أمه/سنن ابن ماجه ج ١:باب ماجاء في زيارته قبور المشركين/سنن أبي داود ج ٢:باب المحرم يموت كيف يصنع به/المستدرک ج ١:باب زيارته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبر أمه/ و رواه البيهقي ج ٧:بنفس الألفاظ في (شعب الأيمان) و ذكر أنه يوم الفتح ص ١٥/و رواه في سنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٧٠، ٧٦ ج ٧، ٣١١/القرطبي في الاستذكار ج ١/١٨٧/عمده القارى ج ٨ ص ٧٠.

٣- (٣) المستدرک ج ٢:زيارته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبر أمه.

و أقام مجلس عزاء فى مقام مصاب فقد والدته الشريفه و أنه سنّ سنه عظيمه فى مشهد عام من المسلمين كى تكون مبدأ و منطلقا لهم فى إقامه المآتم و مجالس العزاء على مصائب أهل بيته عليهم السّلام عند قبور أهل بيته عليهم السّلام و الطريف فى هذا الحديث المتواتر عندهم أن الذى قام بعمله البكاء هو شخص النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فبكى من حوله و أبكى.

قال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره لهذا الحديث و رواه النسائى عن قتيبه عن محمد بن عبيد و رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن محمد بن عبيد و هؤلاء كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك قوله (فبكى و أبكى من حوله)(١).

سن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم الدعاء و العباده عند قبور أهل بيته عليهم السّلام:

و فى مجمع الزوائد للهيثمى روى ابن عباس أن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لما أقبل من غزوه تبوك و اعتمر فلما هبط من ثنيه عسفان أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبه حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم إنه بكى فاشتد بكاءه و بكى هؤلاء لبكائه و ذكر أنه رواه الطبرانى فى الكبير(٢).

و يظهر من لفظ هذا الحديث أن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم سنّ الدعاء و المناجات عند قبور أهل بيته عليهم السّلام كما أن اشتداد بكائه سنّه منه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى إقامه الجزع عند قبور أهل بيته عليهم السّلام، و قد روى هذا الحديث المتواتر بألفاظ مختلفه ما يظهر منها تكرار زياره النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لقبر أمه و إقامه العزاء و الدعاء فى عدّه مرات من زيارته.

ص: ٢٣١

١- (١) شرح مسلم ج ٧/باب استئذان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم ربه فى زياره قبر أمه.

٢- (٢) مجمع الزوائد/ج ١ باب فى شيطان المؤمن، باب فى أهل الجاهليه.

جمله من سنن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ وَالدَّتْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

و يستفاد من هذا الحديث (ثم بكى فاشتد بكاءه و بكى من حوله) المتواتره جمله من الأمور منها:

١- رجحان شد الرحال و السفر لزياره قبور أهل البيت عليهم السلام حيث تكرر سفره لزياره قبر أمه.

٢- سنه إقامه المآتم و العزاء على أهل البيت عليهم السلام.

٣- تشعير قبور أهل بيته عليهم السلام كمواطن للعباده و المناجاه و مواطن لإقامه المآتم و الحزن و العزاء عليهم و رجحان البكاء و الإبكاء على مصائب أهل بيته و أن هذه سنه عظيمه قد تكررت منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و قد استقصى العلامة الأميني في كتابه (سنتنا و سيرتنا) سنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و سيرته اثني عشر مجلسا أقامها سيد الأنبياء و قام برثاء ابنه الحسين سيد الشهداء و ذكر لكل مآتم جمله و افره من المصادر عند العامه.

ثم إن الذي ذكر (زياره النبي لقبور أمه) صاحب كتاب الاستذكار للقرطبي و شعب الأيمان للبيهقي و عمدته القارئ (١).

و في فتح الباري لابن حجر ذكر في لفظ حتى جلس إلى قبر فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي (٢).

و في روايه الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة أتى رسم قبر (ناقص) عن عطيه لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر (٣).

ص: ٢٣٢

١- (١) الاستذكار ج ١: ١٨٧/ شعب الأيمان ج ٧: ١٥٧/ عمدته القارئ: ج ٨ ص ٧.

٢- (٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣٩٠.

٣- (٣) جامع البيان ج ٥٨: ١١ في ذيل قوله تعالى ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.

و للطبراني من طريق عكرمه عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم لما أقبل من غزوه تبوك و اعتمر فلما هبط من ثنيه عسفان فهذه طرق يعضد بعضها بعضا، و ذكر أنه زار قبر أمه بعد رجوعه من تبوك (١).

و قال العيني في عمده القارئ: و كان الشارع صَلَّى الله عليه و آله و سلم يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، و كان أبو بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم، يفعلون ذلك، و زار الشارع قبر أمه، يوم الفتح في ألف مقنع ذكره ابن أبي الدنيا، و ذكر ابن أبي شيبه عن علي و ابن مسعود و أنس رضى الله عنهم، و كانت فاطمه رضى الله عنها تزور قبر حمزه رضى الله عنه كل جمعه و كان عمر رضى الله عنه، يزور قبر أبيه فيقف عليه و يدعو له، و كانت عائشه رضى الله عنها، تزور قبر أخيها عبد الرحمن و قبره بمكة (٢).

٤- و يستفاد من هذا الحديث المتواتر أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم سنّ السفر إلى زياره قبور أهل بيته و أن ما رووه من أنه لا تشدّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة بأن عموم النفي هذا مخصوص بذلك مع أن النفي كما قد عرفت محمول على الفضيله عند أكثر علماء أهل السنه.

روى الصدوق في الصحيح إلى ياسر الخادم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام لا تشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا ألا و إني مقتول بالسلم ظلما و مدفون في موضع غربه فمن شدّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه و غفر له ذنوبه (٣).

و قال النووي في شرح مسلم و الصحيح عند أصحابنا و هو الذي

ص: ٢٣٣

١- (١) مجمع الزوائد ج ١: ص ١١٧/ الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣/ المعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٢٩٦.

٢- (٢) عمده القارئ: ج ٨ ص ٧٠.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا ج ١: باب في ذكر ثواب زياره الإمام عليه السلام ص ٢٨٥.

اختار إمام الحرمين و المحققون أنه لا يحرم و لا يكره قالوا و المراد أن الفضيله التامه إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثه خاصه و الله أعلم(١).

و هذا مضافا إلى جمله من الأجوبه السابقه و الآتيه أنه ورد مستفيضا عن الفريقين أنه من حج و لم يزرني فقد جفاني بل هناك ألفاظ أخرى للحديث الشريف مفادها كما هو ظاهر توقيت معلوم لأحد مواسم زيارته فهذا المفاد يبطل الاستدلال بظاهر هذا الحديث.

هذا و روايات أهل البيت عليهم السّلام متواتره في كون زياره و عماره النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته من معالم و شعائر الدين الكبرى، فقد عقد صاحب الوسائل (٩٦) بابا و أخرج فيها مئات الأحاديث هذا فضلا عمّا أورده صاحب البحار في أبواب المزار و الميرزا النوري في مستدرک الوسائل عن الأصول المرويّه عن أصحابنا في ذلك و غيرهم من أساطين المحدثين و أبواب أحكام المساجد و غيرها من الأبواب في كتب الحديث، فالأمر بالغ حدّ التواتر من الدرجه الكبيره جدا و من ثم هو من الأسس في شعائر و معالم أهل البيت عليهم السّلام حتى أن الحث ورد منهم على زياره قبورهم و عمارتهم في ظرف الخوف على النفس مما يشير إلى مدى ركنيه هذه الشعيره في الدين، و هي سيره مأخوذه يدا بيد قائمه عند شيعة أهل البيت عليه السّلام منذ القرن الأول و الثاني للهجرى.

البيان الرابع: ما رواه ابن ماجه عن ابن أبي مليكه، عن عائشه أن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم رخص في زياره القبور(٢).

و الروايه في الأصل كما رواه الغزالي في إحياء العلوم: (عن

ص: ٢٣٤

١- (١) شرح مسلم ج ٩: باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج و غيره.

٢- (٢) سنن ابن ماجه ج ١: باب ما جاء في زياره القبور.

عبد الله بن أبي مليكة ان عائشه أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها:

يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت: أليس كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهى ثم أمر بزيارتها(١) وفي هذه الرواية دلالة على أن أذنه صَلَّى الله عليه وآله و سلم عام للنساء في مرتكز الرواه و استظهارهم.

و روى ابن ماجه عن ابن مسعود، أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها. فإنها تزهد في الدنيا، و تذكر الآخرة»(٢).

كما رواه أبي داود في سننه عن ابن بريده، عن أبيه، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكركم) (٣).

توقيتته صَلَّى الله عليه وآله و سلم الحج بزيارته قبره:

البيان الخامس: و من الأدله ما روى مستفيضا في قوله صَلَّى الله عليه وآله و سلم (من حج و لم يزرني فقد جفاني و من زار قبري و جبت له شفاعتي) (٤) و هذا التوقيت و إن لم يكن حصريا و لكنه أحد مواقيت زيارته بفعل الحج.

و في بعض ألفاظ الحديث (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) (٥) و روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم

ص: ٢٣٥

١- (١) إحياء العلوم: باب زيارة القبور ج ٤/ السنن الكبرى: ج ٤ باب ما يقول إذا دخل المقبره/ نيل الاوطار للشوكاني: ج ٤ الدليل على تحريم اتباع الجنائز للنساء.

٢- (٢) سنن ابن ماجه: ج ١ باب ما جاء في زيارة قبور المشركين.

٣- (٣) سنن أبي داود: ج ٢ باب المحرم يموت كيف يصنع به.

٤- (٤) الدر المنثور: ج ١ سورة البقره.

٥- (٥) كنز العمال: ج ٥ زيارة قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم من الإكمال.

قال من زار قبري وجبت له شفاعتي رواه البزار(١).

و عن ابن عمر قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم «من جاءني زائراً لا يعلم له حاجه إلا- زيارتي كان حقا على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»(٢) والحديث صريح في الحث على تمحض القصد من السفر و شد الرحال في قصد زيارته صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

و رواه الطبراني في الكبير و الأوسط و فيه حفص بن أبي داود القاري وثقه أحمد و عن ابن عمر قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» قال الهيثمي في مجمع الزوائد:

رواه الطبراني في الصغير و الأوسط و فيه عائشه بنت يونس ثم ذكر باب (وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم) (٣).

و روى الهندي في كنز العمال عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم، قال: «من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان»(٤).

و الحديث دال على تمحض القصد لزيارته و هو يدحض ما ابتدعه الوهابيه من حصر قصد السفر إلى المدينة المنوره أنه لا بد أن يكون بقصد مسجده النبوي لا بقصد قبره الشريف و لا بقصد زيارته صَلَّى الله عليه وآله وسلم بانين ذلك على ما تخيلوا في استظهاره من حديث (لا تشد الرحال) مع أن تلازم قصد مسجده مع زيارته بل تلازم قصد المسجد الحرام مع زيارته دال على الأمر بشد الرحال إلى زياره قبره الشريف.

ص: ٢٣٦

- ١- (١) مجمع الزوائد: ج ٤ باب زياره سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم.
- ٢- (٢) مجمع الزوائد: ج ٤ باب قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لا تجعل قبري وثناً.
- ٣- (٣) مجمع الزوائد: ج ٤ باب قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لا تجعل قبري وثناً.
- ٤- (٤) كنز العمال: ج ٥ باب زياره قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم من الإكمال.

منهما:

ثم إن الحديث الشريف يفيد تكثير الثواب لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مضاعفا على الحج و لا يتوهم في معناه سدّ باب الحج و هوانه و العياذ بالله بل هو تأكيد لأهميته و ولايه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ضروره ضم زيارته إلى الحج و إن الولايه ركن من أركان الدين كالحج و الصلاه و الصيام و الزكاه بل هي أعظم الأركان من دون التفريط ببقية الأركان، و مثله ما ورد من الحث الشديد على زياره قبور أهل البيت لثواب مضاعف و أنه ليس في ذلك تغيير بترك الحج كما يتوهمه السلفيه و الوهابيه، كيف و قد ورد في روايه أهل البيت عليهم السلام أن المسلمين (لو تركوا الحج في عام من الأعوام لهلكوا)^(١).

و قد ورد أيضا عنهم عليهم السلام: (إن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا، و لو أجمعوا على ترك الحج لهلكوا، و هو قوله تعالى: **وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ^(٢) أي إن إقامه الحج من قبل المسلمين و المؤمنين واجب كفائي بغض النظر عن الاستطاعه.

كما ورد عنهم عليهم السلام أنه يجب على الوالى أن يبذل من بيت المال لإقامه الحج و إرسال الحجيج لو عجز الناس لكى لا يعطل بيت الله الحرام كما يبذل من بيت المال لإقامه زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بل ورد عنهم عليهم السلام

ص: ٢٣٧

١- (١) وسائل الشيعه: ج ١ أبواب مقدمه العبادات/الكافي: ج ٢ باب أن ترك الخطيئه أيسر/مستدرک الوسائل: ج ٨ باب عدم جواز تعطيل الكعبه عن الحج/تفسير العياشى ج ١ قوله تعالى: **وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ**.

٢- (٢) سوره البقره، الآية: ٢٥١.

أن الواجب على الوالى أن يبقى مكه و المدينه المنوره معموره بالساكنين و المقيمين(١).

كذلك ورد عنهم عليهم السّلام أن الجوار بالسكنى(٢)و الإقامة عند بيت الله الحرام و المدينه المنوره و بقيه المدن التى فيها قبور أهل البيت عليهم السّلام هو من الجهاد و الذى يستفاد من كل ذلك أن اللازم و الواجب هو إقامه و عماره معالم الدين و أركانه أجمع لا بعضها على حساب البعض الآخر و لا الاكتفاء ببعضها دون البعض.

و عن داود بن أبى صالح قال(أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال:أتدرى ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال:نعم جئت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم آت حجر)و جاء بلفظ(لم أر الحجر)(٣).

و هو بتمامه فى كتاب الخلافه،رواه أحمد و داود بن أبى صالح قال الذهبى لم يرو عنه غير الوليد بن الكثير و روى عنه الكثير بن زيد كما فى المسند و لم يضعفه أحد.

أقول و فى هذه الأحاديث و غيرها الداله على الحث على زيارته صلى الله عليه و آله و سلم بنحو مستفيض رد على حشويه السلفيين الذين استظهروا حرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثه.

ص: ٢٣٨

١- (١) الكافى: ج ٤ باب الإجماع على الحج/الوسائل: ج ١١ باب وجوب إجبار الوالى الناس على الحج.

٢- (٢) وسائل الشيعة: باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام و أذنه ج ١٥ ب ١٢ ح ١٩٩٥٧.

٣- (٣) مسند أحمد: حديث أبى أيوب الأنصارى ج ٥/المستدرک باب ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ج ٤/مجمع الزوائد: باب قوله صلى الله عليه و آله و سلم لا تجعل قبرى وثنا ج ٤/ ولاية المناصب ج ٥/تاريخ مدينه مدينه ابن عساكر باب مروان بن الحكم ج ٥٧.

و فى تحفه الأ-حودى قال: و اختلف فى شدّ الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زياره الصالحين أحياء و أمواتا، و إلى المواضع الفاضله لقصد التبرك بها و الصلاه فيها، إلى أن قال و الصحيح عند إمام الحرمين و غيره من الشافعيه أنه لا يحرم و أجابوا عن الحديث بأجوبه منها: (أن المراد أن الفضيله التامه إنما هى فى شدّ الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز وقع فى روايه لأحمد سيأتى ذكرها بلفظ لا ينبغى للمطى أن تعمل و هو لفظ ظاهر فى غير التحريم) ١.

و يدعم هذا الاستظهار ما ورد عن أبى هريره بألفاظ أخرى نحو (لا- تشد الرحال إلا- إلى ثلاثه) و نحو: (إنما يسافر إلى ثلاثه مساجد) أخرجه البخارى باللفظ الأول ٢، و مسلم باللفظ الآخر من طريق ثان عنه ٣ و أخرجه من الطريق الأول أصحاب السنن و غيرهم ٤.

و رواه البزاز بهذا النحوين من ألفاظ الحديث ٥ حيث يعزز أن الحديث مسوق إلى بيان أهميه و فضيله المساجد الثلاثه و ما يعزز هذا الاستظهار أيضا ما ورد فى الأحاديث المستفيضه عند الفريقين من عظم الثواب فى المسجد الحرام و المسجد النبوى.

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

١٢٤: إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين (١٢٤) ١٧٥، ١٨٠، ١٨٠

١٢٥: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ٩، ٤٠، ٤٦، ٨٦، ٩١، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ٢٠١

١٢٨: ربنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمه مسلمه لك ٨٦

١٤٣: و ما جعلنا القبله التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٦، ٨٨

١٤٤: قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ٧٢

٢٥٣: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات ١٨٠

٢٥٥: من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ٦٣

٢٥٩: أو كالدى مر على قريه و هى خاويه على عروشها ١٩٧

آل عمران

١٩: إن الدين عند الله الإسلام ١٦٦

٤٢: و إذ قالت الملائكه يمريم إن الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين (٤٢) ١١٥

٤٥: إن الله يبشرك بكلمه منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ١٧٤

٦١: فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم، ١٧٣

١٤١

ص: ٢٤٦

٨١: و إذ أخذ الله ميثق النبيين ١٦٣، ١٦٨

٨٥: و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخسرين (٨٥) ١٦٦

٨٣: و له أسلم من في السموت و الأرض ١٨٩

١٣٢: و أطيعوا الله و الرسول لعلكم ترحمون (١٣٢) ١٤٤

النساء

٥٤: فقد آتينا آل إبراهيم الكتب و الحكمه و آتينهم ملكا عظيما (٥٤) ١٤٣

٥٩: يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول ١٨، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٠، ١٨٩

٦٤: و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول، ٦٨، ١٤٥
٢٤٠، ١٥٨، ١٥٣، ٦٤، ١٧

٦٥: فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ١٨١

٦٩: و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين ١٠١

٨٠: من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠) ٧٥

٨٣: و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ١٤٨

١٧١: و لا تقولوا ثلثه ٤١

ص: ٢٤٧

٣: اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا ١٧٧

٥٥: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصَّلوة و يؤتون الزَّكوة و هم ركعون (٥٥) ١٤٩، ١٧٧

٦٧: و إن لم تفعل فما بلغت رسالته ٩٨

٩٢: و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اذروا ١٤٤

الأنعام

٩٠: و إذ أخذ الله ميثق النبيين لما ءاتيتكم من كتب و حكمه ثم جاءكم رسول مّصدّق لما معكم ١٦٥

١٦٢: قل إن صلّاتى و نسكى و محياى و مماتى لله ربّ العلمين (١٦٢) ١٦٥

الأعراف

١٢: قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقتة من طين (١٢) ٧٧

٣٦: و الذين كذبوا بئائنا و استكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦) ١٨٦، ٢٠٢

٣٧: حتّى إذا جاءتهم رسلنا يتوفّونهم ٥٤

٤٠: إنّ الذين كذبوا بئائنا و استكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء ١٥، ١٣٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧

٥٤: ألاّ له الخلق و الأمر تبارك الله ربّ العلمين (٥٤) ١٤٦

٩٠: فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٧٨) ٢٤٤

١٥٧: الذين يتبعون الرّسول النّبىّ الأمّى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التّوراه و الإنجيل ١٨٢

الأنفال

٤١: و اعلموا أنّما غنمتم من شىء فأنّ لله خمسّه و للرّسول ١٧٨

٢٠: يأيّها الذين ءامنوا أطيعوا الله و رسوله و لا تولّوا عنه و أنتم تسمعون (٢٠) ١٤٤

التوبه

٢٨: يأيّها الذين ءامنوا إنّما المشركون نجس ٦٩، ٧٠

٨٢: و لا تصلّ على أحد منهم مات أبدا

١١٣: ما كان للنّبىّ و الذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ٣٠

٨٤: و لا تصلّ على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله و رسوله و ماتوا و هم فسقون (٨٤) ٣٠

يونس:

١٨: و يعبدون من دون الله ما لا يضرّهم و لا ينفعهم ٦٢

٥٨: قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون (٥٨) ٩٨

٧٢: فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلّا على الله و أمرت أن أكون من المسلمين (٧٢) ١٦٦

٨٧: و أوحينا إلى موسى و أخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ٤٨

ص: ٢٤٩

٧: *لقد كان في يوسف و إخوته آيت للسائلين (٧) ١١٧

٢٤: و لقد همّت به و همّ بها لو لا أن رءا برهن ربّه ١١٧

٩٣: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ١١٦

١١١: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ١١٧

إبراهيم

٣٦: و إذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد ءامنا ٨٣

٣٧: فاجعل أفئده منّ الناس تهوى إليهم ٨٥، ٨٣، ٧١، ٩٠، ٩١، ٩٠، ١٠٥

الحجر

٢٨: و إذ قال ربّك للملئكة إنّي خلق بشرا من صلصل من حمأ مسنون ١٨٨

٣٠: فسجد الملئكة كلّهم أجمعون (٣٠) ١٨٩

٨٧: و لقد ءاتينك سبعا من المثاني و القرءان العظيم (٨٧) ١٠٠

النحل

٢: ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلاّ أنا فاتّقون (٢) ١٣١، ١٤٧

الإسراء

٢٣: و قضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه و بالوالدين إحسنا ٢٢

٥٥: ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ١٨٠

٤٦: وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أذبرهم نفورا(٤٦) ١٠٠

٧٢: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ٥١

٧٩: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا(٧٩) ١٠٨

الكهف

١٦: وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأوّا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ١٩٥

١٩: وكذلك بعثهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ١٩٤

٢١: وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أنّ وعد الله حقّ وأنّ الساعة لا ريب فيها ١٩٦

٨٢: وأمّا الجدار فكان لغلمين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صلحا ٥٥

مريم

٣١: وجعلني مباركاً أين ما كنت و أوصني بالصّلوه و الزّكوه ما دمت حيا(٣١) ١١١

٥١: و ندينه من جانب الطّور الأيمن و قرّبه نجيا(٥٢) ١١٨، ١١٩

طه

٩: و هل أتك حديث موسى(٩) إذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا إنّي

ص: ٢٥١

ءانست نارا لعلّى ءاتىكم منها بقبس ١١٨

٦٨: لا تخف إتك أنت الأعلى (٦٨) ١٧٠

٨٢: و إنى لغفار لمن تاب و ءامن و عمل صلحا ثم اهتدى (٨٢) ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٣

٨٧: قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا و لكننا حملنا أوزارا من زينه القوم فقدفنها ١١٣

٩٥: قال فما خطبك يسمرى (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضه من أثر الرسول ١١٣

١٠٩: يومئذ لا تنفع الشفّعه إلا من أذن له الرحمن و رضى له قولا ١٥٤، ١٥٥

الأنبياء

١٠٧: و ما أرسلنك إلا رحمه للعلمين (١٠٧) ١٦٨

الحج

٢٦: و إذ بوأنا لإبرهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا و طهر بيتى للطائفين ١٠٥

٢٧: و أذن فى الناس بالحجّ يأتوك رجالا و على كلّ ضامر يأتين من كلّ فج عميق (٢٧) ١٠٥، ١٢٩

٣٢: ذلك و من يعظم شعتر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) ٨، ١٨٣، ٢٠٣

٤٦: أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ٥٠

٧٨: هو اجتبكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم إبراهيم هو سمّمكم المسلمين ٨٠، ١٦٣

ص: ٢٥٢

٥٠: وجعلنا ابن مريم و أمه آية ١٦، ١٨٤

١٠٠: لعلّي أعمل صلحا فيما تركت كلّا إنّها كلمه هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (١٠٠) ٥٣

النور

٣٥: الله نور السموت و الأرض مثل نوره كمشكوه فيها مصباح المصباح فى زجابه ١٢١

٣٦: فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه ٤٢، ٢٢١

٣٧: رجال لا تلهيهم تجره و لا بيع عن ذكر الله ١٢٧

٦٣: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ١٤٤

الفرقان

٢١: و قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملكه ١٥٢، ١٩٢

الشعراء

٨٠: و إذا مرضت فهو يشفين (٨٠) ١١٧

القصص

٢٩: فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله ءانس من جانب الطور نارا ١١٩

العنكبوت

٦٤: و إنّ الدار الآخره لهى الحيوان ٥١

ص: ٢٥٣

٥:يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون(٥)١٤٦

٢٤:و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بثأيتنا يوقنون(٢٤)١٤٨

الأحزاب

٢٣:صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا(٢٣)١١٥، ١٣٠

٣٣:إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا(٣٣)١٧٣

٤٠:رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ١٦٦

٥٦:إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٥٦)٢٠٢

فاطر

١٠:إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ١٦، ١٨٥

٢٢:وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَ مَا أَنتَ بِمَسْمُوعٍ مِّنَ الْقُبُورِ(٢٢)٤٩، ٦٣

يس

١٣:وَ اضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ(١٣)٥١

٢٠:وَ جَاءَ مَن أَقْصَا الْمَدِينَةَ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا ٥١

٨٢: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) ١٤٦

ص

٧١: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ (٧١) ٨٠

الزمر

١١: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) ١٦٥

الشورى

٢٣: قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ (٢٣) ١٧٩، ٨٩، ٨٦

٥٢: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ إِلَّا بِآيَاتِنَا (٥٢) ١٤٦

٥٠: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ (٥٠) ١٩٢

الزخرف

٢٦: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) ٨٧

الدخان

٣: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَرِّكَهِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) ١٤٧

الجاثية

١٨: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) ١٤٧

٢٤: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (٢٤) ٥٣

ص: ٢٥٥

٣٣: *يَأْيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْطُلُوا ءَعْمَلَكُمْ (٣٣) ١٤٥،٤٨

الحجرات

١: يَأْيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ٢٠٣،٢٠٤

٢: يَأْيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ١٨٣،٢٠٥

٣: إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ١٨٣،٢٠٦

ق

٢٢: فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ٥٢

القمر

٥٠: وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَهُ بِالصَّبْرِ (٥٠) ١٤٦

الواقعه

٧٧: إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ١٤٨

الحشر

٧: وَ مَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخْذُوهُ وَ مَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ١٨،١٧٩

المتحنه

١٣: يَأْيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ

عليهم ٤٩، ٤٤

المنافقون

٥: وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآراء وسهم و رأيتهم يصدون و هم مستكبرون (٥) ١٦، ١٨٣، ١٨٦، ٢٤١

نوح

٢٣: وقالوا لا تدرنآ الهتكم و لا تدرنآ ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا (٢٣) ٣٩

المدثر

٥١: بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشره ١٥٢، ١٩٢

القيامة

٣: أي حسب الإنسن أن نجمع عظامه (٣) بلى قدرين على أن تسوى بنانه (٤) ١٩٨

٢٦: كلاً إذا بلغت التراقي (٢٦) ٥٤

٣٠: و التفت الساق بالساق (٢٩) إلى ربك يومئذ المساق (٣٠) ٥٤

النازعات

١: و التزعت غرقا (١) ٥٤

١٥: هل أتك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦) ١١٨

٤٠: و أمّا من خاف مقام ربه ١٠٨

ص: ٢٥٧

الأعلى

١٧: و الأخره خير و أبقى (١٧) ٥٢

الفجر

٢٤: يومئذ يتذكر الإنسن و أنى له الذّكرى (٢٣) يقول يلىتنى قدّمت لحياتى (٢٤) ٥٣

القدر

٣: ليله القدر خير من ألف شهر (٣) تنزل الملىكه و الرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر (٤) ١٤٧

ص: ٢٥٨

ثبت المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- دعاء الندبه.

٣- الخصال.

الصدوق، جماعه المدرسين، قم، ١٤٠٣ هـ.

٤- تحف العقول الحراني.

٥- مقتل أبي مخنف.

٦- تاريخ الطبري.

٧- تاريخ دمشق.

ابن عساكر، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

٨- اللّهُوف في قتلى الطفوف.

ابن طاوس الحسيني: مطبعه مهر-قم (١٤١٧ هـ).

٩- بحار الأنوار.

محمد باقر المجلسي، مؤسسه الوفاء، بيروت، ط ١٤٠٣ هـ.

١٠- الكافي.

محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميه، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

ص: ٢٥٩

١١- عيون أخبار الرضا عليه السلام.

الصدوق، مؤسسه الأعلمی، بیروت، ط ١٤٠٤، ١ هـ.

١٢- كشف الغطاء.

للشیخ جعفر كاشف الغطاء ط حجریه-مهدی أصفهان.

١٣- معانی الأخبار.

الصدوق، النشر الإسلامی، ١٣٦١ هـ.

١٤- روضه الواعظین.

الفتال النیسابوری، منشورات الرضی، قم.

١٥- زاد المسیر فی علم التفسیر.

ابن الجوزی، دار الفکر، بیروت، ط ١٣٨٢، ١ هـ.

١٦- تهذیب الأحكام.

الشیخ الطوسی، دار الکتب الإسلامیه، ط ١٤٠٧ هـ.

١٧- مسند أحمد بن حنبل.

١٨- صحیح مسلم.

دار الفکر، بیروت.

١٩- سنن النسائی.

دار الفکر، بیروت، ط ١٣٤٨، ١ هـ.

٢٠- المستدرک علی الصحیحین.

الحاکم النیسابوری، دار المعرفه، بیروت، ١٤٠٦ هـ.

٢١- وسائل الشیعہ.

الحر العاملى، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

ص: ٢٦٠

٢٢-سنن أبي داود.

السجستاني، دار الفكر، بيروت، ط ١ ١٤١٠ هـ.

٢٣-سنن الترمذى.

الترمذى.

٢٤-منهاج السنه.

ابن تيميه الحرانى الدمشقى-دار الآثار.

٢٥-شرح مسلم.

النوى.

٢٦-تحفه الأهودى فى شرح الترمذى.

المباركفورى، دار الكتب العلميه، بيروت، ط ١ ١٤١٠ هـ.

٢٧-عمده القارى.

العينى.

٢٨-نيل الأوطار.

الشوكانى.

٢٩-فتح البارى.

ابن حجر العسقلانى، دار المعرفه، بيروت، ط ٢.

٣٠-ذكرى الشيعه فى أحكام الشريعه.

الشهيد الأول محمد بن مكى جمال الدين العاملى.

٣١-سنن ابن ماجه.

محمد بن يزيد القزوينى، دار الفكر، بيروت.

٣٢- أحكام الجنائز.

ناصر الدين بن محمد الألبانى.

٣٣- السنن الكبرى.

البيهقى، دار الفكر، بيروت.

٣٤- تلخيص الحبير.

ابن حجر العسقلانى المتوفى فى سنة ٨٥٢.

٣٥- سنن الدارمى.

عبد الله بن بهرام الدارمى.

٣٦- الموطأ.

أو عبد الله مالك بن أنس.

٣٧- مجمع الزوائد و منبع الفوائد.

الهيثمى، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٨- صحيح ابن حبان.

محمد بن حبان التميمى البستى، مؤسسه الرساله، بيروت، الطبعة الثانيه ١٤١٤ هـ.

٣٩- المعجم الكبير.

الطبرانى، مكتبه ابن تيميه، القاهره، الطبعة الثانيه.

٤٠- صحيح البخارى.

دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٤١- الدر النضيد فى إخلاص كلمه التوحيد.

الشوكانى.

٤٢- علل الشرائع.

الصدوق، المكتبة الحيدريه، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.

٤٣- مجمع البيان فى تفسير القرآن.

الطبرسى، مؤسسه الأعلمی، بیروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

٤٤- تفسير العياشى.

محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى، المكتبة العلميه الإسلاميه، طهران.

٤٥- ثواب الأعمال.

الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسن بن بابويه، منشورات الرضى، قم، ط الثانيه ١٤١٢ هـ.

٤٦- الأمالى.

الشيخ الطوسى، دار الثقافه، قم، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٤٧- المحاسن.

البرى، تحقيق جلال الدين الحسينى، المكتبة الإسلاميه.

٤٨- المقنع.

الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، مؤسسه الإمام المهدي، قم، ١٤١٥ هـ.

٤٩- الوسيله إلى نيل الفضيله.

ابن حمزه، مكتبه المرعشى النجفى، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٥٠- كامل الزيارات.

ابن قولويه، مؤسسه نشر الفقاهه، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٥١- مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل.

المحدث النورى، مؤسسه أهل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

٥٢- تفسير القرطبي.

أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي، دار إحياء التراث، ١٤٠٥ هـ.

٥٣- تفسير القمى.

على بن إبراهيم القمى، مؤسسه دار الكتاب، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.

٥٤- جامع البيان.

ابن جرير الطبرى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٥٥- السيره النبويه.

لابن هشام، دار ابن حزم، المطبعه الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٥٦- تفسير نور الثقلين.

العلامه الشيخ عبد على بن جمعه العروسى الحويزى المتوفى سنه ١١١٢ هـ.

٥٧- تفسير الميزان.

العلامه الطباطبائى، مؤسسه النشر الإسلامى.

٥٨- كلمه التقوى.

العلامه الشيخ محمد أمين زين الدين، المطبعه الشرقيه.

٥٩- بصائر الدرجات.

محمد بن الحسن الصفار، مؤسسه الأعلمى، طهران، ١٤٠٤ هـ.

ص: ٢٦٤

٦٠- المعجم الأوسط.

الطبراني، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ.

٦١- الدر المنثور.

جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٦٥ هـ.

٦٢- التوحيد.

الصدوق، جماعه المدرسين، ١٣٨٧ هـ.

٦٣- مناقب أمير المؤمنين.

ابن المغازلي الشافعي.

٦٤- التبيان في تفسير القرآن.

الطوسي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

٦٥- فضائل الصحابه.

أحمد بن حنبل، دار الكتب العلميّه، بيروت.

٦٦- نظم درر السمطين.

الزرندي الحنفي، ط ١، ١٣٧٧ هـ.

٦٧- ميزان الاعتدال.

الذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٢ هـ.

٦٨- المعجم الكبير.

الطبراني، مكتبه ابن تيميه، القاهره، الطبعة الثانيه.

٦٩- تفسير ابن كثير.

ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٧٠-المجموع في شرح المهذب.

النووي، دار الفكر، بيروت.

ص: ٢٦٥

٧١- الطوسي، دار الأندلس، بيروت.

٧٢- فتح العزيز في شرح الوجيز.

عبد الكريم الرافعي، دار الفكر، بيروت.

٧٣- سنن الدارقطني.

علي بن عمر الدارقطني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٧٤- الأم.

الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

٧٥- روضه الطالبين.

الإمام العلامة محيي الدين بن شرف النووي دمشقي المتوفى ٦٧٦ هـ.

٧٦- فتح المعين.

المليباري الهندي، دار الفكر، ط ١، ١٤١٨ هـ.

٧٧- لسان الميزان.

ابن حجر العسقلاني، مؤسسه الأعلمي، بيروت، ط ٢.

٧٨- كفايه الأثر.

الخزاز الطوسي، دار الأندلس، بيروت.

٧٩- كتاب المصنف.

أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، المجلس العلمي.

٨٠- الأذكار النوويه.

يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ١٤١٤ هـ.

٨١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

القاضي عياض، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٨٢- وفاء الوفاء.

السمهودي.

٨٣- الهداياه الكبرى.

الحسين بن حمدان الخصبي، مؤسسه البلاغ بيروت، ط ٤، ١٤١١ هـ.

٨٤- الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد.

الشيخ المفيد، دار المفيد.

٨٥- مختصر البصائر.

الحسن بن سليمان الحلبي، المطبعه الحيدريه، النجف، ط ١، ١٣٧٠ هـ.

٨٦- خصائص أمير المؤمنين.

النسائي.

٨٧- ينابيع الموده.

القندوري الحنفي، دار الأسوه، ط ١، ١٤١٦ هـ.

٨٨- الغدير.

الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٨٩- شرح أحقاق الحق.

السيد المرعشي، مكتبه المرعشي النجفي، قم.

٩٠- شرح نهج البلاغه.

ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربيه، ط ١، ١٣٧٨ هـ.

٩١- كنز العمال.

المتقى الهندي، مؤسسه الرساله، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٩٢- الاحتجاج.

الطبرسي، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.

٩٣- فتح القدير.

الشوكانى، عالم الكتب.

٩٤- تفسير الثعلبى.

أو إسحاق الثعلبى.

٩٥- ما لا يحضره الفقيه.

الصدوق، جماعه المدرسين، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.

٩٦- تحذير المسجد فى اتخاذ القبور مسجد.

ناصر الدين الألبانى.

٩٧- البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان.

المتقى الهندي، مطبعه الخيام قم.

٩٨- عقد الدرر فى أخبار المهدي المنتظر.

يوسف بن يحيى بن على المقدسى الشافعى السلمى، طبعه مصر، ١٣٩٩ هـ.

٩٩- تفسير البحر المحيط.

الأندلسى.

١٠٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد.

ابن القيم.

١٠١- الرسائل الشخصية.

الشيخ محمد عبد الوهاب.

١٠٢- الاستذكار.

القرطبي.

١٠٣- إحياء علوم الدين.

الغزالي.

١٠٤- تاريخ مدينة دمشق.

ابن عساكر، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

١٠٥- شعب الإيمان.

البيهقي.

١٠٦- السيف الصقيل.

الحافظ تقي الدين السبكي، مكتبة زهران.

١٠٧- غاية المرام و حجه الخصام.

السيد هاشم البحراني.

١٠٨- رد المحتار على الدر المختار.

(حاشيه ابن عابدين)، ابن عابدين.

١٠٩- تقييد العلم.

أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر.

١١٠- تفسير الثعلبي.

أبو أسحاق الثعلبي.

١١١-الإحكام فى أصول الأحكام.

لابن حزم.

ص: ٢٦٩

١١٢-مناقب المهدي.

الحافظ أبو نعيم الأصفهاني.

١١٣-إمتاع الأسماع.

المقريزي.

١١٤-الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

أحمد بن غنيم بن سالم النفراوى المتوفى ١١٢٦ هـ.

١١٥-القوانين الفقهية.

لابن الجزى الكلبي.

١١٦-شرح المواهب اللدنية.

القسطلاني.

١١٧-القاعده الجليله فى التوسل و الوسيله.

ابن تيميه.

١١٨-تطهير الاعتقاد فى أدران الإلحاد.

محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني.

١١٩-الرد على الإخنائي.

ابن تيميه.

١٢٠-منسك المروزي.

أحمد بن حنبل.

ص: ٢٧٠

الفصل الأول: فى أدله القول بحرمة عماره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته عليهم السلام ١٣

البحث القرآنى و العقلى ١٥

البحث الروائى ١٩

أزمه منهج الاستظهار عند السلفيه ٢١

كراهه ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنه لا الحرمه ٢٣

اختصاص هدم القبور بالمشركين ٢٧

سبب نسخ النهى عن زياره القبور ٢٨

اتفاق جمهور السنه على رجحان زياره القبور ٢٩

الحكمه فى الأمر بهدم قبور المشركين ٣٠

وقد يشكل فى دلالة آيه القيام على القبر ٣١

وضوح دلالة الآيتين على سنه زياره القبور ٣١

الحكمه فى النهى ثم الأمر بزياره القبور ٣٢

جمله أخرى من روايات المستدل بها على الحرمة ٣٣

الحكمه فى نهى النساء عن زياره القبور مقيده ٣٣

زياره فاطمه بنت النبى صلى الله عليه و آله و سلم لقبر حمزه ٣٤

نسخ كل من النهى عن زياره القبور و النهى عن عمارتها ٣٥

اتخاذ قبره و ثنا أى نصب التماثيل كأصنام على القبر ٣٩

الحكمه فى النهى عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة ٤٠

اتخاذ القبور مساجد أى السجود و الصلاة عليها ٤١

بناء قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى الصدر الأول ٤٢

اتخاذ قبره و ثنا هو بالقول بأنه ابن الله أو بالقول بتعدد الآلهه: ٤٢

اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد أى بالقول بتأليهم ٤٤

فضيله المسجد النبوى بأهل البيت عليهم السلام ٤٨

الحياه فى الآخره و البرزخ أشد قوه من الدنيا ٥٠

اليأس من الموتى و أصحاب القبور من صفه الكفار و المنافقين و الإيمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنين ٥٢

الصدّ عن زياره القبور صدّ عن الآخره و دعوه للعكوف على الدنيا ٥٣

الفصل الثانى: وجوب عماره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام

ص: ٢٧٢

و تشعيها كمشعر و حرم إلهى الدليل الأول:البيانات القرآنيه ٥٧

جهات البحث ٥٩

إن هذا افتراء بحت و كذب محض على الشيعة الإماميه ٦٦

من تمام الحج ولايه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم ٦٧

نبد ولايه النبى الأكرم هو العود إلى الوثنيه الجاهليه ٦٩

البرهان الأول ٧١

البرهان الثانى ٧٣

البرهان الثالث ٧٦

أن زياره قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قبور عترته هى من تمام العبادات ٨٣

البرهان الرابع ٨٣

الغايه من إسكان هاجر و إسماعيل عند بيته الحرام ٨٤

النتيجه:بأن الآيه مشتمله على ثلاثه فقرات ٩١

البرهان الخامس ٩٥

سبع المثانى فاتحه الكتاب هى أم القرآن ١٠٠

النتيجه ١٠٣

البرهان السادس ١٠٥

مقام إبراهيم عليه السلام ١٠٧

بيان آخر للآيه الكريمه ١٠٩

ص:٢٧٣

التبرك بمواضع الأنبياء ١١١

و قد وردت هذه القصة فى روايات الفريقين ١١٣

١- آيه التطهير ١١٥

٢- مريم بنت عمران عليها السلام ١١٥

٣- يوسف عليه السلام ١١٦

البقعه المباركه ١١٨

أهل البيت عليهم السلام أنوار إلهيه ١٢١

الأئمه التسعه من ولد الحسين عليه السلام فى آيه النور ١٢٦

بيان آخر للآيه المباركه ١٢٧

خلقه أهل البيت عليهم السلام النوريه ١٣٠

التوجه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته شرط فى قبول العباده ١٣٢

اقتران اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته بأعظم العبادات ١٣٤

اقتران الصلاه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى بقية العبادات ١٣٦

«برهان آخر» ١٤٢

التوسل عباده توحيديه ١٥١

١- التوسل آيه للزلفى و القربى إلى البارى تعالى ١٥١

٢- شرطيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى طلب المغفره ١٥٣

شرطيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٥٩

ص: ٢٧٤

التوسل بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِيثَاقُ الْأَنْبِيَاءِ ١٦٣

الْأَنْبِيَاءُ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ١٦٤

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شُرَكَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَائِرَةِ الْمِيثَاقِ ١٦٨

اقْتِرَانُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّهَارَةِ ١٧٣

النَّبِيُّ وَ أَهْلُ بَيْتِهِ هُمُ كَلِمَاتُ اللَّهِ التَّامَّاتُ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» ١٧٤

كَذَلِكَ بِنَفْسِ الْبَيَانِ مَفَادُ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ١٧٩

التَّسْلِيمُ زِيَارَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ١٨١

حَبْطُ الْأَعْمَالِ وَقَبُولُهَا ١٨٢

التَّكْذِيبُ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مُوجِبٌ لِحَبْطِ الْأَعْمَالِ ١٨٤

التَّوَجُّهُ إِلَى خَلِيفَةِ اللَّهِ لِنَيْلِ الْمَقَامَاتِ وَقَبُولِ الطَّاعَاتِ فِي جَمِيعِ النَّشَآتِ ١٨٨

وَالنَّتِيجَةُ ١٩٠

تَأْيِيدُ رِسَالَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَوَسَاطَتُهُ فِي الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ لِجَمِيعِ النَّشَآتِ ١٩١

الْخُلَاصَةُ ١٩٣

أَهْلُ الْكَهْفِ آيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ ١٩٣

إِحْيَاءُ اللَّهِ الْمَوْتَى بَعْدَ مَمَاتِهِمْ ١٩٥

ص: ٢٧٥

و جاء في كتاب الاحتجاج عن الصادق عليه السلام في حديث ١٩٨

تعظيم النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأنه من الشرك ٢٠١

الفتاوى الشيطانية في هدم القبه النبويه ٢٠٨

الفصل الثالث: وجوب عماره قبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام الدليل الثاني: البيانات النبويه ٢١٣

سيره المسلمين في قبور الأنبياء ٢١٦

شعيريه قبور الأنبياء في المسجد الحرام ٢١٨

حفظ قبور الأنبياء عن الانداس بعمارته ٢١٨

الروضه عند قبره صَلَّى الله عليه و آله و سلم مشعر عند المسلمين ٢١٩

فضيله المشاهد المشرفه عند جمهور علماء السنه ٢٢٠

تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفه على سائر البقاع ٢٢١

الروضه بين بيوته صَلَّى الله عليه و آله و سلم شامله لقبور ذريته الأطهار ٢٢١

كذلك ما رود في قدسيه أرض كربلاء في الوسائل أبواب المزار ٢٢٨

سن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم إقامة المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السلام ٢٢٩

سن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم الدعاء و العباده عند قبور أهل بيته عليهم السلام ٢٣١

جمله من سنن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم في زياره قبر والدته عليهم السلام ٢٣٢

توقيتہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم الحج بزیارہ قبرہ ۲۳۵

الحج و زیارہ قبر النبی و أهل بیتہ من دون التفريط بكل منهما ۲۳۷

مسجد الکوفہ أعظم من بیت المقدس ۲۴۰

عمارہ قبرہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم بقاء للشہادہ الثانیہ ۲۴۰

طمس قبرہ الشریف إمامتہ لذكرہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم ۲۴۱

فہرس الآیات القرآنیہ ۲۴۵

ثبت المصادر ۲۵۹

الفہرس ۲۷۱

ص: ۲۷۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

